

الجامع

لأحكام التوحيد والإيمان
والكفر والتكفير

على منهج السلف الصالح
رضي الله عنهم

تأليف

الدكتور بريك سعد بريك



أسير خلف ركاب النجب ذا عرج *** مؤملا كشف ما لاقيت من عوج

فإن لحقت بهم من بعدما سبقوا *** فكم لرب الورى في ذاك من فرج

و إن بقيت بظهر الأرض منقطعا *** فما على عرج في ذاك من حرج

د. بريك سعد بريك

لروح الصابر المحتسب، الذكيّ الزكيّ، العفيف الغنيّ، المؤمن التقّيّ .. شيخ
العرب .. أبي

أسكنه الله وأمي الفردوس مع نبيّنا وحبیبنا محمد -صلى الله عليه وآله وسلم.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد،

فهذا كتابٌ جامعٌ في علم التوحيد، جمعت فيه أساسيات وأصول التوحيد عند أهل السنة والجماعة، ويليه بحثٌ في الإيمان والكفر والتكفير .

والتوحيد لغةً هو الإفراد، والتوحيد اصطلاحًا هو إفراد الله تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله، وما يترتب على ذلك من إفراده تعالى بالتوجه والقصد والعبادة .

والعبادة لغةً هي الخضوع والذل، والعبادة اصطلاحًا هي تمام الذل مع تمام الحب لله سبحانه وتعالى، وتظهر في أداء جميع ما يحبه الله ويأمر به من الأعمال والأقوال والاعتقادات الظاهرة والباطنة .

وأسهل طريقة لدراسة علم التوحيد هي الطريقة السلفية، وعمرها يزيد على الألف عام، وهي تقسيم التوحيد إلى توحيد الربوبية (إفراد الله بأفعاله)، وتوحيد الألوهية (إفراد الله بأفعال العباد- وهي العبادة)، وتوحيد الأسماء والصفات (وهو إفراد الله بأسمائه الحسنی وصفاته العلى دون تمثيل أو تكيف أو تعطيل أو تحريف) .

وهذا تقسيم اصطلاحى لتيسير الدراسة، ولا يُعتبر بدعة، لأنه وسيلة للدراسة، والوسائل لها أحكام المقاصد .

تمامًا مثل تقسيم علم البلاغة إلى ثلاثة أقسام: البديع والمعاني والبيان .

وتتمامًا مثل تقسيم علم قواعد اللغة العربية إلى قسمين: النحو والصرف .

وهذه الطريقة استقرت عند أهل السنة والجماعة، وصارت علمًا عليهم، لذلك يتمسك بها كل العلماء والباحثين والمعلمين الناهجين نهج السلف الصالح في دراسة التوحيد وتعليمه .

والتوحيد هو العقيدة التي تنجي المؤمن يوم القيامة، وتمنعه من دخول النار إن غلبت حسناته سيئاته، وتمنعه من الخلود في النار إن دخلها (إن غلبت سيئاته حسناته) .

وعلى النقيض، فإن الشرك هو السيئة العظيمة التي تمنع المشرك من دخول الجنة، وتكون سببًا في خلوده في النار، لأنها الذنب الوحيد الذي لا يغفره الله تعالى لمن مات مصرًا عليه .

قال تعالى :

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا) [النساء: 48] .

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا) [النساء: 116] .

لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعَاذًا نَحْوَ الْيَمَنِ قَالَ لَهُ: إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوحِدُوا اللَّهَ تَعَالَى، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَّاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا صَلَّوْا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ، تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ، فَإِذَا أَقْرَأُوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ، وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ .

رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما .

وفي رواية للبخاري: فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

وفي رواية لمسلم: فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل .

وفي رواية: فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً .

إذن: لفظ التوحيد ورد في السنة المطهرة على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وتفسيره عبادة الله وحده لا شريك له، وهو المعنى الحقيقي لشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم .

ولذلك، انبرى علماء المسلمين لشرح وبيان عقيدة التوحيد التي جاء لأجلها كل الأنبياء عليهم السلام، ولأنها الغاية الشرعية لله تعالى من خلق الجن والإنس، قال تعالى : "وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون"

الآية ٥٦ الذاريات

قال علي رضي الله عنه: ما خلقت الجن والإنس إلا لأمرهم أن يعبدوني وأدعوهم إلى عبادتي . وقال ابن عباس رضي الله عنه: إلا ليقروا لي بالعبادة طوعاً أو كرهاً .

وقال ابن جُرَيْج رحمه الله: إلا ليعرفون

وقال مجاهد رحمه الله: إلا ليعرفوني، وفي رواية عنه: إلا لأمرهم وأنهم

وقال زيد بن أسلم رحمه الله: هو ما جبلوا عليه من الطاعة والمعصية

وقال الكلبي رحمه الله: إلا ليوحدون، فأما المؤمن فيوحده في الشدة والرخاء، وأما الكافر فيوحده في الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء

وقال الربيع بن أنس رحمه الله: إلا للعبادة

وقال عكرمة رحمه الله: إلا ليعبدون ويطيعون فأتى العابد وأعاقب الجاحد.

وينبغي التنبيه هنا على أن النون في قوله "ليعبدون" ليست نون الأفعال الخمسة؛ لأن الفعل المضارع منصوب بعد لام التعليل وعلامة نصبه حذف النون.

ولكن النون هنا نون الوقاية، لأن الكلمة أصلها "إلا ليعبدوني"، ولكن حذفت ياء المتكلم.

فالفعل يعبدون أصبح بعد النصب يعبدوا،

ثم أضيف إلى ياء المتكلم، وبما أن ياء المتكلم ضمير متصل فإنه يتعذر الإتيان بها دون الإتيان بنون الوقاية، فأصبحت إلا ليعبدوني، ثم حذفت الياء تخفيفاً وعوض عنها بكسرة تحت نون الوقاية، فأصبحت إلا ليعبدون .

وكل هذه المعاني يفسر بعضها بعضاً، فمعنى يعبدون هو يوحدوني في السراء والضراء، ويحققون الإرادة الشرعية لله تعالى، ويلتزمون بأمر الله ونهيه، ويقرون بربوبية الله ووحدانيته وألوهيته وحده مع الإيمان بكماله وجلاله وأسمائه وصفاته، وهذا هو معنى التوحيد، ودراسته هو موضوع علم التوحيد .

”إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب“
هود ٨٨

الباب الأول

أساسيات وأصول التوحيد عند أهل السنة والجماعة

١- من التوحيد مخالفة اليهود والنصارى، وعدم اتباع سنتهم، والحذر من الوقوع في فتنة اتباعهم مع من سوف يتبعهم حذو القذة بالقذة (والقذة هي الريشة) .

الدليل:

قول الله تعالى: " ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم " سورة البقرة ١٢٠

وعن أبي سعيد رضي الله عنه، أَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّىٰ لَوْ سَلَكَوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ؛ قلنا: يا رسول الله؛ اليهودُ والنَّصارى؟ قال النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: فَمَنْ؟!) [رواه الشيخان] .

وهذا تحذير من النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأُمَّته من تقليد اليهود والنصارى وأمر بمخالفتهم .

٢- ومن التوحيد عدم اتخاذ قبر رسول الله عليه الصلاة والسلام عيدًا، امتثالًا لأمره، ومعناه عدم عقد النية على شد الرحال للمدينة لزيارة قبره، بل تكون النية شد الرحال لزيارة مسجده، فإذا صرت هناك زرت القبر الشريف تبعًا لا استقلالًا، ومرة واحدة فقط ليس مع كل صلاة .

الدليل: قوله صلى الله عليه وآله وسلم : لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قُبُري عيدًا، واصلُّوا عليَّ فإنَّ صلاتكم تبلغني حيثُ كنتم

الراوي : أبو هريرة | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح أبي داود

الصفحة أو الرقم: 2042 | خلاصة حكم المحدث : صحيح

التخريج : أخرجه أبو داود (2042) واللفظ له، وأحمد (8790)

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبدُ، اشتد غضبُ الله على قوم اتخذوا قبورَ أنبيائهم مساجدَ

الراوي : عطاء بن يسار | المحدث : الألباني | المصدر : هداية الرواة

الصفحة أو الرقم: 715 | خلاصة حكم المحدث : صحيح

التخريج : أخرجه مالك في ((الموطأ)) (172/1)، وابن سعد في ((الطبقات

الكبرى)) (2141)

٣- ومن التوحيد التفريق بين المقابر والمساجد، وعدم الجمع بينهما في مكان واحد .

الدليل: قال جندب بن عبدالله رضي الله عنه: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ

أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ، وَهُوَ يَقُولُ: إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ؛ فَإِنَّ اللَّهَ

تَعَالَى قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا

لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِهِمْ

مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنهَاكُم عَنْ ذَلِكَ .

الراوي : جندب بن عبدالله | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم

الصفحة أو الرقم: 532 | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

التخريج : أخرجه ابن حبان (6425)، والنسائي في ((الكبرى)) (11058)،
وأحمد في ((فضائل الصحابة)) (71) باختلاف يسير .

٤- ومن التوحيد عدم صناعة التماثيل لمن مات وإن كان صالحاً أو عالمًا أو زعيمًا،
وعدم إظهار قبره أو بناء القباب أو المقصورات على قبره .

الدليل: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ سَفَرٍ، وَقَدْ سَتَرْتُ بِقِرَامٍ لِي عَلَى
سَهْوَةٍ لِي فِيهَا تَمَاثِيلُ، فَلَمَّا رَأَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَنَّكَهُ وَقَالَ: أَشَدُّ
النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهَوْنَ بِخَلْقِ اللَّهِ، قَالَتْ: فَجَعَلَنَاهُ وَسَادَةً أَوْ وَسَادَتَيْنِ .

الراوي : عائشة أم المؤمنين | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري

الصفحة أو الرقم: 5954 | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

التخريج : أخرجه البخاري (5954)، ومسلم (2107)

وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لما ذكرت عنده أم
سلمة وأم حبيبة تلك الكنيسة التي رأيتها بأرض الحبشة يقال لها مارية . فذكرتا من
حسنها وتساویر فيها قال : أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره
مسجداً ، ثم صوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله عز وجل .

قال البخاري : حدثنا إبراهيم ، حدثنا هشام ، عن ابن جريج وقال عطاء ، عن ابن
عباس : صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد : أما ود : فكانت
لكلب بدومة الجندل ؛ وأما سواع : فكانت لهذيل ، وأما يغوث فكانت لمراد ، ثم

لبنى غطيف بالجرف عند سبأ ، أما يعوق : فكانت لهمدان ، وأما نسر : فكانت لحمير لآل ذي كلاع ، وهي أسماء رجال صالحين من قوم نوح عليه السلام ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ، فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبادت وكذا روي عن عكرمة والضحاك وقتادة وابن إسحاق نحو هذا .

٥-ومن التوحيد عدم المبالغة في مدح رسول الله عليه الصلاة والسلام، امتثالاً لأمره : "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم"، يعني لا تغلو في مدحي ورفعني فوق منزلتي البشرية .

الدليل: لا تُطْرُونِي كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ؛ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ .

الراوي : عمر بن الخطاب | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري

الصفحة أو الرقم: 3445 | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

التخريج : من أفراد البخاري على مسلم

٦-ومن التوحيد عدم الغلو في الأنبياء والصالحين والعلماء أو تأليههم أو اعتقاد عصمتهم .

الدليل: وقد حَذَّرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّتَهُ مِنَ الْغُلُوِّ عَلَى وَجْهِ الْعُمُومِ؛ فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي

الدِّينِ؛ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْعُلُوُّ فِي الدِّينِ)) رواه النسائي وابن ماجه وصححه ابن حبان

ولمسلم عن ابن مسعود: أن رسول الله ﷺ قال: هلك المتنطعون قالها ثلاثاً .

ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد أقرأيتُم اللات والعزى [النجم:19] قال: "كان يلت لهم السوق فمات، فعكفوا على قبره".

وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: "كان يلت السوق للحاج".

قال تعالى في محكم التنزيل: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ) [المائدة: 77] .

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه: " {وَقَالَتِ الْيَهُودُ} يهود أهل المدينة {عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ} {وَقَالَتِ النَّصَارَى} نَصَارَى أهل نَجْرَان {الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ} بآلسنتهم {يُضَاهِئُونَ} يشابهون {قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ} من قبلهم يَعْنِي أهل مَكَّة، لِأَنَّ أَهْلَ مَكَّة قَالُوا اللَّاتِ وَالْعَزَى وَمَنَاةَ بَنَاتِ اللَّهِ، وَكَذَلِكَ قَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ، {وَقَالَتِ النَّصَارَى} قَالَ بَعْضُهُم: الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: شَرِيكُهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ اللَّهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ {قَاتَلَهُمُ اللَّهُ} لَعَنَهُمُ اللَّهُ {أَنَّى يُؤْفَكُونَ} مَنْ أَتَيْنَ يَكْذِبُونَ".

وعن الرُّبَيْعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: (دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدَاةَ بَنِي عَلِيٍّ فَجَلَسَ عَلَيَّ فَرَاشِي وَجُؤِيرِيَّاتٍ (بَنَاتٍ لِلْأَنْصَارِ صَغِيرَاتٍ) يَضْرِبْنَ بِالْذَّقِ .. إِذْ قَالَتْ إِحْدَاهُنَّ: وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَقُولِي هَكَذَا، وَقُولِي مَا كُنْتَ تَقُولِينَ (مَنْ الشَّعْرُ الَّذِي لَا مَغَالَةَ فِيهِ)) رواه البخاري .

قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: {قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} (الأعراف:188) . قال ابن عاشور: "هذا ارتقاء في التبرؤ من

معرفة الغيب ومن التصرف في العالم، وزيادة من التعليم للأمة بشيء من حقيقة الرسالة والنبوة، وتمييز ما هو مِنْ خصائصها عما ليس منها".

٧-ومن التوحيد نسبة المطر لله تعالى "مُطرنا بفضل الله"، وعدم نسبتها للنجوم أو الكواكب أو النّوّات أو غير ذلك.

قال زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا انصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكُوكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بَنُو كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكُوكَبِ.

الراوي : زيد بن خالد الجهني | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري

الرقم: 846 | خلاصة حكم المحدث : [صحيح

التخريج : أخرجه مسلم (71) باختلاف يسير

٨-ومن التوحيد الجمع بين الصبر والشكر، والخوف والرجاء، والحب والذل لله وحده .

قال تعالى : "تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا" (سورة السجدة: الآية 16)

وقال تعالى : "إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ" إبراهيم ٥

وقال تعالى : "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" الفاتحة ٥

والعبادة هي تمام الحب في تمام الذل، ولا تكون هذه المرتبة من المحبة، التي تقبل طواعيةً تمام الذل للمحبوب والخضوع له، لا تصلح هذه العبادة إلا لله تعالى .

٩-ومن التوحيد عدم التعلق بمخلوق، ميتٍ أو حي، نبي أو ولي أو غير ذلك، بل القلوب تتعلق بالله وحده، وتتوكل على الله وحده .

قال ابن القيم في مدارج السالكين: المفسد الثالث من مفسدات القلب: التعلق بغير الله تبارك تعالى، وهذا أعظم مفسداته على الإطلاق، فليس عليه أضر من ذلك، ولا أقطع له عن مصالحه، وسعادته منه؛ فإنه إذا تعلق بغير الله، وكله الله إلى ما تعلق به، وخذله من جهة ما تعلق به، وفاته تحصيل مقصوده من الله عز وجل بتعلقه بغيره، والتفاتة إلى سواه، فلا على نصيبه من الله حصل، ولا إلى ما أمله ممن تعلق به وصل؛ قال الله تعالى: {واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا * كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا} [مريم: 81 - 82] وقال تعالى: {واتخذوا من دون

الله آلهة لعلهم ينصرون * لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون} [يس: 74 - 75] فأعظم الناس خذلاناً من تعلق بغير الله، فإن ما فاتته من مصالحه، وسعادته، وفلاحه أعظم مما حصل له ممن تعلق به، وهو معرض للزوال والفوات، ومثل المتعلق بغير الله كمثل المستظل من الحر والبرد ببيت العنكبوت، وأوهن البيوت .

وبالجملة: فأساس الشرك وقاعدته التي بني عليها: التعلق بغير الله، ولصاحبه الذم والخذلان، كما قال تعالى: {لا تجعل مع الله إلهاً آخر فتفعد مذبذباً مضطرباً} [الإسراء: 22] مذبذباً: لا حامد لك، مضطرباً: لا ناصر لك، إذ قد يكون بعض الناس مقهوراً، محموداً كالذي قهر بباطل، وقد يكون مذبذباً، منصوباً، كالذي قهر وتسلط عليه بباطل، وقد يكون محموداً، منصوباً كالذي تمكن وملك بحق، والمشارك المتعلق بغير الله، قسمه أرباً الأقسام الأربعة، لا محمود، ولا منصور .

١٠-ومن التوحيد عدم الانخداع بخوارق العادات، فإن أكثر مخلوقٍ يتمتع بخوارق العادات هو المسيح الدجال .

الميزان الشرعي لمقياس الصلاح والتقوى والولاية هو الالتزام بأوامر الشرع والتقوى، وأما خوارق العادات فقد يعطيها الله لأوليائه كرامة ويعطيها للفاستق والعبادة استدراجاً فليست ميزاناً ولا مقياساً

قال يونس بن عبد الأعلى الصدفي : قلت للشافعي : إن صاحبنا الليث كان يقول : إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء فلا تعتبروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة ؟ فقال الشافعي : قصر الليث رحمه الله ، بل إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ، ويطير في الهواء ، فلا تعتبروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة .

١١-ولابد من تحقيق شروط لا إله إلا الله حتى تنفع يوم القيامة، وهي تسعة شروط:
١-الشرط الأول هو الكفر بالطاغوت، وهو كل دين أو نظام حكم يخالف الإسلام.

الدليل:

﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنِ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. البقرة ٢٥٦

٢-سبعة شروط مجموعة في قول الشيخ حافظ حكمي رحمه الله:

العلم، واليقين، والقبول *** والانقياد، فادر ما أقول
والصدق، والإخلاص، والمحبة *** وفقك الله لما أحبه

الدليل:

عن محمود بن ربيع رضي الله عنه قال : قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَتَنَغِي بِذَلِكَ وَجَهَ اللَّهُ.

رواه البخاري ومسلم

الآية 54 من سورة المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي
اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ...﴾

{فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} محمد ١٩

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
: "يا معاذُ بنَ جبلٍ ! ما من أحدٍ يشهدُ أن لا إله إلا الله ، وأنِّي رسولُ الله ، صدقًا
من قلبه إلا حَرَّمَهُ اللهُ على النارِ . قال : يا رسولَ الله ! أَفَلَا أُخْبِرُ الناسَ
فَيَسْتَبْشِرُوا ، قال : إِذَا يَتَكَلَّمُوا"

رواه البخاريّ ومسلم

٣-الشرط التاسع: شهادة أن محمدًا رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم.

{مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ...} هي الآية رقم 29 (الأخيرة) من سورة الفتح.

فمن فقد شرطًا من هذه الشروط التسعة لم يصح إيمانه، ولا تنفعه هذه الكلمة العظيمة عند الله في الآخرة، ويكون كمن صلى بغير وضوء وهو يعلم.

١٢-والكفر عدة أنواع:

(١)-كفر جحود: وهو إنكار الحق مع العلم به وبصدقه باطنًا، مثل جحود الله نفسه سبحانه (كما عند الملحدين)، أو جحود نبيه عليه الصلاة والسلام (كما عند أهل الكتاب الذين يعرفونه كما يعرفون أبناءهم)، أو جحود رسالة الله، أو جحود ركنٍ من أركان الإيمان أو أركان الإسلام، أو جحود معلوم من الدين بالضرورة.

(٢)-كفر الإنكار: وهو عدم الإقرار بالحق لجهلٍ أو معاندة.

(٣)-كفر التكذيب: وهو جحود الحق ظاهرًا وباطنًا.

(٤)-كفر الإباء والاستكبار: وهو عدم الانقياد للحق رغم معرفته، مثل كفر إبليس الذي أبى واستكبر رغم أنه كان يتكلم مع الله تعالى.

(٥)-كفر الشك: وهو عدم الجزم بصحة الإسلام وصدق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ويدخل فيه تصحيح ديانات غير الإسلام واعتقاد أنها تنفع عند الله يوم القيامة.

(٦) -كفر النفاق: وهو إظهار الإيمان وإبطان الكفر، مثل كفر ابن سلول الذي كان يصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهذه الطائفة في الدرك الأسفل من النار .

(٧) -كفر الإعراض: يُعْرَضُ عن دين الله لا يهتم به ولا يتعلمه ولا يعمل به ولا يدعو إليه .

١٣-توحيد الربوبية لا يكفي للدخول في الإسلام ما لم يقترن بتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات، والتوحيد عقيدة متكاملة لا تقتصر على مجرد إثبات وجود الله، والإيمان منظومة شاملة لا تعني مجرد إثبات وجود الله تعالى، فحتى أبو جهل وأبو لهب كانوا يثبتون وجود الله، "ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنَّ الله" الزخرف ٨٧ .

"قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۖ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ" يونس ٣١

ومع ذلك هم كفار، لأنهم صرفوا عبادتهم لغير الله، أو لآلهة مزعومة مع الله تعالى، وقالوا "ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى" الزمر ٣ .

فالأنبياء والمرسلون عليهم السلام ما بُعِثُوا إلا ليقولوا للناس : "اعبدوا الله ما لكم من إله غيره" الأعراف ٥٩، ولم يكن المشركون ينكرون وجود الله أو ينكرون أنه خالق السماوات والأرض ، "ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولنَّ الله" لقمان

٢٥، "ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولنّ خلقهن العزيز العليم" الزخرف ٩، بل كل المعركة بين الرسل وأعدائهم هي على أفراد الله بالعبادة، وهو معنى لا إله إلا الله .

لا بد من تحقيق توحيد الربوبية (إثبات وجود الله وإفراده تعالى بالأفعال الخاصة بالرب، مثل الخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة والتشريع)، ولا بد كذلك من تحقيق توحيد الألوهية (وهو أفراد الله تعالى بالقصد والتوجه والعبادات الظاهرة والباطنة)، ولا بد من إثبات توحيد الأسماء والصفات (وهو أفراد الله بأسمائه الحسنی وصفات العلى)، وبهذه الثلاثة مجتمعة معاً في آنٍ واحدٍ يصير العبد مسلماً مؤمناً موحداً .

١٤-ومن التوحيد عدم تصحيح دين غير المسلم مطلقاً، ومن التوحيد عدم تكفير المعين من المسلمين وإن وقع في الكفر القولي أو العملي أو الاعتقادي إلا بعد إقامة الحجة واستيفاء الشروط وانتفاء الموانع .

فالله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز : "إن الدين عند الله الإسلام" آل عمران ١٩، ويقول سبحانه وتعالى : "ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين" آل عمران ٨٥ .

والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول : "الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد" رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه .

ولا يصح مصطلح "الأديان السماوية"، لأنه لا يوجد دين سماوي إلا الإسلام، فجميع الأنبياء كانوا مسلمين، وكانوا يدعون إلى الإسلام، وإنما كانت تختلف شرائعهم.

واليهودية والنصرانية الموجودتان حالياً ديانتان محرفتان، وليستا الدين الذي أنزل على موسى عليه السلام ولا على عيسى عليه السلام.

فموسى عليه السلام كان مسلماً، قال تعالى: "وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين" يونس ٨٤، والسحرة بعد إيمانهم بموسى عليه السلام قالوا: "ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين"، الأعراف ١٢٦.

وقال تعالى على لسان يعقوب-وهو النبي إسرائيل عليه السلام، "أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي، قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون" البقرة ١٣٣.

حتى فرعون كان يعلم أن دين موسى هو الإسلام، ولما أحب أن يتوب قال: "آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين" يونس ٩٠، ولكن الله تعالى قضى أن لا يقبل التوبة في ثلاث حالات:

عند معاينة العذاب، وإذا بلغت الروح الحلقوم، وإذا طلعت الشمس من مغربها.

نسأله بعفوه وفضله حسن الخاتمة.

١٥-ومن التوحيد عدم التقرب للجن رغباً أو رهباً، وعدم التقرب للأولياء رغباً أو رهباً، وعدم التقرب للقبور رغباً أو رهباً، وعدم التقرب للقصور رغباً أو رهباً.

بل التقرب رغباً ورهباً لا يكون إلا لله تعالى، قال تعالى: "إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ" الأنبياء ٩٠.

وقال تعالى: "وادعوه خوفاً وطمعاً، إن رحمت الله قريبٌ من المحسنين" الأعراف ٥٦.

١٦-ومن التوحيد عدم إهانة كلمة الله، أو أسمائه، أو صفاته، أو شريعته، أو ملائكته أو أنبيائه عليهم السلام.

وهذا من المعلوم من الدين بالضرورة.

١٧-ومن التوحيد عدم الاستعانة بالجن، أو تسخيرهم، أو الاستسلام لهم، أو العمل معهم أو لهم، أو استخدامهم.

لأن هذا هو منهج السحرة، والسحرة كي يتحصلوا على معونة الجن لا بد أن يكفروا، قال تعالى: "وما يعلمان من أحدٍ حتى يقولوا إنما نحن فتنَةٌ فلا تكفر" البقرة ١٠٢

١٨-ومن التوحيد عدم استعمال السحر، وعدم اللجوء إليه، وعدم الخوف منه، وعدم الاعتماد عليه.

عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تَطَيَّرَ لَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تَكُهَّنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ، وَمَنْ عَقَدَ عُقْدَةً، وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

حسن، رواه البزار والدولابي والطبراني.

١٩-ومن التوحيد عدم استعمال الرقى الشريكية، أو الأدعية البدعية، أو الأرواح الشيطانية.

بل الرقية الشرعية تكون بكلام الله، أو بأسمائه وصفاته، أو بالأدعية والأذكار الثابتة في القرآن والسنة.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: "بَعَثْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَرِيَّةٍ، فَمَرَرْنَا عَلَى أَهْلِ أَبْيَاتٍ فَاسْتَضَفْنَاهُمْ، فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُونَا، فَنَزَلُوا بِالْعَرَاءِ، فَلَدَغَ سَيِّدُهُمْ، فَاتُّوْنَا فَقَالُوا: هَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ يَرْقِي؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا أَرْقِي، قَالُوا: أَرِقِ صَاحِبَنَا، قُلْتُ: لَا، قَدْ اسْتَضَفْنَاكُمْ فَأَبَيْتُمْ أَنْ تُضَيِّفُونَا، قَالُوا: فَإِنَّا نَجْعَلُ لَكُمْ جُعْلًا، قَالَ: فَجَعَلُوا لِي ثَلَاثِينَ شَاةً، قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَجَعَلْتُ أَمْسَحُهُ وَأَقْرَأُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ حَتَّى بَرَأَ، فَأَخَذَ الشَّاءَ، فَقُلْنَا: نَأْخُذْهَا وَنَحْنُ لَا نُحْسِنُ نَرْقِي، فَمَا نَحْنُ بِالَّذِي نَأْكُلُهَا حَتَّى نَسْأَلَ عَنْهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَيْنَاهُ فَذَكَّرْنَا ذَلِكَ لَهُ، قَالَ: فَجَعَلَ

يقول: "وما يُدريك أنها رُفِيَّةٌ؟" قال: قُلْتُ: يا رسولَ الله، ما درَيْتُ أنها رُفِيَّةٌ، شيءٌ ألقاه الله في نفسي، فقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "كُلُوا واضربوا لي معكم بسنهم"؛ حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم.

٢٠- ومن التوحيد عدم الاعتراف بالأحكام المخالفة لشرع الله، وعدم تنفيذها، وعدم احترامها، وعدم التسليم لها أو القبول بها.

لقوله تعالى: "إِن الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ۖ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" يوسف ٤٠

٢١- ومن التوحيد عدم الاعتراف بالأنظمة الكفرية المخالفة لشرع الله تعالى، وعدم إطاعتها أو مسايرتها أو قبول منهجها أو التسليم لسلطانها.

لقوله تعالى: "فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ" البقرة ٢٥٦

ولقوله تعالى: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا" النساء ٦٠

٢٢- ومن التوحيد عدم التحاكم للقوانين الوضعية المخالفة لشرع الله تعالى، وعدم الحكم بها، وعدم الاعتداد أو الاعتراف بها، وعدم احترامها أو تعظيمها أو الاستسلام لها.

لقوله تعالى: " فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا" النساء ٦٥

٢٣-ومن التوحيد إظهار الكفر بالطواغيت، وعدم إطاعتهم أو الركون لهم أو تعظيمهم أو تحسينهم للعامة .

لقوله تعالى : "قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ" الممتحنة ٤

٢٤-ومن التوحيد إظهار الكفر بكل دين يخالف دين الإسلام .

لقوله تعالى : " إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ" آل عمران ١٩

٢٥-ومن التوحيد عدم ابتداع الأذكار والأدعية المخالفة لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : " فَإِنْ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ بَدْعٍ ضَلَالَةٌ [ورد بزيادة] وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ" رواه مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

٢٦-ومن التوحيد عدم الطواف بالقبور، أو الذبح لها، أو النذر لها، وعدم فعل هذه العبادات بجوار القبور حتى وإن كانت النية التقرب لله تعالى، بل صرف كل هذه العبادات لله تعالى وحده بعيداً عن أي مكان يُعبد فيه غير الله تعالى .

عن ثابت بن الضحاك □ قال : " نذر رجل أن ينحر إبلا ببوانة، فسأل النبي ﷺ فقال: هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يُعبد؟ قالوا: لا . قال: فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟ قالوا: لا . فقال رسول الله ﷺ: أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم" رواه أبو داود .

ولقوله تعالى : "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" الفاتحة ٥

٢٧-ومن التوحيد عدم التعلق بالقبور أو الأولياء أو الجن أو الملائكة أو الأنبياء عليهم السلام، بل التعلق والتوكل يكون على الله تعالى وحده .

لأن كل من عدا الله تعالى لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعًا ولا ضرًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا .

لقوله تعالى "وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا" الفرقان ٣

٢٨-ومن التوحيد جعل المساجد لله، وتنزيهاها عن الشريك، وتطهيرها من الصور والأوثان والقبور، وعدم تسخيرها للترويج لغير الله تعالى .

لقوله تعالى : "وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا" الجن ١٨

٢٩-ومن التوحيد الكفر بالطاغوت، والكفر بعبادة القبور، والكفر بالقوانين الوضعية المخالفة لما أنزل الله تعالى .

لقوله تعالى : "مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا" الكهف ٢٦

ولقوله تعالى : " قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ۚ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا" الكهف ١١٠

ولقوله تعالى : "وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" القصص ٨٨

٣٠-ومن التوحيد الإيمان بأن النجوم والأبراج لا تعلم الغيب ولا تصنعه ولا قدرة لها على تغيير ما قدره الله تعالى .

لقوله تعالى : ”قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ“ النمل ٦٥

٣١-ومن التوحيد الإيمان أن النجوم والأبراج لا دور لها في حياة الناس، إلا بإذن الله الكوني .

لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : ” من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد“ رواه أبو داود وابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما .

٣٢-ومن التوحيد الإيمان أنه لا يعلم الغيب إلا الله تعالى، وأن الشياطين إذا استرقوا السمع فإن ذلك يكون بإذن الله الكوني ابتلاءً لعباده .

لقوله تعالى : ”قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ“ النمل ٦٥

ولقوله تعالى : ” إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ“ الحجر ١٨

٣٣-ومن التوحيد الكفر بالتنجيم والعرافة والكهانة التي تدعي علم الغيب أو التأثير في الكون استقلالاً .

فقد روى مسلم في صحيحه قوله صلى الله عليه وسلم: من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة . وقد رواه أحمد بلفظ: من أتى عرافاً فصدقه بما يقول لم تقبل له صلاة أربعين يوماً . وقد صححه الأرنؤوط , وثبت أخطر من هذا في حديث المسند: من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد . وقد صححه الألباني والأرنؤوط .

٣٤-ومن التوحيد الإيمان بأن الذي ينزل المطر هو الله تعالى وحده، ونسبة ذلك لله وحده، بقول: مُطَرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ .

عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال : صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحَدِيثِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءَ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ : (هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبِّكُمْ ؟) قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ : مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ : مُطِرْنَا بِنُوءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ (رواه البخاري ومسلم .

٣٥-ومن التوحيد أن نؤمن أن من هداه الله فقد هداه بفضلِهِ وَرَحْمَتِهِ، لا باستحقاق العبد .

وأن من أضله الله فقد أضله بعدله وحكمته، لا يظلم الناس شيئاً سبحانه .

قال تعالى :

”قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنْابَ“ الرعد ٢٧

٣٦-ومن التوحيد أن نؤمن أن الله يهدي من يعلم ألا أنه أهلٌ للهداية، ويضل من يعلم ألا أنه أهلٌ للإضلال .

قال تعالى : ”مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ “ الأعراف ١٨٦

٣٧-ومن التوحيد أن نؤمن أن الله بعلمه وحكمته يهدي من يشاء ويضل من يشاء .

قال تعالى : ”مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا وَلِيَّكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ “ الأعراف ١٧٨

٣٨-ومن التوحيد أن نؤمن أن الله يهدي العبد، فيهديهِ اللهُ هُدًى .

أو أنه سبحانه يُضل العبد، فيضل، فيزيده ضلالاً .

جاء في حديث ابن مسعود: إِنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستهديه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِ الله فلا مُضِلَّ له، وَمَنْ يُضِلَّ الله فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الحديث بتمامه رواه الإمام أحمد وأهل السنن وغيرهم .

٣٩-ومن التوحيد أن نؤمن أن من اهتدى فبهداية الله له، ومن ضل فبإضلال الله له .
قال تعالى : "مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّ اللهُ فَاُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ" الأعراف ١٧٨

وفي الآية الأخرى: " وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا" الكهف ١٧
وقال -جلّ وعلا-: " لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ " البقرة ٢٧٢
وقال سبحانه: " إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ " القصص ٥٦
يعني: الهداية التي معناها التوفيق لقبول الحق وإيثاره والرضا به، هذه بيد الله، لا يملكها أحدٌ .

٤٠-ومن التوحيد أن نؤمن أن الله يهدي من يشاء برحمته، ويضل من يشاء بعدله .

قال تعالى : "وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" النور ٤٦
٤١-ومن التوحيد أن نؤمن أنه من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له .

من دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم : " اللهم لك الحمد كله ، اللهم لا قابض لما بسطت ، ولا باسط لما قبضت ، ولا هادي لمن أضللت ، ولا مضل لمن هديت ، ولا معطي لما منعت ، ولا مانع لما أعطيت " رواه أحمد والنسائي .

٤٢-وينافي التوحيد تلاوة الكتب المحرفة طلباً للنفع أو دفعاً للضرر .

جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم : حين أتاه عمر فقال : إنا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا، أفترى أن نكتب بعضها؟ فقال : أمتهكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى؟ لقد جنتكم بها بيضاء نقية ولو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي . رواه أحمد والبيهقي في كتاب شعب الإيمان، وهو حديث حسن . وفي رواية: أن النبي صلى الله عليه وسلم غضب حين رأى مع عمر صحيفة فيها شيء من التوراة وقال أفي شك أنت يا ابن الخطاب ألم أت بها بيضاء نقية، لو كان أخي موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي .

٤٣-وينافي التوحيد التبرك بالصليب أو أي من الأوثان طلباً للشفاء أو دفعاً للبلاء .

عن مصعب بن سعد، عن عدي بن حاتم، قال : أتيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وفي عُقِّي صليبٌ من ذهب، فقال : يا عدي، اطرح هذا الوثنَ من عنقك ! قال : فطرحته، وانتهيت إليه وهو يقرأ في "سورة براءة"، فقرأ هذه الآية : (اتخذوا أحبارهم ورُهبانهم أرباباً من دون الله) . قال : قلت : يا رسول الله، إنا لسنا نعبدُهم ! فقال : أليس يحرمون ما أحلَّ الله فتحرمونه، ويحلُّون ما حرم الله فتحلُّونه؟ قال : قلت : بلى ! قال : فتلك عبادتهم .

أخرجه الطبراني والألباني وحسنه ابن تيمية والألباني .

٤٤-وينافي التوحيد أن يرقى بتعاويذ شركية تقريباً إلى الجن أو الشياطين أو الأوثان أو الأصنام .

الرقى تحرم إذا كانت مجهولة، أما إذا كانت الرقى معروفة ليس فيها شرك ولا ما يخالف الشرع فلا بأس بها؛ لأن النبي ﷺ رقى ورقى، وقال: لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً رواه مسلم .

لحديث النبي ﷺ: (إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتَّوَلَةَ شِرْكٌ) رواه أبو داود وأحمد .

قال في عون المعبود: قال الخطابي: وأما الرقى فالمنهي عنه هو ما كان منها بغير لسان العرب فلا يدرى ما هو ولعله قد يدخله سحراً أو كفراً، وأما إذا كان مفهوم المعنى وكان فيه ذكر الله سبحانه فإنه مستحب .

والتمايم: جمع تميمة، وهي ما يعلق على الأولاد من خرزات وعظام ونحو ذلك لدفع العين - سميت تميمة لاعتقادهم أنهم يتم أمرهم ويحفظون بها، وتعليق التمايم محرم وإن اعتقد في التميمة النفع والضر من دون الله عز وجل، فهذا شرك أكبر، وإن اعتقد أنها سبب للسلامة من العين أو الجن، فهذا شرك أصغر، لأنه جعل ما ليس سبباً سبباً .

وإذا كانت التميمة من القرآن، فقد اختلف أهل العلم في جواز تعليقها، والصحيح أنه لا يجوز، وبه قال ابن مسعود وابن عباس - رضي الله عنهما - وهو ظاهر قول حذيفة وعقبة بن عامر وابن عكيم .

قال القارى: والتولة بكسر التاء وبضم وفتح الواو نوع من السحر أو خيط يقرأ فيه من السحر أو قرطاس يكتب فيه شيء من السحر للمحبة أو غيرها شرك أي كل واحد منها قد يفضي إلى الشرك إما جلياً وإما خفياً .

٤٥-وينافي التوحيد أن يرقى بطلاسم غير مفهومة .

٤٦-وينافي التوحيد أن يطلب الرقية من غير مسلم .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

” وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى جَوَازِ الرُّقَى عِنْدَ اجْتِمَاعِ ثَلَاثَةِ شُرُوطٍ : أَنْ يَكُونَ بِكَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ ، وَبِاللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ أَوْ بِمَا يُعْرَفُ مَعْنَاهُ مِنْ غَيْرِهِ ، وَأَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ الرُّقِيَّةَ لَا تُؤَثِّرُ بِذَاتِهَا بَلْ بِذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى ” انتهى . من ” فتح الباري ”

والحاصل أنه ليست كل رقية نافعة ، وليس كل ما نفع من الرقى مقبول شرعا ؛ بل لا بد من توفر الشروط السابق ذكرها فيها ، أيا كان الراقي .

وإذا كان أهل العلم قد اشترطوا أن تكون الرقية باللسان العربي ، أو بما يعرف ، خشية أن يقع في كلام الراقي ما يكون شركا ، أو سببا من أسبابه ، من غير أن ينتبه المرقى ؛ فإن المشكلة تكون أعقد إذا كان الراقي من أهل الكتاب ، وهم أهل شرك ، والأصل فيهم أن يرقوا بما يوافق دينهم ، لا سيما إذا كانوا يرقون بلسان لا يعرفه المرقى ، ولا سيما - أيضا - إذا كان المرقى هو الذي ذهب إليهم في كنائسهم ، وبيعهم .

وهذا هو عمدة من منع من رقية أهل الكتاب للمسلمين ، من أهل العلم .

قال ابن عبد البر رحمه الله :

” كان مالك يكره رقية أهل الكتاب وذلك - والله عز وجل أعلم - بأنه لا يدري أيرقون بكتاب الله تعالى أو بما يضاهي السحر من الرقى المكروهة ” انتهى . من ” الاستذكار ” (376/9) ..

يجوز للمسلم أن يرقى غير المسلم، ولا سيما إن كان يرجو من وراء ذلك دعوته للإسلام، ويدل لذلك ما رواه خارجة بن الصلت، عن عمه، أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم، ثم أقبل راجعا من عنده، فمرَّ على قوم عندهم رجل مجنون موثق بالحديد، فقال أهله: إنا حدثنا أن صاحبكم هذا قد جاء بخير، فهل عندكم شيء ندأويه؟ فرقيته بفاتحة الكتاب، فبرأ، فأعطوني مئة شاة، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته، فقال: "هل قلت غير هذا؟" قلت: لا، قال: "خذها، فلعمري لمن أكل برقية باطل، لقد أكلت برقية حق" رواه أبو داود. ورواه أحمد بلفظ: "إنا أنبئنا أنكم قد جئتم من عند هذا الرجل بخير، فهل عندكم من دواء أو رقية؟" وصححه ابن حبان والحاكم والألباني والأرنؤوط.

ونحو هذا الحديث حديث أبي سعيد الخدري المشهور في الصحيحين وغيرهما، في رقيته للديغ بسورة الفاتحة، والظاهر أنه لم يكن مسلما.

٤٧- وينافي التوحيد شد الرحال إلى أي قبر، ولو كان قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بل يشد الرحال للمسجد النبوي الشريف، فإذا صار هناك زار القبر الشريف تبعا لا استقلالاً.

مع تحذير النبي صلى الله عليه وسلم ونهيه عن اتخاذ القبور مساجد، فقد دعا ربه عز وجل أن لا يجعل قبره وثنا يُعبد. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اللهم لا تجعل قبري وثنا، لعن الله قوما اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) رواه أحمد. وفي رواية لأبي داود: (لا تجعلوا بيوتكم قبورا، ولا تجعلوا قברי عيداء، وصلُّوا عليَّ فإنَّ صلاتكم تبلغني حيث كنتم). وفي رواية لمالك في الموطأ وغيره - صححها بعض العلماء وضعفها آخرون - عن عطاء بن يسار: (اللهم لا تجعل قبري وثنا يُعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد).

٤٨- وينافي التوحيد التبرك بأي شيء أو شجر أو حجر أو قبر أو شخص، إلا النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

لإجماع الصحابة رضي الله عنهم على ترك التبرك بغير ذات النبي صلى الله عليه وآله وسلم رغم وجود المقتضي لذلك .

فمن تحصل على شيء يخص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كشعرة من لحيته الشريفة، أو عباءة لبسها، أو إناء شرب أو أكل فيه، جاز التبرك بهذا الشيء، وهذا من خصوصياته صلى الله عليه وآله وسلم .

٤٩-ويناقض التوحيد تعليق التمام (الحجاب) أو الخرزة الزرقاء أو "الخمسة أصابع" أو الحذاء أو الخيط أو الحلقة (الحظاظه) دفعًا للبلاء أو رفعه، أو منعًا للعين أو الحسد .

بل التوحيد هو التوكل على الله وتلاوة الأذكار المشروعة .

٥٠-وينافي التوحيد التقرب بالرقى الشركية لغير الله طلبًا للنفع أو دفعًا للضرر .

٥١-وينافي التوحيد التعلق بغير الله طلبًا للشفاء أو الرزق أو جلبًا للنفع أو دفعًا للضرر .

عن صهيب ؛ أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : «كان ملك -فيمن كان قبلكم- ، وكان له ساحر . فلما كبر ، قال للملك : إني قد كبرت ، فابعث إلي غلاما ، أعلمه السحر .

فبعث إليه : غلاما ، يعلمه . فكان في طريقه -إذا سلك- : راهب ، فقعد إليه ، وسمع كلامه ، فأعجبه . فكان إذا أتى الساحر : مر بالراهب ، وقعد إليه . فإذا أتى الساحر : ضربه .

فشكا ذلك إلى الراهب ؛ فقال : إذا خشيت الساحر ، فقل : حبسني أهلي . وإذا خشيت أهلك ، فقل : حبسني الساحر .

فبينما هو كذلك ، إذ أتى على دابة عظيمة ، قد حبست الناس .

فقال : اليوم ، أعلم : الساحر أفضل ، أم الراهب أفضل ؟

فأخذ حجرا ، فقال : اللهم ! إن كان أمر الراهب ، أحب إليك من أمر الساحر :
فاقتل هذه الدابة ، حتى يمضي الناس . فرماها ، فقتلها ، ومضى الناس . فأتى
الراهب ، فأخبره .

فقال له الراهب : أي بني ! أنت -اليوم- أفضل مني . قد بلغ من أمرك : ما
أرى .

وإنك ستبتلى . فإذا ابتليت : فلا تدل علي .

وكان الغلام يبئ : الأكمه ، والأبرص . ويداوي الناس : من سائر الأدواء .

فسمع جليس للملك -كان قد عمي- ، فأتاه بهدايا كثيرة ، فقال : ما هاهنا لك
«أجمع» ، إن أنت شفيتني . فقال : إني لا أشفي أحدا . إنما يشفي : الله . فإن
أنت آمننت بالله : دعوت الله ، فشفاك . فآمن بالله : فشفاه الله .

فأتى الملك ، فجلس إليه ، كما كان يجلس . فقال له الملك : من رد عليك بصرك
؟ قال : ربي .

قال : ولك رب غيري ؟ قال : ربي وربك : الله .

فأخذه ، فلم يزل يعذبه ، حتى دل على الغلام . فجاء بالغلام ، فقال له الملك :
أي بني !

قد بلغ من سحرك : ما تبرئ الأكمه ، والأبرص ، وتفعل ، وتفعل ؟

فقال : إني لا أشفي أحدا ، إنما يشفي : الله .

فأخذه ، فلم يزل يعذبه ، حتى دل على الراهب . فجاء بالراهب ، فقيل له :
ارجع عن دينك ، فأبى . فدعا بالمشتر ، فوضع المشتر في مفرق رأسه ، فشقه
به ، حتى وقع شقاه .

ثم جاء بجليس الملك ، فقيل له : ارجع عن دينك . فأبى ، فوضع المشتر في
مفرق رأسه ، فشقه به ، حتى وقع شقاه .

ثم جاء بالغلام ؛ فقيل له : ارجع عن دينك . فأبى ، فدفعه إلى نفر من أصحابه
، فقال : اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا ، فاصعدوا به الجبل ، فإذا بلغت ذروته - فإن
رجع عن دينه - ، وإلا فاطرحوه .

فذهبوا به ، فصعدوا به الجبل ، فقال : اللهم ! اكفنيهم بما شئت . فرجف بهم
الجبل ، فسقطوا . وجاء يمشي إلى الملك . فقال له الملك : ما فعل أصحابك ؟

قال : كفانيهم الله .

فدفعه إلى نفر من أصحابه ، فقال : اذهبوا به ، فاحملوه في قرقور ، فتوسطوا به البحر ، -فإن رجع عن دينه- ، وإلا فاقذفوه .

فذهبوا به ، فقال : اللهم ! اكفنيهم بما شئت ، فانكفأت بهم السفينة ، فغرقوا .

وجاء يمشي إلى الملك . فقال له الملك : ما فعل أصحابك ؟

قال : كفانيهم الله .

فقال للملك : إنك لست بقاتلي ، حتى تفعل ما أمرك به . قال : وما هو ؟

قال : تجمع الناس -في صعيد واحد- ، وتصلبني على جذع . ثم خذ سهما من كنانتي ، ثم ضع السهم في كبد القوس .

ثم قل : باسم الله ، رب الغلام . ثم ارمني . فإنك إذا فعلت ذلك : قتلتني .

فجمع الناس -في صعيد واحد- ، وصلبه على جذع ، ثم أخذ سهما من كنانته ، ثم وضع السهم -في كبد القوس- ثم قال : باسم الله ، رب الغلام ، ثم رماه ، فوقع

السهم في صدغه ، فوضع يده في صدغه ، في موضع السهم : فمات . فقال
الناس : آمنا برب الغلام . آمنا برب الغلام . آمنا برب الغلام .

فأتى الملك ، فقيل له : أرأيت ! ما كنت تحذر ، قد والله ! نزل بك حذر . قد
آمن الناس . فأمر بالأخدود -في أفواه السكك- ، فخذت ، وأضرمت النيران . وقال
: من لم يرجع عن دينه : فأحموه فيها . أو قيل له : اقتحم . ففعلوا . حتى
جاءت امرأة -ومعها صبي لها- ، فتقاعست : أن تقع فيها . فقال لها الغلام : يا
أمه ! اصبري . فإنك على الحق » (. رواه مسلم

٥٢-وينافي التوحيد أن يستخدم رقى شركية، بأن يستجلب النفع والشفاء من غير الله
تعالى .

٥٣-ومن كمال التوحيد عدم طلب الرقية من أحد "لا يسترقون"، ولا ينافي كمال
التوحيد أن يرقى المسلم نفسه، أو يرقى غيره دون طلب منه .

٥٤-ومن التوحيد الإيمان أن النار نوعان، نار عصاة الموحدين، وهذه يخرج منها
عصاة الموحدين بفضل الله بعد فترة من الزمن . .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
: "إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ وَأَمِنُوا ؛ ف [والذي نَفْسِي بِيَدِهِ !] ما مُجَادَلَةٌ
أَحَدِكُمْ لِصَاحِبِهِ فِي الْحَقِّ يَكُونُ لَهُ فِي الدُّنْيَا بِأَشَدَّ مِنْ مُجَادَلَةِ الْمُؤْمِنِينَ لِرَبِّهِمْ فِي
إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ أُدْخِلُوا النَّارَ . قال : يقولون : رَبَّنَا ! إِخْوَانُنَا كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا ،
وَيَصُومُونَ مَعَنَا ، وَيَحُجُّونَ مَعَنَا ، [ويجاهدون مَعَنَا] ، فَأَدْخَلْتَهُمُ النَّارَ . قال :
فيقول : اذْهَبُوا فَأَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ مِنْهُمْ ، فَيَأْتُونَهُمْ ، فَيَعْرِفُونَهُمْ بِصُورِهِمْ ، لا تَأْكُلُ
النَّارُ صُورَهُمْ ، [لم تغش الوجه] ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ النَّارُ إِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ ،
وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى كَعْبَيْهِ [فيخرجون منها بشرًا كثيرًا] ، فيقولون : رَبَّنَا ! قد
أَخْرَجْنَا مَنْ أَمَرْتَنَا . قال : ثُمَّ [يعودون فيتكلمون ف] يقول : أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ
فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ دِينَارٍ مِنَ الْإِيمَانِ . [فيخرجون خلقًا كثيرًا] ، ثُمَّ [يقولون : رَبَّنَا

! لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا . ثُمَّ يَقُولُ : ارْجِعُوا ، ف [مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ وَزُنْ نَصْفِ دِينَارٍ] فَأَخْرَجُوهُ . فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ، ثُمَّ يَقُولُونَ : رَبَّنَا ! لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا . . .] ، حَتَّى يَقُولَ : أَخْرَجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ . [فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا] ، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : فَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْ بِهَذَا الْحَدِيثِ فَلْيَقْرَأْ هَذِهِ الْآيَةَ : إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا [النساء / 40] ، قَالَ : فَيَقُولُونَ : رَبَّنَا ! قَدْ أَخْرَجْنَا مَنْ أَمَرْتَنَا ، فَلَمْ يَبْقَ فِي النَّارِ أَحَدٌ فِيهِ خَيْرٌ . قَالَ : ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ : شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ ، وَشَفَعَتِ الْأَنْبِيَاءُ ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ ، وَبَقِيَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ . قَالَ : فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ - أَوْ قَالَ : قَبْضَتَيْنِ - نَاسًا لَمْ يَعْمَلُوا لِلَّهِ خَيْرًا قَطُّ ؛ قَدْ اخْتَرَقُوا حَتَّى صَارُوا حُمَمًا . قَالَ : فَيُؤْتِي بِهِمْ إِلَى مَاءٍ يُقَالُ لَهُ : (الْحَيَاءُ) ، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ ، فَيَنْبُثُونَ كَمَا تَنْبُثُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ ، [قَدْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَى جَانِبِ الصَّخْرَةِ ، وَإِلَى جَانِبِ الشَّجَرَةِ ، فَمَا كَانَ إِلَى الشَّمْسِ مِنْهَا كَانَ أَخْضَرُ ، وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ كَانَ أَبْيَضُ] ، قَالَ : فَيُخْرِجُونَ مِنْ أَجْسَادِهِمْ مِثْلَ اللَّوْلُؤِ ، وَفِي أَعْنَاقِهِمُ الْخَاتَمُ ، (وَفِي رِوَايَةٍ : الْخَوَاتِمُ) : عَتَقَاءُ اللَّهِ . قَالَ : فَيَقَالُ لَهُمْ : ادْخُلُوا الْجَنَّةَ ؛ فَمَا تَمَنَّيْتُمْ وَرَأَيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ لَكُمْ [وَمِثْلُهُ مَعَهُ] . [فَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ : هَؤُلَاءِ عَتَقَاءُ الرَّحْمَنِ ادْخُلْهُمْ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ] . قَالَ : فَيَقُولُونَ : رَبَّنَا ! أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ . قَالَ : فَيَقُولُ : فَإِنَّ لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلَ مِنْهُ . فَيَقُولُونَ : رَبَّنَا ! وَمَا أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ ؟ [قَالَ :] فَيَقُولُ : رِضَائِي عَنْكُمْ ؛ فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ أَبَدًا" رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَهٍ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ .

أما نار الكفار والمشركين والمنافقين فهي باقية بأهلها أبد الأبد.

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : "يَجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ أَبُو النَّاسِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَأَسَجَدَ لَكَ مَلَائِكَتُهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ ذَنْبَهُ فَيَسْتَحِي، انْتُوا نَوْحًا؛ فَإِنَّهُ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ

سؤاله رَبِّه ما ليس له به عِلْمٌ فَيَسْتَحْي، فيقول: انتوا خَلِيلَ الرَّحْمَنِ، فيأتونه فيقول: لَسْتُ هُنَاكُمْ، انتوا موسى؛ عَبْدًا كَلَّمَهُ اللهُ وَأَعْطَاهُ التَّوْرَةَ، فيأتونه فيقول: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ قَتْلَ النَّفْسِ بِغَيْرِ نَفْسٍ، فَيَسْتَحْي مِنْ رَبِّه، فيقول: انتوا عيسى عَبْدَ اللهِ وَرَسُولَه، وَكَلِمَةَ اللهِ وَرُوحَه، فيقول: لَسْتُ هُنَاكُمْ، انتوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ عَبْدًا غَفَرَ اللهُ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وما تَأَخَّرَ، فيأتوني، فَأَنْطَلِقُ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ عَلَى رَبِّي، فيؤذَنُ لي، فإذا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ ساجِدًا، فيدْعُنِي ما شاء اللهُ، ثُمَّ يُقَالُ: ارفع رَأْسَكَ وَسلْ تُعْطَه، وَقُلْ يُسْمَعُ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعُ، فأرفعُ رَأْسِي، فأحمدهُ بِتَحْمِيدٍ يُعْلَمُنِيه، ثُمَّ أَشْفَعُ فيحْدُ لي حَدًّا، فأدخلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أعودُ إليه فإذا رَأَيْتُ رَبِّي مِثْلَه، ثُمَّ أَشْفَعُ فيحْدُ لي حَدًّا، فأدخلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أعودُ الرَّابِعَةَ، فأقول: ما بَقِيَ في النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَه الْقُرْآنُ، وَوَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ. قال أبو عبدِ اللهِ: إِلَّا مَنْ حَبَسَه الْقُرْآنُ، يَعْنِي قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: {خَالِدِينَ فِيهَا} رواه البخاريّ ومسلم.

٥٥-ومن التوحيد الإيمان أن للجنة درجات، وللنار دركات .

روى الترمذي وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها درجة، ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة، ومن فوقها يكون العرش، فإذا سألتهم الله فاسألوه الفردوس . صححه الألباني . وفي رواية: إن في الجنة مائة درجة لو أن العالمين اجتمعوا في إحداهن لوسعتهم .

وفي الصحيحين وغيرهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم، قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: بلى، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين .

وقال تعالى في حق المنافقين: " إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا " النساء ١٤٥

٥٦-ومن التوحيد الإيمان بأن الجنة والنار باقيتان أبد الأبدين بإبقاء الله لهما لا بذواتهما .

ورد قوله تعالى "خالدين فيها أبداً" في الكتاب العزيز في أحد عشر موضعاً، منها ثمانية مواضع في شأن أهل الجنة، وثلاثة مواضع في شأن أهل النار .

ففي أهل الجنة قال تعالى:

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ (النساء)

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ۖ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ (النساء)

قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ (المائدة)

خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ (التوبة)

وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ (التوبة)

يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ۚ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ۚ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ (التغابن)

رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿١١﴾ (الطلاق)

جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (٨٠ البينة)

وفي أهل النار قال تعالى:

إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (١٦٩ النساء)

خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٦٥ الأحزاب)

إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ ۚ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا (٢٣ الجن)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "يُؤْتَى بِالموتِ كَنْشًا أَعْرَ فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فيُقالُ ، يا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ ، ويقال : يا أَهْلَ النَّارِ ، فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ ، وَيَرَوْنَ أَنَّ قَدْ جاءَ الْفَرْجُ ، فَيَذْبَحُ ، ويقالُ : خُلُودٌ لا مَوْتَ" رواه البخاري وأحمد والترمذي وابن ماجه .

٥٧-ومن التوحيد الإيمان بأن الشفاعة العظمى (المقام المحمود) كي يأتي الله لفصل القضاء، ليست لأحد سوى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

قال تعالى: وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّخْمُودًا {الإسراء: ٧٩}

قال ابن كثير في تفسيره: قوله: وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ - أمر له بقيام الليل بعد المكتوبة، كما ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه سئل: أي الصلاة أفضل بعد المكتوبة؟ قال: صلاة الليل - ولهذا أمر تعالى رسوله بعد المكتوبات بقيام الليل، فإن التهجّد: ما كان بعد نوم، قاله علقمة، والأسود وإبراهيم النخعي، وغير واحد وهو المعروف في لغة العرب، وكذلك ثبتت

الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه كان يتهدج بعد نومه، عن ابن عباس، وعائشة، وغير واحد من الصحابة - رضي الله عنهم - كما هو مبسوط في موضعه، والله الحمد والمنة، وقال الحسن البصري: هو ما كان بعد العشاء، ويحمل على ما بعد النوم، واختلف في معنى قوله: نَافِلَةٌ لَكَ - فقل: معناه أنك مخصوص بوجوب ذلك وحدك، فاجعلوا قيام الليل واجباً في حقه دون الأمة، رواه العوفي عن ابن عباس، وهو أحد قولي العلماء، وأحد قولي الشافعي - رحمه الله - واختاره ابن جرير، وقيل: إنما جعل قيام الليل في حقه نافلة على الخصوص، لأنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وغيره من أمته إنما يكفر عنه صلواته النوافل الذنوب التي عليه، قاله مجاهد، وهو في المسند عن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - وقوله: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا - أي: افعل هذا الذي أمرتك به لنقيمك يوم القيامة مقاما يحمذك فيه الخلاق كلهم وخالقهم تبارك وتعالى، قال ابن جرير: قال أكثر أهل التأويل: ذلك هو المقام الذي يقومه صلى الله عليه وسلم يوم القيامة للشفاعة للناس، ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم. انتهى.

٥٨-ومن التوحيد الإيمان بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأهل الكبائر من أمته.

فإن الحديث: "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي" رواه أبو داود والترمذي بسند صحيح، وقد ورد من طرق كثيرة، وورد في الصحيحين ما يشهد له، من ذلك ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة" متفق عليه. وفي رواية لمسلم: "فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً".

٥٩-ومن التوحيد الإيمان بأنه لا شفاعة لأحد عند الله إلا بشروط:

١-إن الله للشافع، قال تعالى: "مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ" البقرة ٢٥٥

٢-رضا الله عن المشفوع فيه، قال تعالى: "وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ" الأنبياء ٢٨.

٣- اتفاق قدر الشفاعة مع شرع الله، فلا شفاعة لمشرك بأن يخرج من النار، لأن الله قد قضى ألا أن المشرك يخلد في النار .

ولم يثبت في الشرع الشريف شفاعة لمشرك، خلا شفاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عمه أبي طالب، فخفف عنه العذاب، إلا أنه خالد في النار لبقائه على الشرك حتى مات عليه .

٦٠- هذا التقسيم، تقسيم التوحيد إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات، هي طريقة عريقة عند علماء السلف منذ أكثر من ألف عام، وهي أيسر طريقة لفهم التوحيد وبناء الملكة والقدرة على تشخيص الشرك بالأدلة الشرعية .

٦١- من أوائل من أشار إليه: ذكر ابن بطة (ت ٣٨٧) في الإبانة أن أصل الإيمان ثلاثة أشياء: الاعتقاد بربانيته، ووجدانيته (الألوهية)، ووصفه بالصفات .

٦٢- أصل التقسيم: هو "استقراء" لمواضع الآيات والأحاديث، تماماً كما قسم النحاة الكلمة إلى (اسم، فعل، حرف) .

قال تعالى:

رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۖ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا
مريم ٦٥

٦٣- هذه الطريقة في دراسة التوحيد أقدم من إنشاء الأزهر الشريف نفسه، فهي موجودة منذ القرن الرابع الهجري قبل بناء الجامع الأزهر (٣٦١ هجرية) .

٦٤- تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام (ربوبية، ألوهية، أسماء وصفات) ليس من اختراع عالم واحد، بل هو نتاج استقراء وتتبع نصوص الكتاب والسنة من قبل علماء السلف، وقد أشار إليه ورسخه جماعة من العلماء، من أبرزهم ابن بطة (ت 387هـ) في

”الإبانة الكبرى” وابن منده (ت 395هـ) في ”التوحيد”، قبل أن يشتهر استخدامه بكثرة عند شيخ الإسلام ابن تيمية .

٦٥-تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام، يفيد في تشخيص المشكلة عند المشرك، هل المشكلة عنده في الربوبية أم في الألوهية أم في الأسماء والصفات؟ وكل مرض من هذه الأمراض له علامات تدل عليه، وله طريقة للعلاج .

فما يصلح لهذا لا يصلح لذاك .

وتشخيص وعلاج هذه الأمراض يحتاج لمشرط جراح يعرف متى وأين وكيف يستعمل مشرطه .

وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

٦٦-حتى نفهم أهمية تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام، لك أن تعلم أن كفار قريش كانوا يقولون بتوحيد الربوبية، ”ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنَّ الله“،

وقال تعال : ” قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ” يونس ٣١

ولكن كان عندهم شرك في الألوهية، كانوا يعبدون غير الله ويقولون ”ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى“ .

٦٧-تقسيم التوحيد إلا ثلاثة أقسام:

١-توحيد الربوبية (أو توحيد المعرفة والإثبات) .

٢-توحيد الألوهية (أو توحيد القصد والطلب) .

٣-توحيد الأسماء والصفات .

هو تقسيم اصطلاحي، كطريقة من طرق التدريس .

وبعض المدارس العلمية تقسمه إلى قسمين :

١- التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي (توحيد المعرفة والإثبات) : وهو توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات .

٢- التوحيد الطلبي القصدي الإرادي (توحيد القصد والطلب) : وهو توحيد الألوهية .

٦٨- تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام لتيسير دراسته وتحقيق استيعابه ليس بدعة، لأنه وسيلة، والوسائل لها أحكام المقاصد .

فمثلاً علم النحو والصرف لم يكن موجوداً على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهل نقول إنه بدعة؟، لا، بل هو وسيلة لتعليم الناس قواعد اللغة لتجنب اللحن (الخطأ في التلاوة) .

٦٩- الأزهر الشريف يستخدم علم الكلام في دراسة التوحيد، وهي طريقة صعبة جداً، إلى جانب أنها لا تخلو من مخالفات شرعية، والإمام الشافعي رحمه الله وغيره كثير من العلماء ذموا علم الكلام ونهوا عنه .

٧٠- تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام دل عليه الاستنباط من النصوص الشرعية، قال تعالى : "قل أعوذ برب الناس، ملك الناس، إله الناس"

أعوذ برب الناس: توحيد الربوبية

ملك الناس: توحيد الأسماء والصفات

إله الناس: توحيد الألوهية

٧١-تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام دل عليه الاستنباط من النصوص الشرعية، قال تعالى :”الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين” .

الحمد لله رب العالمين: توحيد الربوبية

الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين: توحيد الأسماء والصفات

إياك نعبد وإياك نستعين: توحيد الألوهية

٧٢-تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام دل عليه الاستنباط من النصوص الشرعية، قال تعالى :”ربُّ السَّمٰوٰتِ والأَرْضِ وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته، هل تعلم له سَمِيًّا”

سَمِيًّا: شبيهها في أسمائه أو صفاته

ربُّ السَّمٰوٰتِ والأَرْضِ وما بينهما: الربوبية

فاعبده واصطبر لعبادته: الألوهية

هل تعلم له سَمِيًّا: الأسماء والصفات

٧٣-تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام هو تقسيم اصطلاحي لتيسير الدراسة، ليس إلا .
وهناك مدرسة علمية تقسمه لقسمين فقط .

وهذا يشبه (في طريقة الدراسة) تقسيم علم البلاغة إلى ثلاثة أقسام: المعاني، والبيان، والبدیع .

٧٤-ومن التوحيد: الإيمان أن الله يتكلم حقيقةً، بحرفٍ وصوت، وأنه تعالى كلم موسى كلامًا حقيقيًا، وسمعه موسى الكليم عليه السلام.

قال تعالى: "وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا" النساء ١٦٤

٧٥-ومن التوحيد: الاشتياق لرؤية وجه الله الكريم، وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم.

عن عمار بن ياسر رضي الله عنه، يقول :

(أَمَّا إِنِّي قَدْ دَعَوْتُ فِيهِمَا - يعني في الركعتين - بِدُعَاءٍ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو بِهِ : اللَّهُمَّ بَعْلَمِكَ الْغَيْبُ ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ ، أَخْبَنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي ، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي ، أَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، وَكَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا ، وَالْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى ، وَلَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ ، وَمِنْ فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ ، اللَّهُمَّ زَيِّنَا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مَهْدِيَّينَ)

رواه أحمد في " المسند " ورواه النسائي في " السنن " وفي لفظه بعض الزيادة :

(أَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بَعْدَ الْقَضَاءِ ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ ، فِي غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ) وصححه الشيخ الألباني في " صحيح النسائي

٧٦-ومن التوحيد: الإيمان بأن الله تعالى له وجه، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام، وأنه وجه حقيقي، لا يشبه وجه المخلوق.

قال تعالى : وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ القصص / ٨٨

كَمَا قَالَ تَعَالَى : كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (الرَّحْمَنُ : ٢٦ ، ٢٧)

وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَالتَّوْرِيُّ فِي قَوْلِهِ : كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ أَيُّ : إِلَّا مَا أُريدَ بِهِ وَجْهَهُ ، وَحَكَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ كَالْمُقَرَّرِ لَهُ .

و"ابن كثير" يثبت وجه الله والنظر إليه ، قال في تفسير قوله تعالى : (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) ، "يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّ لِمَنْ أَحْسَنَ الْعَمَلِ فِي الدُّنْيَا بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ أَبَدْلُهُ الْحُسْنَى فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ [الرَّحْمَنُ : 60] .

وَقَوْلُهُ : وَزِيَادَةٌ هِيَ تَضْعِيفُ ثَوَابِ الْأَعْمَالِ بِالْحَسَنَةِ عَشْرَ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ ، وَزِيَادَةٌ عَلَى ذَلِكَ أَيْضًا ، وَيَشْمَلُ مَا يُعْطِيهِمُ اللَّهُ فِي الْجَنَانِ مِنَ الْقُصُورِ وَالْحُورِ وَالرِّضَا عَنْهُمْ ، وَمَا أَخْفَاهُ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ .

وَأَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ وَأَعْلَاهُ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ ، فَإِنَّهُ زِيَادَةٌ أَعْظَمُ مِنْ جَمِيعِ مَا أُعْطَوْهُ ، لَا يَسْتَحِقُّونَهَا بِعَمَلِهِمْ ، بَلْ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ .

وَقَدْ رُويَ تَفْسِيرُ الزِّيَادَةِ بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ الْكَرِيمِ ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ،
وَحُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ . قَالَ الْبَغَوِيُّ : وَأَبُو مُوسَى وَعُبَادَةُ بْنُ
الصَّامِتِ وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي لَيْلَى ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَابِطٍ
، وَمُجَاهِدٌ ، وَعِكْرَمَةُ ، وَعَامِرُ بْنُ سَعْدٍ ، وَعَطَاءٌ ، وَالضَّحَّاكُ ، وَالْحَسَنُ ، وَقَتَادَةُ ،
وَالسُّدِّيُّ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، وَغَيْرُهُمْ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ .

وَقَدْ وَرَدَتْ فِي ذَلِكَ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ” .

وصفة ”الوجه“ ثابتة لله تعالى ، وهو : ” صفة ذاتية خبرية لله عز وجل ثابتة
بالكتاب والسنة .

الدليل من الكتاب :

1- قوله تعالى : وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ الْبَقَرَةُ / 272 .

2- وقوله : وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ الرَّعْد / 22 .

الدليل من السنة :

1- حديث ابن مسعود رضي الله عنه : ”لما قَسَمَ النبي صلى الله عليه وسلم الغنائم
يوم حنين ، وقال رجل : والله إنَّ هذه قسمة ما عدل فيها ، وما أريد فيها وَجْه الله
... ” البخاري (3150) ، ومسلم (1062) .

2 - حديث ابن عمر رضي الله عنهما في الثلاثة الذين حُيسُوا في الغار ، فقال كل واحد منهم : (اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ؛ ففرج عنا ما نحن فيه ...). البخاري (2272) ، ومسلم (2743) .

3- حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : (... إنك لن تخلف فتعمل عملاً تبتغي به وجه الله ؛ إلا ازددت به درجة ورفعة ...) البخاري (6733) ، ومسلم (1628) .

قال إمام الأئمة ابن خزيمة في "كتاب التوحيد" (25/1) بعد أن أورد جملة من الآيات تثبت صفة الوجه لله تعالى : "فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر ؛ مذهبنا : أنا نثبت لله ما أثبتته

الله لنفسه ، نقر بذلك بألسنتنا ، ونصدق ذلك بقلوبنا ؛ من غير أن نشبه وجهه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين ، عز ربنا أن يشبه المخلوقين ، وجل ربنا عن مقالة المعطلين" .

وقال الحافظ ابن منده في "كتاب التوحيد" (36/3) : "ومن صفات الله عز وجل التي وصف بها نفسه قوله : كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ، وقال : وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيز بوجهه الله من النار والفتن كلها ، ويسأل به ... " ، ثم سرد أحاديث بسنده ، ثم قال : " بيان آخر يدل على أنَّ العباد ينظرون إلى وجه ربهم عز وجل " ، وسرد بسنده ما يدل على ذلك .

وقال قَوَّامِ السُّنَّةِ الأصفهاني في "الحجة" (1/199) : " ذكر إثبات وَجْه الله عَزَّ وَجَلَّ الذي وصفه بالجلال والإكرام والبقاء في قوله عَزَّ وَجَلَّ : وَيَبْقَى وَجْه رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ " .

٧٧-ومن التوحيد: الإيمان أن الله ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير .

لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ

(الشورى ١١) .

٧٨-ومن التوحيد: الإيمان أن الله تعالى مستوٍ (عالٍ) فوق عرشه، بائنٌ من خلقه، لا يحل في شيء من خلقه، ولا يتحد مع شيء من خلقه .

قال تعالى:

إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۚ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۚ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤ الأعراف﴾

إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ۚ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣ يونس﴾

اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۚ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۚ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢ الرعد﴾

الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴿٥٩ الفرقان﴾

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤ السجدة﴾

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤ الحديد)

(الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) (سورة طه، الآية 5) .

٧٩-ومن التوحيد: الإيمان أن الله في السماء بذاته، مطلع على كل مكان بصفاته.

وأنه تعالى فوق العرش، والعرش سقف المخلوقات .

٨٠-ومن التوحيد عدم التشبه بغير المسلمين .

قال ابن القيم رحمه الله:

« وقد حمى النبي ﷺ جانبَ التوحيد أعظم حماية، حتى نهى عن صلاة التطوع لله سبحانه عند طلوع الشمس وعند غروبها، لئلا يكون ذريعةً إلى التشبه بعُباد الشمس الذين يسجدون لها في هاتين الحالتين... »

• ابن القيم | الداء والدواء ص (٣٠٨-٣٠٩)

٨١-ومن التوحيد عدم شد الرحال إلى أي قبرٍ وتكلف زيارته .

فالحديث رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، ومسجد الأقصى."

٨٢-ومن التوحيد عدم اتخاذ القبور عيداً يزورها بصورة متكررة أو في الأعياد .

٨٣-ومن التوحيد عدم الغلو في قبور الصالحين، وعدم إظهارها وتعظيمها والبناء عليها وتزيينها .

عن أبي وائل عن أبي الهياج الأسدي قال قال لي علي بن أبي طالب ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته [ص: 667]

نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُجَصَّصَ الْقَبْرُ، وَأَنْ يُقَعَّدَ عَلَيْهِ، وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ .

خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

الراوي : جابر بن عبدالله | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم | الصفحة
أو الرقم : 970

٨٤-ومن التوحيد تجنب عبادة الله عند القبور، فضلاً عن عبادة القبور أو المقبور .

وذلك سدا لذريعة الشرك .

والدليل حديث بوانة

عن ثابت بن الضحاك □ قال: " نذر رجل أن ينحر إبلا ببوانة، فسأل النبي ﷺ فقال: هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يُعبد؟ قالوا: لا . قال: فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟ قالوا: لا . فقال رسول الله ﷺ: أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم" رواه أبو داود . وإسناده على شرطهما .

وقول الله تعالى: لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا [التوبة:108]

٨٥-ومن التوحيد تجنب القبور، وعدم زيارتها إلا لأجل العبرة .

زيارة القبور سنة رغب الشرع فيها لما فيها من تذكر الموت والآخرة والاعتبار والاتعاظ بحال من سبق والسلام على المؤمنين والدعاء لهم، وقد ندب النبي صلى الله عليه وسلم لزيارتها وعلل ذلك بتذكيرها الآخرة كما في الحديث: (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الآخرة)

ولزيارة القبور آداب منها:

1- السلام على أهلها المؤمنين، والدعاء لهم، فعن بريدة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر، فكان قائلهم يقول: (السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون، أسأل الله لنا ولكم العافية) رواه مسلم.

2- عدم الجلوس عليها، لما روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لأن يجلس أحدكم على جمرة فتمزق ثيابه حتى تخلص إلى جلده، خير له من أن يجلس على قبر) رواه مسلم.

3- أن لا يمشي بينها بنعال سبتية (وهي المدبوغة بالقرظ؛ سميت بذلك لأن شعرها قد سبت عنها، أي حلق وأزيل)، فعن بشير بن الخصاصية أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً يمشي بين القبور في نعليه، فقال: "يا صاحب السبتيتين ألقهما" رواه أبو داود، وعلل الخطابي رحمه الله كراهة ذلك لما فيه من الخيلاء، فإن هذه النعال لباس أهل الترفه والتنعيم، وزائر القبور ينبغي أن يكون على زي التواضع ولباس أهل الخشوع.

وليس لزيارة القبور وقت محدد تستحب فيه، فهذه آداب زيارة القبور، فينبغي للمسلم أن يتحلى بها، ويدع الخرافات والبدع التي أحدثت عند زيارتها.

٨٦-ومن التوحيد عدم الغلو في العلماء والصالحين، لأن بداية الشرك كانت بسبب الغلو في العلماء والصالحين .

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (كان بين نوح وآدم عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين) .

قال الله تعالى عن قوم نوح: وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا [نوح: 23] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما عن الأسماء المذكورة في الآية الكريمة: (أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تُعبد، حتى إذا هلك أولئك وتَنَسَّخَ الْعِلْمُ عُبِدَت) .

قال ابن تيمية: (المشركون الذين وصفهم الله ورسوله بالشرك، أصلهم صنفان: قوم نوح، وقوم إبراهيم .

فقوم نوح كان أصل شركهم العكوف على قبور الصالحين، ثم صَوَّروا تماثيلهم، ثم عبدوهم .

وقوم إبراهيم كان أصل شركهم عبادة الكواكب والشمس والقمر، وكل من هؤلاء وهؤلاء يعبدون الجن؛ فإن الشياطين قد تخاطبهم وتعيثهم على أشياء، وقد يعتقدون أنهم يعبدون الملائكة وإن كانوا في الحقيقة إنما يعبدون الجن؛ فإن الجن هم الذين يعينونهم ويرضون بشركهم؛ قال تعالى: وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِبْرَاهِيمَ كَانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ [سباء: 40-41]) .

٨٧-ومن التوحيد أن نؤمن أن هداية القلوب لا يقدر عليها إلا الله وحده، أما هداية البيان والإيضاح فيقدر عليها الأنبياء والعلماء .

إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (56)
القصص، أي هداية القلوب، وهي هداية التوفيق والثبات .

وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (52) الشورى، أي هداية البيان والدعوة والإيضاح وإقامة الحجة .

٨٨-ومن التوحيد الإيمان بأن قلوب العباد بين أصبُعَيْنِ من أصابع الرحمن، يقلبها كيف يشاء .

فقد روى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك .

قال ابن عباس في قوله تعالى: وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ {الأنفال: 24} قال يحول بين المؤمن وبين المعصية التي تجره إلى النار، وقال الحسن، وذكر أهل المعاصي هانوا عليه فعصوه ولو عزوا عليه لعصمهم .

وقد ذكر العيني في شرح البخاري، وابن كثير في التفسير أن ابن عباس قال: يحول بين المؤمن وبين الكفر، وبين الكافر وبين الإيمان .

٨٩-ومن التوحيد الإيمان بأن لله تعالى يدين، لا تشبه أيدينا، وهما مبسوطتان، ينفق كيف يشاء .

وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۚ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ الْمائدة ٦٤

وعن أبي موسى - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ، حتى تطلع الشمس من مغربها ، . رواه مسلم .

يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل .

والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة، والسموات مطوياتٌ بيمينه .

٩٠-ومن التوحيد الإيمان بوجه الله، الجميل الجليل، الذي لا يشبهه شيء، حجاب النور، لو كشف لأحرقت سبحات وجهه من انتهى إليه بصره من خلقه .

رواه مسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله عز وجل لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط، ويرفعه، ويرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجاب النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه .

٩١-ومن التوحيد الإيمان أن الهداية المثبتة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم "وإنك لتهدي إلى صراطٍ مستقيم": هي هداية البيان وإقامة الحجة، أما هداية التوفيق فهي لله وحده .

٩٢-ومن التوحيد الإيمان بأن هداية القلوب ليست لأحدٍ إلا لله تعالى، وأن العبد محتاجٌ لهداية الله له وتنبيته على الصراط "اهدنا الصراط المستقيم" .

٩٣-ومن التوحيد الإيمان أن أحدًا ليس له عند الله شفاعة إلا بإذن الله للشافع ورضاه سبحانه عن المشفوع فيه، وأن أحدًا لا يستطيع أن يكره الله - سبحانه - على شيءٍ لا يريده .

٩٤-ومن التوحيد الإيمان أن الله تعالى لا يحتاج لأحدٍ في تدبير ملكه، وأنه سبحانه "ما له منهم من ظهير" .

قال الله تعالى: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ ۚ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ} سبأ ٢٢
قال قتادة في قوله : (وما له منهم من ظهير) ، من عون يعينه بشيء .

٩٥-ومن التوحيد الإيمان بأن الله تعالى لم يتخذ شريكاً له في ملكه أو ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه أو صفاته .

{ وَمَا لَهُمْ } - أي: لتلك الآلهة الذين زعمتم { فِيهِمَا } - أي: في السماوات والأرض، { مِنْ شِرْكٍَ } - أي: لا شرك قليل ولا كثير ، فليس لهم ملك ، ولا شركة ملك .

٩٦-ومن التوحيد الإيمان بأن أي شيء دون الله لا يملك مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، وأن الملك الحقيقي لكل شيء في الكون هو الله تعالى وحده .

{ قُلْ } يا أيها الرسول ، للمشركين بالله غيره من المخلوقات ، التي لا تنفع ولا تضر ، ملزماً لهم بعجزها ، ومبيناً لهم بطلان عبادتها: { ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ } - أي: زعمتموهم شركاء لله ، إن كان دعاؤكم ينفع، فإنهم قد توفرت فيهم أسباب العجز ، وعدم إجابة الدعاء من كل وجه، فإنهم ليس لهم أدنى ملك ف { لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ } على وجه الاستقلال ، ولا على وجه الاشتراك .

٩٧-ومن التوحيد: الإيمان بأن الشياطين لا تستطيع أن تعلم شيئاً من علم الله إلا بإذن الله، ابتلاءً واختباراً من الله تعالى لعباده .

وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ (5) الملك

٩٨-ومن التوحيد: الإيمان بأن الله قد يهدي أي شخص للإسلام، والإيمان بأن أي عبد من عباد الله (ولو كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم) ليس له من الأمر (أمر الهداية للإسلام) شيء، إلا هداية البيان والإيضاح.

٩٩-ومن التوحيد إفراؤ الله بالدعاء، قال تعالى: "ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك".

إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (14) فاطر

١٠٠-ومن التوحيد هجران الأماكن التي يُعبد فيها غير الله.

وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَفْعَلُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (140) النساء.

١٠١-ومن التوحيد عدم تقديم القربان لغير الله تعالى.

قال سلمان رضي الله عنه: "دخل الجنة رجل في ذبابٍ ودخل النار رجل في ذبابٍ قالوا: كيف ذلك يا رسول الله؟ قال: مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزُهُ أحدٌ حتى يقربَ له شيئاً، فقالوا لأحدهما: قرب فقال: ليس عندي شيءٌ أقربُ، قالوا له: قرب ولو ذباباً، فقرب ذباباً، فخلوا سبيله فدخل النار، وقالوا للآخر: قرب فقال: ما كنتُ لأقربَ لأحدٍ شيئاً دون الله عزَّ وجلَّ فضربوا عنقه فدخل الجنة" رواه أحمد وابن أبي شيبة.

١٠٢-ومن التوحيد عدم النذر أو الذبح لغير الله، فلا يذبح للجن أو الأولياء أو غيرهما، ولا ينذر لمقبور أو ولي أو نبي.

قال ابن المنذر في "الإجماع": "وأجمعوا أن كل من قال: إن شفى الله علي، أو قدم غائبي، أو ما أشبه ذلك، فعلي من الصوم كذا، ومن الصلاة كذا، فكان ما قال، أن عليه الوفاء بنذره". وقد مدح الله تعالى في كتابه العزيز عباده الأبرار، ووعدهم الأجر والمثوبة، وذكر من صفاتهم الوفاء بالنذر، فقال سبحانه: {إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا * يُوفُونَ بِالْأَنْذَرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا} (الإنسان: 5:7). قال ابن كثير: "قوله: {يُوفُونَ بِالْأَنْذَرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا} أي: يتعبدون لله فيما أوجبه عليهم من فعل الطاعات الواجبة بأصل الشرع، وما أوجبه على أنفسهم بطريق النذر". وقال السعدي: " {يُوفُونَ بِالْأَنْذَرِ} أي: بما ألزموا به أنفسهم لله من النذور والمعاهدات، وإذا كانوا يوفون بالنذر، وهو لم يجب عليهم إلا بإيجابهم على أنفسهم، كان فعلهم وقيامهم بالفروض الأصلية، من باب أولى وأحرى".

والنذر لغير الله تعالى شرك بالله سبحانه، لأنه عبادة يجب صرفها لله تعالى وحده، فمن صرفها لغيره فقد أشرك، والذين ينذرون لغير الله تعالى، سواء كان للأمم من الأنبياء والأولياء أو لغيرهم من الأحياء والأموات، إنما يفعلون ذلك عن اعتقاد باطل، فيعتقدون أن هذا النذر يجلب لهم النفع أو يدفع عنهم الضرر، ومنهم من يقدم تلك النذور إلى الأولياء وغيرهم من أجل أن تقربهم عند الله زلفى، قال الله تعالى: {أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} (الزمر: 3).

١٠٣-ومن التوحيد ترك التبرك بالأشجار أو الأحجار أو القبور.

١٠٤-ومن التوحيد إخلاص النية لله وترك الرياء.

١٠٥-ومن تحقيق التوحيد تمام التوكل على الله، والامتناع عن التطير والاكتواء والاسترقاء.

١٠٦-ومن التوحيد الإيمان بأن الله يعطي من يشاء رحمةً منه وفضلًا، ويمنع من يشاء حكمةً منه وعدلاً.

١٠٧-ومن التوحيد أن نؤمن أن كل أفعال الله خير، وأن الشر قد يكون في مفعولاته لا في أفعاله؛ فتقدير الله للشر خير، وخلق الله للشر خير، والشر قد يكون في مخلوقاته لا في نفس الفعل الذي هو الخلق، وقد يكون الشر في بعض مقدراته لا في نفس الفعل الذي هو التقدير.

١٠٨-ومن التوحيد أن لا نسأل بوجه الله إلا الجنة.

١٠٩-ومن التوحيد أن لا نستشفع بالله على أحدٍ من خلقه، لأن الله هو رب العالمين ومالك الملك وملك الملوك، وهو أعظم وأجل وأكبر من أن نجعله سبحانه وسيلة للوصول إلى أحدٍ من خلقه.

١١٠-ومن التوحيد عدم التألي على الله، وهو الجزم بأن شخصًا معينًا في الجنة أو في النار، إلا ما أتى به الدليل.

١١١-ومن التوحيد الكفر بكل الأديان عدا دين الإسلام.

١١٢-ومن التوحيد الإيمان بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو خاتم الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، لا نبي بعده.

١١٣-ومن التوحيد معرفة الفرق بين الربوبية والألوهية

نفرق بين الربوبية والألوهية:

الله تعالى يعامل عباده في الدنيا بالربوبية، فيعطي من يشاء من عباده ما شاء من متاع الدنيا سواء كان عبده مؤمناً أو كافرًا، ويمنع من يشاء من عباده سواء كان عبده مؤمناً أو كافرًا .

أما في الآخرة، فإن الله تعالى يعامل الناس بالألوهية، فمن حقق توحيد الألوهية في الدنيا على منهج عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم أدخله الله الجنة، ومن أخل بتوحيد الألوهية وأشرك الشريك الأكبر بعد علمه بالرسالة وأصر على الكفر ومات على ذلك أدخله الله النار .

١١٤-ومن التوحيد الإيمان بأن الغيب لا يعلمه إلا الله، وهو الغيب المطلق، كمتى الساعة .

أما الغيب النسبي فقد يخفى على البعض ويعلمه البعض الآخر، كمن يقيم في مكان ولا يعلم ما يقع بمكان آخر، ولكن أهل المكان الآخر يعلمون ما يجري عندهم .

١١٥-ومن التوحيد أن يكون المرء بما في يدي الله أوثق مما في يد نفسه .

١١٦-ومن التوحيد عدم الاستعانة بغير الله، ولكن يجوز الاستعانة بالمخلوق فيما يقدر عليه .

مثل الغلام الذي كان يضربه سيده والغلام يقول أعوذ بالله، فلما رأى الغلام رسول الله قال أعوذ برسول الله، فأقره رسول الله وأعاده ومنعه من سيده .

صلى الله عليه وآله وسلم .

١١٧-ومن التوحيد عدم الخوف من الجن أو السحرة أو الكهان، وعدم إطاعتهم في معصية الله تعالى .

١١٨-ومن التوحيد عدم التعلق بغير الله في دفع ضرر أو جلب نفع، فلا يتعلق المسلم بتميمة ولا تولة (حظاظة)، ولكن يأخذ بالأسباب ويتوكل على الله تعالى .

١١٩-ومن التوحيد أن نؤمن أن الله يهدي العبد فيهتدي، أو يُضِلَّ العبد فيضلّ .

١٢٠-ومن التوحيد أن نؤمن أن من اهتدي فبتوفيق الله وتنبيته، وأن من ضل فبخذلان الله له واستغناء الله عنه .

١٢١-ومن التوحيد أن نؤمن أن الله يهدي من يشاء رحمةً منه وفضلًا، ويضل من يشاء حكمةً منه وعدلاً .

١٢٢-ومن التوحيد الإيمان بأن الله وحده يملك النفع والضرر .

وأن الناس لو أرادوا ضرك، وأراد الله نفعك، لجعل الله في ضرهم إياك نفعك .

١٢٣-ومن التوحيد احترام أسماء الله الحسنى وعدم إهانتها بأي شكل .

١٢٤-ومن التوحيد عدم التسمي بقاضي القضاة أو ملك الملوك أو شاهنشاه .

١٢٥-ومن التوحيد عدم سب الدهر

١٢٦-ومن التوحيد ترك الحلف بغير الله،

ومن التوحيد الرضا بيمين الله .

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :
" من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك"، أخرجه أبو داود (3251)، والترمذي (1535) واللفظ له، وأحمد (6072) .

وعنه رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : " سَمِعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يَحْلِفُ بِأَبِيهِ فَقَالَ : لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حَلَفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِاللَّهِ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ" .

أخرجه ابن ماجه (2101) واللفظ له، وأحمد (4523) بنحوه

١٢٧-ومن التوحيد الكفر بالطاغوت، وهو كل ما عبد من دون الله وهو راضٍ بذلك، ومن الطاغوت القانون الوضعي المخالف لشرع الله .

قال ابن كثير رحمه الله: وقوله : (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم) أي : من خلع الأنداد والأوثان وما يدعو إليه الشيطان من عبادة كل ما يعبد من دون الله ، ووحد الله فعبدته وحده وشهد أن لا إله إلا هو (فقد استمسك بالعروة الوثقى) أي : فقد ثبت في أمره واستقام على الطريقة المثلى والصراط المستقيم .

قال أبو القاسم البغوي : حدثنا أبو روح البلدي حدثنا أبو الأحوص سلام بن سليم ، عن أبي إسحاق عن حسان هو ابن فائد العبسي قال : قال عمر رضي الله عنه : إن الجبت : السحر ، والطاغوت : الشيطان ، وإن الشجاعة والجبن غرائز تكون في الرجال ، يقاتل الشجاع عمن لا يعرف ويفر الجبان من أمه ، وإن كرم الرجل دينه ، وحسبه خلقه ، وإن كان فارسيا أو نبطيا . وهكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث الثوري عن أبي إسحاق عن حسان بن فائد العبسي عن عمر فذكره .

ومعنى قوله في الطاغوت : إنه الشيطان قوي جدا فإنه يشمل كل شر كان عليه أهل الجاهلية ، من عبادة الأوثان والتحاكم إليها والاستنصار بها ..

١٢٨-ومن التوحيد ترك التحاكم للقانون الوضعي المخالف لشرع الله .

قال ابن القاسم في حاشيته على كتاب التوحيد: دلت على أن من أطاع غير الله في تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحله فقد اتخذ ربا ومعبودا، وجعله لله شريكا، وذلك ينافي التوحيد، فكل معبود رب، وكل مطاع ومتبع على غير ما شرعه الله ورسوله فقد اتخذ المطيع ربا ومعبودا، والرب هو المعبود، ولا يطلق معرفا إلا على الله تعالى، قال تعالى: {وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ} وهذا وجه مطابقة الآية للترجمة . اهـ .

وقال العلامة الشنقيطي في أضواء البيان عند قوله تعالى: (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله) [الشورى: 10]: ما دلت عليه هذه الآية الكريمة من أن ما اختلف فيه الناس من الأحكام فحكمه إلى الله وحده لا إلى غيره، جاء موضحاً في آيات كثيرة، فالإشراك بالله في حكمه كالإشراك به في عبادته، قال في حكمه: (ولا يشرك في حكمه أحداً) [الكهف: 26]. وفي قراءة ابن عامر من السبعة (ولا تشرك في حكمه أحداً) ، وقال في الإشراك به في عبادته (ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) فالأمران سواء كما ترى إيضاحه إن شاء الله، وبذلك تعلم أن الحلال ما أحله الله، وأن الحرام ما حرمه الله، والدين هو ما شرعه الله، فكل تشريع من غيره باطل، والعمل به بدل تشريع الله عند من يعتقد أنه مثله، أو خير منه كفر بواح لا نزاع فيه، وقد دل القرآن في آيات كثيرة على أنه لا حكم لغير الله، وأن اتباع تشريع غيره كفر به، فمن الآيات الدالة على أن الحكم لله وحده قوله تعالى: (إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين) [الأنعام: 57] وقوله تعالى: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) [المائدة: 44] وقوله تعالى: (كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون) [القصص: 88] والآيات بمثل ذلك كثيرة جداً كقوله تعالى: (إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) [النحل: 100] وقوله تعالى: (وإن أطعتموهم إنكم لمشركون) [الأنعام: 121] وقوله تعالى: (ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان) [يس: 60] والآيات بمثل ذلك كثيرة جداً . انتهى .

ولكنه لا يكفر الشخص المعين إلا بعد استيفاء شروط التكفير، فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية معلقاً على آية اتخذوا أبحارهم . . . : فمن أطاع أحداً في دين لم يأذن الله به من تحليل أو تحريم أو استحباب أو إيجاب فقد لحقه من هذا الذم نصيب كما يلحق الأمر الناهي، ثم قد يكون كل منهما معفوا عنه فيتخلف الذم لفوات شرطه أو وجود مانعه وإن كان المقتضي له قائماً، ويلحق الذم من تبين له الحق فتركه أو قصر في طلبه فلم يتبين له، أو أعرض عن طلبه لهوى أو كسل ونحو ذلك . انتهى .

١٢٩-ومن التوحيد تحليل ما أحل الله، وتحريم ما حرم الله .

يحرم على المسلم التحليل والتحريم دون استناد للشرع لما فيه من الافتراء على الله تعالى، فقد قال الله تعالى: وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ. {النحل:116} .
ولأن القول على الله بغير علم جاء في القرآن الكريم مقرونا بأكبر الكبائر وأعظم الذنوب، قال الله تعالى: قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ. {الأعراف:33} .

ومن المعلوم قطعاً أن التشريع المطلق -تحريماً وتحليلاً وتشريعاً- إنما هو حق خالص لله تعالى .

قال الله تعالى: قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلالاً قُلْ اللَّهُ أَدِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ. {يونس:59} . وقال تعالى: أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ. {الشورى:21} . وقال الله تعالى: وَلَا يُشْرِكْ فِي حُكْمِهِ أَحَدٌ {الكهف:26} .

وقال سبحانه: إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ. {يوسف:40} . وقال سبحانه: أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَنْعُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ. {المائدة:50}

وقال الله تعالى: إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ. {الأنعام:57} ، وقال: وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ. {الشورى:10} . وقال تعالى: فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً. {النساء:59} .

١٣٠-ومن التوحيد عدم إطاعة العلماء والأمراء في معصية الله .

وأما العلماء فهم لا يحلون ولا يحرمون من تلقاء أنفسهم، ولكنهم يبينون الأحكام حسب ما يستنبطون من نصوص الوحي . ولذلك أمر الله تعالى بسؤالهم فقال: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ. [النحل:43] . وقال تعالى : وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ. [النساء: 83] وقال عز وجل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ. {النساء:59} .

وأولوا الأمر قال ابن عباس وجابر رضي الله عنهم: هم الفقهاء والعلماء الذين يَعْلَمُونَ الناس معالمَ دينهم . وهو قول الحسن والضحاك ومجاهد . كما ذكر البغوي في تفسيره .

والواجب على المسلم الوقوف عند حدود الله تعالى، وإذا بين له الحكم الشرعي في أمر أو مسألة أن يقول: سمعنا وأطعنا، فهذه صفات المؤمنين كما جاءت في نصوص الوحي من القرآن والسنة، ومتى ظهر الدليل وجب الأخذ به ولا يجوز العدول عنه، ولا عذر لأحد عند الله في اتباع قول يعلم أن الدليل ثابت بخلافه، ومن فعل ذلك لزمته التوبة والرجوع للحق، وإن تعصب للباطل فاطاع المبطلين مع علمه بحكم الله لحقه نصيب من الذم المذكور في قوله تعالى: اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ {التوبة:31} . فعن عدي بن حاتم قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال يا عدي اطرح عنك هذا الوثن، وسمعتة يقرأ في سورة براءة: اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ . قال أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه . رواه الترمذي وحسنه الألباني .

١٣١-ومن التوحيد إخلاص النية في القول والعمل، وعدم إرادة الدنيا .

قال صلى الله عليه وسلم: إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو

امراً ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه . متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو حديث متفق على صحته، أخرجه الأئمة المشهورون إلا مالكا وهو يعني أن الأمور تبع لمقاصدها، فالذي يدعي أنه يهاجر إلى الله ورسوله وهو يريد غرضاً آخر، فإنه مذموم من حيث كونه يظهر من العبادة خلاف ما يبطن .

١٣٢- ومن التوحيد ترك الكبر، لأنها صفة الله .

بين حقيقة الكبر النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه مسلم وأحمد وغيرهما من حديث عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً، قال النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس . ومعنى بطر الحق: دفعه وإنكاره ترفعاً وتجبراً . ومعنى غمط الناس: احتقارهم . وفي هذا الحديث بيان أن محبة الإنسان أن يكون ثوبه حسناً ومركبه حسناً ونحو ذلك ليس من الكبر ولا من العجب المنهي عنه، قال الإمام الغزالي في الإحياء 3/371: العجب هو استعظام النعمة والركون إليها مع نسيان إضافتها إلى المنعم . انتهى .

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (قال الله عز وجل : الكبرياء ردائي ، والعظمة إزاري ، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار) ، وروي بألفاظ مختلفة منها (عذبتة) و (وقصمته) ، و (ألقيته في جهنم) ، و (أدخلته جهنم) ، و (ألقيته في النار) الحديث أصله في صحيح مسلم وأخرجه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان في صحيحه وغيرهم وصححه الألباني .

١٣٣-ومن التوحيد ترك البطر والرياء .

قال تعالى:

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۚ
وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾... [سورة الأنفال: 47]

قال السعدي:

{وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ}
أي: هذا مقصدهم الذي خرجوا إليه، وهذا الذي أبرزهم من ديارهم لقصد الأشر
والبطر في الأرض، وليراهم الناس ويفخروا لديهم . والمقصود الأعظم أنهم خرجوا
ليصدوا عن سبيل الله من أراد سلوكه، {وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ} فلذلك أخبركم
بمقاصدهم، وحذركم أن تشبهوا بهم، فإنه سيعاقبهم على ذلك أشد العقوبة . فليكن
قصدكم في خروجكم وجه الله تعالى وإعلاء دين الله، والصد عن الطرق الموصلة
إلى سخط الله وعقابه، وجذب الناس إلى سبيل الله القويم الموصل لجنت النعيم .

١٣٤-ومن التوحيد ترك النياحة وعدم لطم الخدود أو شقّ الجيوب .

رواه مسلم في صحيحه عن أبي مالك الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن الفخر في الأحساب، والطعن في
الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة، وقال: النائحة إذا لم تتب قبل موتها، تقام يوم
القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب .

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ليس مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ) رواه البخاري.

١٣٥-ومن التوحيد الصبر على أقدار الله.

أما الرضا فهو مستحب وفضيلة.

فإن الصبر على المقدور من المصائب واجب باتفاق العلماء، وأما الرضا: فهو منزلة أعلى من الصبر، وقد اختلف العلماء في حكم الرضا بالمصائب، هل هو واجب؟ أم مستحب؟ والراجح أنه مستحب، وليس بواجب، فقد قال شيخ الاسلام في مجموع الفتاوى - 10- 40:

وأما الرضا: فقد تنازع العلماء، والمشايخ من أصحاب الإمام أحمد، وغيرهم في الرضا بالقضاء: هل هو واجب، أو مستحب؟ على قولين: فعلى الأول يكون من أعمال المقتصدين، وعلى الثاني يكون من أعمال المقربين، قال عمر بن عبد العزيز: الرضا عزيز، ولكن الصبر معول المؤمن. وقد روي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال لابن عباس: إن استطعت أن تعمل لله بالرضا مع اليقين، فافعل، فإن لم تستطع، فإن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا.

انتهى.

والفرق بين الصبر والرضا: أن الصبر كف النفس، وحبسها عن التسخط، مع وجود الألم، وأما الرضا: فهو انشراح الصدر، وسعته عند وقوع المصيبة، وإن وجد الإحساس بأصل الألم، قال ابن رجب في نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي -صلى الله عليه وسلم- لابن عباس:

وقوله -صلى الله عليه وسلم-: واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً - وفي رواية عمر مولى غفرة، عن ابن عباس زيادة قبل هذا الكلام، وهي: فإن استطعت أن تعمل لله بالرضا في اليقين، فافعل، وإن لم تستطع، فإن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً... فإذا نظر المؤمن بالقضاء، والقدر في حكمة الله، ورحمته، وأنه غير متهم في قضائه، دعاه ذلك إلى الرضا بالقضاء، وقال الله: ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه {التغابن 11} قال علقة في هذه الآية: هي المصيبة تصيب الرجل، فيعلم أنها من عند الله، فيسلم لها، ويرضى - وفي الحديث الصحيح، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يقضي الله للمؤمن من قضاء، إلا كان خيراً له، إن أصابته سراء شكر، كان خيراً له، وإن أصابته ضراء فصبر كان خيراً له، وليس ذلك إلا للمؤمن - وقد دل القرآن على مثل هذا المعنى، في قوله تعالى: قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين {التوبة 51، 52} فأخبر أنه لن يصيبهم إلا ما كتب لهم، فدل على أنه لهم بكل حال، سواء كان مما يلائم، أو لا يلائم، وأخبر أنه تعالى مولاهم، ومن تولاه الله لم يخذله، بل هو يتولى مصالحه، قال تعالى: وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير {الأنفال 40} ثم عقب ذلك بقوله: قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين {التوبة 52} يعني إما النصر، والظفر، وإما الشهادة، وأيهما كان، فهو حسن، وخرج الترمذي، من حديث أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي، فله الرضا، ومن سخط، فله السخط... وللرضا بالقضاء أسباب:

منها: يقين العبد بالله، وثقته بأنه لا يقضي للمؤمن قضاءً، إلا وهو خير له، فيصير كالمريض المستسلم للطبيب الحاذق الناصح، فإنه يرضى بما يفعله به، من مؤلم، وغيره، لثقته به، ويقينه أنه لا يريد له إلا الأصلح...

ومنها: النظر إلى ما وعد الله من ثواب الرضا، وقد يستغرق العبد في ذلك حتى ينسى ألم المقضي به، كما روي عن بعض الصالحات من السلف: أنها عثرت، فانكسر ظفرها، فضحكت، وقالت: أنساني لذة ثوابه، مرارة ألمه.

ومنها: وهو أعلى من ذلك كله -الاستغراق في محبة المبتلي، ودوام ملاحظة جلاله، وجماله، وعظمته، وكماله، الذي لا نهاية له، فإن قوة ملاحظة ذلك يوجب الاستغراق فيه، حتى لا يشعر بالألم، كما غاب النسوة اللاتي شاهدن يوسف عن ألم تقطيع أيديهن بمشاهدته... .

والمقصود أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر ابن عباسٍ بالعمل لله بالرضا، إن استطاعه، ثم قال له: فإن لم تستطع، فإن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً - وهذا يدل على أن الرضا بالأقدار المؤلمة، ليس بحتم واجب؛ وإنما هو فضلٌ مندوبٌ إليه، فمن لم يستطع الرضا، فليلزم الصبر، فإن الصبر واجبٌ، لا بد منه، وفيه خيرٌ كثيرٌ، فإن الله تعالى أمر بالصبر، ووعد عليه جزيل الأجر، قال تعالى: إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب {الزمر 10} وقال: وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون {البقرة 155 - 157} وقال تعالى: وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم {الحج 34، 35} قال الحسن: الرضا عزيز، ولكن الصبر معول المؤمن.

وحقيقة الفرق بين الصبر، والرضا: أن الصبر كف النفس، وحبسها عن التسخط مع وجود الألم، والرضا يوجب انشراح الصدر، وسعته، وإن وجد الإحساس بأصل الألم، لكن الرضا يخفف الإحساس بالألم، لما يباشر القلب من روح اليقين والمعرفة، وقد يزيل الإحساس به بالكلية على ما سبق تقريره، ولهذا، قال طائفةٌ كثيرةٌ من السلف، منهم عمر بن عبد العزيز، والفضيل، وأبو سليمان، وابن المبارك، وغيرهم: إن الراضي لا يتمنى غير حاله التي هو عليها، بخلاف الصابر - وقد روي عن طائفةٍ من الصحابة هذا المعنى أيضاً، وأنهم كانوا لا يتمنون غير ما هم عليه من الحال، منهم عمر، وابن مسعود .اهـ.

لكن الصبر منه صبرٌ اختياريٌّ محمودٌ، وهو صبر الكرام، ومنه صبرٌ اضطراريٌّ يقع بعد الجزع، وهو صبر اللئام، قال ابن القيم في عدة الصابرين: في الفرق بين صبر الكرام، وصبر اللئام: كل أحدٍ لا بد أن يصبر على بعض ما يكره، إما اختياراً، وإما اضطراراً: فالكريم يصبر اختياراً، لعلمه بحسن عاقبة الصبر، وأنه يحمد عليه، ويذم على الجزع، وأنه إن لم يصبر، لم يرد الجزع عليه فائتاً، ولم ينتزع عنه مكروهاً، وأن المقدور لا حيلة في دفعه، وما لم يقدر لا حيلة في تحصيله، فالجزع ضره أقرب من نفعه، قال بعض العقلاء: العاقل عند نزول المصيبة يفعل ما يفعله الأحمق بعد شهر... وقال بعض العقلاء: من لم يصبر صبر الكرام، سلا سلو البهائم... وأما اللئيم: فإنه يصبر اضطراراً، فإنه يحوم حول ساحة الجزع، فلا يراها تجدى عليه شيئاً، فيصبر صبر الموثق للضرب. اهـ.

١٣٦-ومن التوحيد عدم أمن مكر الله

قال تعالى:

أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (99)

فإذا أمن قلب المرء من مكر الله مطلقاً، قابله انعدام أصل الخوف من قلبه مطلقاً، فهما بمعنى واحد إذن، وكذلك إذا لم يأمن قلب المرء من مكر الله مطلقاً، فمعناه أن خوفه لم ينعدم من قلبه مطلقاً، يوضح ذلك جلياً الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله- في شرح العقيدة الطحاوية، عند قول الطحاوي -رحمه الله-: وَالْأَمْنُ، وَالْإِيَّاسُ يَنْقُلَانِ عَنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ، وَسَبِيلُ الْحَقِّ بَيْنَهُمَا لِأَهْلِ الْقِبْلَةِ.

فيقول شارحًا ذلك: الأمن يكون كُفْرًا إذا انعدم الخوف ... فمن كان عنده خوف قليل، ويأمن كثيرًا، فإنه من أهل الذنوب، لا من أهل الكفر، فإن لم يكن معه خوف أصلاً، فإنه كافر بالله - عز وجل - كما قال هنا: (يُنْقَلَانِ عَنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ) .

أما أهل التوحيد، أهل الذنوب من أهل القبلة، فإنهم يَقْدَرُ ما عندهم من الذنوب، يكون عندهم أَمْنٌ من مكر الله - عز وجل - . فإذا الأمن من مكر الله يتبعَضُ، لا يوجد جميعًا، ويذهب جميعًا؛ بل قد يكون في حق المعين أنه يخاف تارة، ويأمن تارة، يصحو تارة، ويغفل تارة ... وأما المَوْحِدُ الْمُعَيَّنُ من أهل الإيمان، فإنه بحسب قوة يقينه، يجتمع فيه أنه - يعني قد يكون عنده أَمْنٌ بحسب ذنوبه -، ومن كَمَلَ الإيمان، وحقَّقَ التوحيد، فإنه يخاف، ولا يأمن من مكر الله .

والأمن من مكر الله؛ يعني الأمن من استدراج الله - عز وجل - للعباد، وقد وصف الله - عز وجل - بعض عباده بقوله: سَتَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ { الأعراف: 182-183 } .

هذا الاستدراج يُحْدِثُ الأمن، وما عُدِبَتْ أمة إلا وقد أَمِنَتْ؛ لأنَّ الله - عز وجل - يبلوهم بالخيرات، ويبلوهم بالسيئات، ويبلوهم بالشر والخير فتنة، ثُمَّ هم لا يتوبون، ولا هم يَذَكَّرُونَ، فإذا وقع منهم الأمن، وقعت عليهم العقوبة، نسأل الله - عز وجل - لنا ولإخواننا العفو، والعافية . فهذا ضابط المسألة . انتهى باختصار .

١٣٧- ومن التوحيد عدم اليأس من رَوْحِ الله .

قال تعالى:

وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (87) يوسف

قال الطحاوي في عقيدته: والأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة. اهـ.

يعني بالإياس الإياس من رحمة الله، ومعناه هنا: انقطاع الرجاء والطمع في حصول رحمة الله بالكلية، وإلا فلو بقي معه أصل الرجاء لم يكن كفراً مخرجاً من الملة، بل هو كبيرة من الكبائر، فلا بد من ضابط للفرق بين اليأس الذي هو كفر واليأس الذي هو كبيرة

ولذلك قال الشيخ صالح آل الشيخ في (شرح الطحاوية): ومن المهم معرفة هذا الضابط؛ لأنه هو نكتة المسألة وعُقدُها، وهو: أَنَّ الأمن يكون كُفْراً إذا انعدم الخوف، واليأس يكون كُفْراً إذا انعدم الرجاء، فمن لم يكن معه خوف من الله عز وجل أصلاً - يعني أصل الخوف غير موجود - فقد أَمِنَ فهو كافر، ومن لم يكن معه رجاء في الله عز وجل أصلاً فقد يئس من روح الله فهو كافر. . الأمن لأجل عدم الخوف، واليأس لأجل عدم الرجاء، فمن كان عنده خوف قليل ويأمن كثيراً فإنه من أهل الذنوب لا من أهل الكفر، فإن لم يكن معه خوف أصلاً فإنه كافر بالله عز وجل، كما قال هنا: "يَنْقُلَانِ عَنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ" أما أهل التوحيد، أهل الذنوب من أهل القبلة، فإنهم يَقْدَرُ ما عندهم من الذنوب يكون عندهم أَمْنٌ من مكر الله عز وجل. . . وكذلك في اليأس من رَوْحِ الله يغلب على المرء الموحّد تارةً أنه ييأس إذا نظر إلى ذنبه، أو نَظَرَ إلى ما يحصل في مجتمعه أو ينظر إلى ما قضى الله عز وجل في هذه الأرض وعلى أهلها من الشرك مثلاً أو من الذنوب أو من الكبائر أو من القتل أو من الفساد، فيأتيه اليأس، فإنْ غَلَبَ عليه اليأس بحيث انعدم الرجاء لنفسه أو للناس فإنه يكفر بذلك. أما إذا وُجد عنده اليأس ووُجد عنده رجاء فإنه لا يخرج من الملة. اهـ.

وأما صور اليأس فكثيرة، جاء في (الموسوعة الفقهية): اليأس قد ينضم إليه حالة هي أشد منه، وهي التصميم على عدم وقوع الرحمة له، وهذا هو القنوط، بحسب ما

دل عليه سياق الآية: { وإن مسه الشر فيئوس قنوط } وتارة ينضم إليه أنه مع اعتقاده عدم وقوع الرحمة له يرى أنه سيشدد عذابه كالكفار . وهذا هو المراد بسوء الظن بالله تعالى . وقد ورد النهي عن اليأس من الرزق في مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم لحبة وسواء ابني خالد: "لا تيأسا من الرزق ما تهزهزت رءوسكما" .

وورد النهي عن القنوط بسبب الفقر والحاجة أو حلول المصيبة في مثل قوله تعالى: { وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون } أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون { .

وورد النهي عن اليأس من مغفرة الذنوب في قوله تعالى: { قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم } فإن الله تعالى لا يتعاضمه ذنب أن يغفره، فرحمته وسعت كل شيء . ومن أجل ذلك فالإنابة إلى الله تعالى مطلوبة، وباب التوبة إليه من الذنوب جميعا مفتوح للعبد ما لم يغرغر، أي حين ييأس من الحياة . اهـ .

١٣٨-ومن التوحيد اعتقاد أن المطر يحدث بفضل الله، وليس بالأنواء .

أما دراسة الطقس والتنبؤات الجوية فهي حلال .

١٣٩-ومن التوحيد الابتعاد عن المنجمين، وهم من يدعون علم الغيب عن طريق النجوم .

أما دراسة علم الفلك فهي حلال .

١٤٠-ومن التوحيد ترك التطير، وهو التشاؤم أو التفاؤل بالطير، ولم يحلّ من التفاؤل إلا الكلمة الطيبة والاسم الحسن.

١٤١-ومن التوحيد ترك إتيان السحرة والعرافين والكهان، وعدم تصديقهم في ادعاءاتهم.

١٤٢-ومن توحيد الله اعتقاد بطلان أي دين غير الإسلام، وأنه لا ينفع في الآخرة إلا الإسلام، وأن اليهود والنصارى كفار.

١٤٣-ومن التوحيد أن نطلب الجنة والمغفرة من الله وحده، وأن لا نطلبها من نبي أو ولي.

١٤٤-ومن التوحيد الإيمان بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يشفع في أصحاب الكبائر يوم القيامة، حتى يغفر الله لهم.

١٤٥-ومن التوحيد الإيمان بجميع الرسل عليهم السلام، وأن من كفر برسول واحد فقد كفر بجميع الرسل.

١٤٦-ومن التوحيد الإيمان بأنه لا يشفع مخلوق عند الله إلا بإذن الله للشافع، ورضا الله عن المشفوع فيه.

١٤٧-ومن التوحيد: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بضوابطه الشرعية.

١٤٨-ومن توحيد الله مجاهدة الكفار ومدافعهم، ومحاربة الكفر والشرك والفسوق والعصيان.

١٤٩-ومن توحيد الله إقامة شرعه على النفس والأهل والولد والرعية.

١٥٠-ومن التوحيد إفراد الله بالتوجه والقصد والطلب.

١٥١-ومن التوحيد إفراد الله بالتعظيم والإجلال والسيادة، ومن إجلال الله إكرام حامل القرآن، وبر الوالدين والكبير، واحترام سلطان الإسلام الذي يحكم بالشرع.

١٥٢-ومن التوحيد تصديق خبر الله وتنفيذ أمره.

١٥٣-ومن التوحيد ترك الغلو في النبي وآله، وترك الغلو في الصالحين، وترك الغلو في أي مخلوق.

١٥٤-ومن التوسل المشروع: التوسل إلى الله بحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كأن تقول اللهم إنا نتوسل إليك بحبنا للنبي وآله أن تقضي حاجتنا.

١٥٥-ومن التوسل المشروع: التوسل إلى الله بدعاء المسلم الحي، كأن تطلب من الرجل الصالح أن يدعو لك.

١٥٦-ومن التوسل المشروع: التوسل بالعمل الصالح، مثل قوله تعالى:
"فآمننا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا"

١٥٧-ومن التوسل المشروع: التوسل إلى الله بأسمائه وصفاته،
مثل قوله: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث

١٥٨-من التوحيد التوسل إلى الله بوسيلة شرعية، "يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة".

قال الإمام أبو حنيفة: لا أحب أن يتوسل إلى الله إلا بالله.

١٥٩-من التوحيد اعتقاد كفر من كفره الله ورسوله، ومن هذا اعتقاد كفر أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وأنهم على باطل، وأن دينهم غير صحيح وغير مقبول، وأنهم غير ناجين يوم القيامة.

عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار". رواه مسلم

١٦٠-قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (229/3): "ومن جالسني يعلم ذلك مني أتى من أعظم الناس نهياً عن أن ينسب معين إلى تكفير وتفسيق ومعصية إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة وفاسقاً أخرى وعاصياً أخرى" ١.هـ.

١٦١- وقال ابن أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية: أما الشخص المعين، إذا قيل: هل تشهدون أنه من أهل الوعيد وأنه كافر؟ فهذا لا نشهد عليه إلا بأمر تجوز معه الشهادة، فإنه من أعظم البغي أن يشهد على معين أن الله لا يغفر له ولا يرحمه، بل يخلده في النار، فإن هذا حكم الكافر بعد الموت، ولهذا ذكر أبو داود في سننه في كتاب الأدب: باب النهي عن البغي - وذكر فيه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين، فكان أحدهما يذنب، والآخر مجتهد في العبادة، فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب، فيقول: أقصر، فوجده يوماً على ذنب، فقال له: أقصر، فقال: خلني وربّي، أبعثت علي رقيباً؟ فقال: والله لا يغفر الله لك، أو لا يدخلك الجنة، فقبض أرواحهما، فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عالماً؟ أو كنت على ما في يدي قادراً؟ وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار، وقال أبو هريرة: والذي نفسي بيده لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته - وهو حديث حسن، ولأن الشخص المعين يمكن أن يكون مجتهداً مخطئاً مغفوراً له، أو يمكن أن يكون ممن لم يبلغه ما وراء ذلك من النصوص، ويمكن أن يكون له إيمان عظيم وحسنات أوجبت له رحمة الله؛ كما غفر للذي قال: إذا مت فاسحقوني ثم ذروني، ثم غفر الله له لخشيته، وكان يظن أن الله لا يقدر على جمعه وإعادته، أو شك في ذلك... ثم إذا كان القول في نفسه كفراً قيل: إنه كفر، والقائل له يكفر بشروط وانتفاء موانع. اهـ.

١٦٢- يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب: - (ومسألة تكفير المعين مسألة معروفة إذا قال قولاً كان القول به كفراً، فيقال من قال بهذا القول فهو كافر، ولكن الشخص المعين إذا قال ذلك، لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها) .

١٦٣- قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (329/10) : " لعن المطلق لا يستلزم لعن المعين الذي قام به ما يمنع لحوق اللعنة به، وكذلك التكفير المطلق والوعيد المطلق، ولهذا كان الوعيد المطلق في الكتاب والسنة مشروطاً بثبوت شروط وانتفاء موانع " .

١٦٤- قال شيخ الإسلام:

ثم إن الإمام أحمد دعا للخليفة وغيره ممن ضربه وحبسه، واستغفر لهم، وحللهم مما فعلوه به من الظلم والدعاء إلى القول الذي هو كفر، ولو كانوا مرتدين عن الإسلام لم يجز الاستغفار لهم، فإن الاستغفار للكفار لا يجوز بالكتاب والسنة والإجماع، وهذه الأقوال والأعمال منه ومن غيره من الأئمة صريحة في أنهم لم يكفروا المعينين من الجهمية الذين كانوا يقولون: إن القرآن مخلوق، وأن الله لا يرى في الآخرة... ”.

١٦٥- قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (487/12) : ” إن التكفير له شروط وموانع قد تنتفي في حق المعين، وإن تكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين، إلا إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع ”

١٦٦- قال شيخ الإسلام:

مع أن أحمد لم يكفر أعيان الجهمية ولا كل من قال ” إنه جهمي ” كفره، ولا كل من وافق الجهمية في بعض بدعهم، بل صلى خلف الجهمية... لم يكفرهم أحمد وأمثاله، بل كان يعتقد إيمانهم وإمامتهم، ويدعوا لهم، ويرى الائتتمام بهم في الصلوات خلفهم والحج والغزو معهم... ”.

١٦٧- قال شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة (5/95) : ” لم تكفر الصحابة الخوارج مع تكفيرهم لعثمان وعلي ومن والاهما واستحللهم لدماء المسلمين المخالفين لهم ” [انظر أيضاً مجموع الفتاوى 282/3 و 217/7] .

١٦٨- ذكر بعض أهل العلم أنه من أجل هذا المانع - وهو مانع التأويل - لم يكفر الصحابة - رضي الله عنهم - الخوارج الذين خرجوا عليهم وحاربوهم وكفروا الخليفة الراشد علي بن أبي طالب المشهود له بالجنة، واستحلوا دمه، حتى قتلوه، واستحلوا دماء جميع من خالفهم، مع أن بعض ما وقعوا فيه هو من الأمور التي يكفر مرتكبها.

١٦٩- قال ابن عثيمين: ” ومن الموانع أيضاً أن يكون له شبهة تأويل في المكفر، بحيث يظن أنه على حق، لأن هذا لم يتعمد الإثم والمخالفة، فيكون داخلاً في قوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ [الأحزاب: 5] . ولأن هذا غاية جهده، فيكون داخلاً في قوله تعالى ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا

وُسْعَهَا } [البقرة: 286] [انظر مجموع الفتاوى لابن عثيمين (جمع فهد السليمان " 136/2] .

١٧٠- قال شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة (5/ 239) : " إن المتأول الذي قصد متابعة الرسول -صلى الله عليه وسلم- لا يُكْفَر، بل ولا يُفْسَق إذا اجتهد فأخطأ، وهذا مشهور عند الناس في المسائل العملية، وأما مسائل العقائد فكثير من الناس كُفِّر المخطئين فيها، وهذا القول لا يُعرف عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا عن أحد من أئمة المسلمين، وإنما هو في الأصل من أقوال أهل البدع " .

١٧١- قال الشافعي في الأم: الأقضية (6/ 205) : " لم نعلم أحداً من سلف هذه الأمة يقتدى به ولا من التابعين بعدهم ردّ شهادة أحد بتأويل، وإن خطأه وضلله ورآه استحل فيه ما حرم عليه" .

١٧٢- قال ابن حجر في فتح الباري (12/ 304) : " قال العلماء كل متأول معذور بتأويله ليس بآثم إذا كان تأويله سائغاً في لسان العرب وكان له وجه في العلم " .

١٧٣- قال الإمام محمد بن عبد الوهاب في مجموعته (12/ 60) : " وأما ما ذكره الأعداء عني أنني أكفر بالظن وبالموالة أو أكفر الجاهل الذي لم تقم عليه الحجة فهذا بهتان عظيم " .

١٧٤- وقال ابن القيم في مدارج السالكين (1/ 367) (بعد ذكره كفر من هجر فريضة من فرائض الإسلام أو أنكر صفة من صفات الله تعالى أو أنكر خبراً أخبر الله به عمداً، قال: " وأما جحد ذلك جهلاً أو تأويلاً يُعذر فيه صاحبه فلا يكفر صاحبه به " .

١٧٥- قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الاستغاثة (1/ 381) : " إن تكفير المعين وجواز قتله موقوف على أن تبلغه الحجة النبوية التي يكفر من خالفها، وإلا فليس من جهل شيئاً من الدين يكفر " .

١٧٦- ويدل على ذلك:

ما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه -في قصة الرجل الذي أسرف على نفسه وأوصى بنيه أنه إذا مات أن يحرقوه ويسحقوه ويذروا نصفه في البر ونصفه في البحر وقال: "والله لئن قدر الله عليّ ليعذبني عذاباً ما عذب به أحد " وهذه المقولة كفر باتفاق أئمة المسلمين لأن فيها شكاً في قدرة الله ومع ذلك غفر الله له كما جاء في آخر الحديث لأنه حمله على قول ذلك الخوف من الله - عز وجل - كما ثبت في آخر الحديث، فدل هذا على أنه بمقولته جاهل فعذر بالجهل إذ أنه لا يمكن أن يشك في قدرة الله ويخافه في نفس الوقت .

١٧٧-مثال ذلك: لو أن رجلاً شك في قدرة الله - عز وجل - وقال: أن الله لا يقدر أن يعذبني - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - فإن شكه هذا كفر باتفاق أئمة المسلمين فنحن نطلق هذا الحكم ونقول من قال هذا الشيء فإنه يكفر ولكن لا نستطيع أن نكفر شخصاً بعينه إذا وقع في مثل هذا حتى تتحقق فيه الشروط وتنتفي عنه الموانع لأنه قد يكون جاهلاً أو مكرهاً أو غير ذلك من الموانع التي سوف نذكرها .

١٧٨-عقيدة أهل السنة والجماعة أنه لا يحكم على الشخص المعين بالكفر حتى تجتمع فيه جميع شروط التكفير وتنتفي عنه جميع الموانع، فهم يفرقون بين التكفير المطلق وبين التكفير المعين أو بين تكفير العمل وبين تكفير العامل، فقد يفعل الإنسان عملاً بالاتفاق أنه يكفر به لكن لا نكفر صاحبه (وهو العامل) حتى تتحقق فيه الشروط وتنتفي عنه الموانع .

١٧٩-من توحيد الله تعالى الإيمان بكتبه التي أنزلها على رسله، وأن القرآن الكريم ناسخٌ لها ومهيمنٌ عليها

١٨٠-من توحيد الله تعالى الإيمان بملائكته، وأنه عبادٌ مكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون

١٨١-من توحيد الله تعالى الرضا به ربا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولا

١٨٢-من توحيد الله تعالى الإيمان برسله عليهم الصلاة والسلام، واتباع خاتم أنبيائه عليه الصلاة والسلام

١٨٣-من توحيد الله تعالى تلاوة كلامه وتدبر آياته .

قال تعالى : "إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ (29) "فاطر .

وقال سبحانه: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾

[النساء : 82] .

١٨٤- من توحيد الله تعالى التسليم لقضائه وقدره، مع الإيمان الكامل بحكمته .

قال تعالى :

{إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ۚ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} {يونس : 3}

{قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ} {يونس : 31}

{اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۚ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۚ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ} [الرعد : 2]

{يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ} [السجدة : 5]

١٨٥- من توحيد الله الحب في الله والبغض في الله

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى: والواجب موالاة أولياء الله المتقين من جميع الأصناف، وبغض الكفار والمنافقين من جميع الأصناف، والفاسق الملى يُعطى من الموالاة بقدر إيمانه، ويعطى من المعاداة بقدر فسقه. اهـ.

وبيان ذلك أن الله تعالى قال في كتابه: لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ {المجادلة: 22}، قال القاسمي رحمه الله في تفسيره لمعنى: حاد الله ورسوله.. أي شاقهما وخالف أمرهما، فلا يجتمع إيمان خالص وحب لأعداء الله ورسوله. انتهى.

وقال الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ... {المتحنة: 1}، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: إن أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله. رواه أحمد وقال ابن عباس رضي الله عنهما: من أحب في الله وأبغض في الله ووالى في الله وعادى في الله فإنما ينال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك. وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئاً. خرجه ابن جرير الطبري.

١٨٦- من توحيد الله الموالاة المسلم ومعاداة الكافر.

١٨٧- من تمام التوحيد الإيمان بأنه سبحانه خالق الخير والشر، والإيمان والكفر، والمؤمنين والكفار .

١٨٨- من تحقيق التوحيد إفراده بالربوبية، وأفعال الربوبية هي الخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة والسيادة والتشريع .

قال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴾ [الطور: 35، 36] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ﴾ [الطور: 35]؛ أي: من غير رب، ومعنى ذلك: هل خُلِقوا من غير شيء خلقهم فوجدوا بلا خالق؟ هذا مستحيل، فوجودهم دليل على من أوجدهم، ﴿ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ﴾ [الطور: 35]؛ أي: لأنفسهم، وهذا ما لا يدعيه أحد، وهو مستحيل؛ لأنهم كانوا في العدم، فكيف يمكن للمعدوم أن يخلق؟

سئل أحد الأعراب: ما الدليل على وجود الله؟ فقال: سبحانه الله! إن البعر يدل على البعير، وإن الأثر يدل على المسير؛ فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير [1] .

فهذا الكون الذي يسير في إحكام وإبداع، لا يمكن أن يكون بهذا الإحكام إلا بوجود رب يدبر أمره؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: 164]؛ أي: إن هذه الأشياء دلالات واضحة على وحدانية الله، فيعلمون أن لهذه الأشياء المنتظمة في الكون خالقاً خلقها ودبرها وسخرها.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ * وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الروم: 20 - 24].

قال تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ * أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ * نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ * أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * أَأَنْتُمْ تَرْزَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ * لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ * إِنَّا لَمَغْرُمُونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ * لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ * أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴾ [الواقعة: 58 - 72].

وقال تعالى: ﴿ اَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُورٍ * اَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَزِرُّكُمْ إِنَّ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴾ [الملك: 20، 21] .

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴾ [الملك: 30] .

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَوْ لَيْلًا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَوْ لَيْلًا تُبْصِرُونَ ﴾ [القصص: 71، 72] .

ذكر الله تعالى في كتابه اعتراف المشركين جميعًا بربوبية خالقهم، فقال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [لقمان: 25]، وقال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [الزخرف: 87] .

بل إن إبليس لم ينكر ربوبية الله، وفي التنزيل قال تعالى: ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي﴾ [ص: 75]، فلم ينكر إبليس أن الله خلقه، بل قال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [ص: 76].

وأما من أنكر ربوبية الله فإنما أنكرها مكابرة، وإلا فهو يعلم أنه كاذب في إنكاره؛ كما قال تعالى عن هؤلاء: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: 14]، وقال الله تعالى حكاية عن موسى وهو يخاطب فرعون: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَائِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: 102]، و"النبور": الهلاك.

ولذلك لما أنكر المشركون على المرسلين دعوتهم، خاطبتهم الرسل بما هو مقرر في أذهانهم وفطرهم؛ قال تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ [إبراهيم: 10].

١٨٩- من أصول التوحيد الإيمان أن الله تعالى مستوٍ على عرشه، بائنٌ من خلقه.

وهذا ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وإجماع الصحابة، والتابعين، ومن بعدهم من أهل القرون المفضلة.

قال الله تعالى: (سبح اسم ربك الأعلى)، وقال الله تعالى: (يخافون ربهم من فوقهم)، وقال الله تعالى: (ثم استوى على العرش) في سبعة مواضع من القرآن. وقال الله تعالى: (إليه يصعد الكلم الطيب)، وقال الله تعالى: (بل رفعه الله إليه)، وقال الله تعالى: (أأمنتم من في السماء)، والسماء بمعنى العلو، أو هي السماوات المعروفة، و (في) بمعنى: (على) أي: على السماء، إذ ليس الله تعالى محصوراً، ولا داخلاً في شيء من خلقه، وهذا نحو قوله تعالى: (قل سيروا في الأرض)، أي: على الأرض، وكقوله تعالى: (ولأصلبكم في جذوع النخل)، أي: على جذوع النخل. إلى غير ذلك من الآيات الدالة على علوه تعالى على خلقه.

كما دلت عليه نصوص السنة ومنها:

1- ما رواه مسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمي في قصة ضربه لجاريته وفيه.. فقلت: يا رسول الله! أفلا أعتقها؟ قال: ادعها، فدعوتها، فقال لها: أين الله؟ قالت: في السماء. قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله. قال: أعتقها، فإنها مؤمنة.

2- ما رواه مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول -صلى الله عليه وسلم- قال في خطبته يوم عرفة: ألا هل بلغت؟ فقالوا: نعم، يرفع أصبعه إلى السماء، وينكتها إليهم، ويقول: اللهم اشهد.

3- ما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: الملائكة يتعاقبون فيكم، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في

صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج إليه الذين باتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلون، وتركناهم وهم يصلون.

4- ما رواه أبو داود، والترمذي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض، يرحمكم من في السماء.

5- ما رواه البخاري عن أنس أن زينب بنت جحش كانت تفخر على أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم- تقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سموات.

6- ما في الصحيحين من حديث أبي سعيد قال: قال: رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءً.

7- ما رواه مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: والذي نفسي بيده، ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه، إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها، حتى يرضى عنها زوجها.

8- ما في الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: قال: رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: كان ملك الموت يأتي الناس عياناً، فأتى موسى -عليه السلام- فلطمه، فذهب بعينه، فخرج إلى ربه -عزَّ وجلَّ- فقال: يا رب! بعثتني إلى موسى فلطمني. الحديث.

9- ما رواه النسائي من حديث سعد بن أبي وقاص أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال لسعد بن معاذ: لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبع سموات .

10- ما جاء في قصة معراجة صلى الله عليه وسلم، وارتفاعه إلى مستوى سمع فيه صريف الأقلام، وكلامه مع ربه -جلّ وعلا-، ثم مروره على موسى، ثم رجوعه إلى ربه -جلّ وعلا- سائلاً التخفيف في أمر الصلاة .

١٩٠- من تحقيق التوحيد حسن الظن بالله، والشوق للقاء الله، والوحشة مما سوى الله، وتمام الاستئناس بمعية الله .

عن جابر رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَقُولُ: لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

الراوي : جابر بن عبدالله | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم | الصفحة
أو الرقم : 2877

| التخریج : أخرجه مسلم (2877)

معنى ذلك أن الواجب على المؤمن حسن ظنه بالله، وأن يحذر سوء الظن بالله □
وفي الحديث الآخر يقول الرب -جل وعلا-: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني .

فالمشروع للمؤمن والواجب عليه حسن ظنه بالله، وأن يرجو رحمته ومغفرته، وأن يخشى عذابه، وأن يجتهد في طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ؛ لأنه كلما اجتهد في الطاعة؛ صار أقرب إلى حسن الظن، وكلما ساءت أعماله؛ صار هذا من أسباب سوء ظنه كما قال الشاعر:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه .

فالمقصود أن الإنسان يتحرى ما شرع الله له، ويجتهد في طاعة الله ورسوله، وترك ما نهى الله عنه ورسوله؛ لأن هذا من أعظم الأسباب في حسن ظنه بالله □ يحذر سوء الظن بالله □ لأنه قد عصاه، بل يبادر بالتوبة، ويحسن ظنه بربه أنه يقبل التوبة، ويرحمه □ فهو الرحمن الرحيم، وهو الجواد الكريم، وهو الذي يقبل التوبة عن عباده .

فعلى المؤمن أن يحسن ظنه بالله، وإن جرى منه معصية، يحسن ظنه بربه، ويبادر بالتوبة، لا أن يقيم على المعاصي، يبادر ويسارع إلى التوبة، ويحسن ظنه بربه أنه يقبل توبته، وأنه يرحمه، وأنه يجيره من عذابه .

١٩١- من تمام التوحيد الانصياع لأقدار الله، والرضا الكامل بتدبير الله، والتسليم الشامل لتدبير الله، والطاعة التامة لأوامر الله تعالى .

المُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ . اِحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِزْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ (لَوْ) تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ .

الراوي : أبو هريرة | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم

الصفحة أو الرقم: 2664 | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

التخريج : أخرجه ابن ماجه (79)، وأحمد (8829)، وأبو يعلى (6251) جميعهم بلفظه .

١٩٢-من تحقيق التوحيد تطهير القلب من التعلق بغير الله تعالى، وتسليم القلب بكيّيته
لرب العالمين، والاستسلام التام لجبروت الله وملكوته .

ومن الأسباب التي من أتى بها ازداد تعلقه بالله تعالى:

* قراءة القرآن بتدبر وتفهم لمعانيه، وما أُريد به .

* التقرب إلى الله تعالى بالنوافل بعد الفرائض .

* دوام ذكر الله على كل حال، باللسان والقلب، والعمل والحال .

* إيثار ما يحبه الله على محاب النفس، وخاصة عند غلبة الهوى .

* مطالعة القلب لأسماء الله الحسنى وصفاته، ومشاهدتها، وتقلبه في رياض هذه
المعرفة وميادينها .

* مشاهدة بر الله بعباده، وإحسانه، ونعمه الظاهرة، والباطنة، وشكره عليها اعتقادًا بالإقرار له بها، وباللسان بكثرة الثناء عليه، وعملاً بطاعته.

* انكسار القلب بين يدي الله، وكثرة الاستغفار والدعاء والتضرع إليه.

* مجالسة الصالحين الصادقين، والتقاط أطيب ثمرات كلامهم، وعدم الكلام إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام، وعلمت أن فيه مزيدًا لحالك، ومنفعة لغيرك.

* البعد عن كل سبب يحول بين القلب وبين التعلق بالله - عز وجل -، من المعاصي والذنوب، والغفلة عن ذكر الله ونحو ذلك.

١٩٣- من تمام التوحيد الإيمان بأنه سبحانه يحفظ أوليائه وينصرهم ويصطفاهم ويظهرهم من أدناس الشرك ومن أنجاس الكفر.

فأولياء الله عز وجل عند أهل السنة هم المؤمنون المتقون، فكل مؤمن تقي، هو الله ولي، بقدر إيمانه وتقواه، قال الله تعالى: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} (يونس: 62:64). قال ابن كثير: "يخبر تعالى أن أوليائه هم الذين آمنوا وكانوا يتقون، كما فسّر ربهم، فكل مَنْ كان تقيًّا كان لله وليًّا". وقال الطبري - بعد أن ذكر أقوالاً كثيرة في تعريف أولياء الله -: "والصواب من القول في ذلك أن يقال: "الولي" أعني "ولي الله" هو مَنْ كان بالصفة التي وصفه الله بها، وهو الذي آمن واتقى، كما قال الله: {الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ}" . وقال السعدي: "يخبر تعالى

عن أوليائه وأحبائه، ويذكر أعمالهم وأوصافهم، وثوابهم فقال: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ} فيما يستقبلونه مما أمامهم من المخاوف والأهوال. {وَلَا هُمْ يَخْزَنُونَ} على ما أسلفوا، لأنهم لم يسلفوا إلا صالح الأعمال.. ثم ذكر وصفهم فقال: {الَّذِينَ آمَنُوا} بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وصدقوا إيمانهم، باستعمال التقوى، بامتثال الأوامر، واجتناب النواهي. فكل مَنْ كان مؤمناً تقياً كان لله تعالى ولياً".

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله تعالى قال: مَنْ عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأُعِذَّه) رواه البخاري. قال ابن هبيرة: "وولي الله عز وجل هو الذي يتبع شرع الله". وقال ابن حجر: "المراد بولي الله العالم بالله، المواظب على طاعته، المخلص في عبادته". وقال ابن تيمية: "بَلْ يُعْتَبَرُ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ بِصِفَاتِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ وَأَحْوَالِهِمُ الَّتِي دَلَّ عَلَيْهَا الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، وَيُعْرِفُونَ بُنُورَ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنَ، وَبِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ الْبَاطِنَةِ، وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ الظَّاهِرَةِ". وقال الصنعاني: " (مَنْ عادى لي ولياً) الولي هو المؤمن المتقي كما فسره الله بذلك في قوله: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَخْزَنُونَ} * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ { (يونس: 62:63)، فهذا تفسيره تعالى للولي، لا يُقْبَلُ غيره". وقال الشيخ ابن عثيمين: "والمعاداة هي المباحدة، وهي ضد الموالاة، والولي بينه الله عز وجل في قوله: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَخْزَنُونَ} الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ { (يونس: 62:63)".

وقال عبد الله بن مسعود، وابن عباس، وغير واحد من السلف: "أولياء الله الذين رُؤُوا ذُكِرَ الله". عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ألا أخبركم بخياركم؟ قالوا: بلى، قال: الذين إذا رُؤُوا ذُكِرَ الله) رواه ابن ماجه وأحمد وحسنه الألباني.

قال السيوطي في "الدر المنثور": "أَخْرَجَ أَبُو الشَّيْخِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فِي قَوْلِهِ: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} قَالَ: هُمُ الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللَّهُ. وَأَخْرَجَ ابْنُ الْمُبَارَكِ، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَابْنُ جَرِيرٍ، وَالطَّبْرَانِيُّ، وَأَبُو الشَّيْخِ، وَابْنُ مَرْذُويَّةَ، وَالضَّيَّاءُ فِي "المُخْتَارَةِ" عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مَرْفُوعًا (أَي: إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَمَوْفُوفًا (أَي: عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ): {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} قَالَ: هُمُ الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا يُذَكِّرُ اللَّهُ لِرُؤْيَيْهِمْ". وَقَالَ الْأَلُوسِي فِي "روح المعاني": "أَخْرَجَ ابْنُ الْمُبَارَكِ، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي نَوَادِرِ الْأَصُولِ، وَأَبُو الشَّيْخِ، وَابْنُ مَرْذُويَّةَ، وَآخَرُونَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا، قَالَ: (قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ، قَالَ: الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللَّهُ تَعَالَى) أَيْ لِحُسْنِ سَمَتِهِمْ وَإِخْبَاتِهِمْ". وَمَعْنَى: (الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللَّهُ تَعَالَى) أَنَّهُمْ عَلَى هَيْئَةٍ مِنَ السَّمَةِ الْحَسَنِ، وَالْخُشُوعِ الظَّاهِرِ، وَالصَّلَاحِ وَالِاسْتِقَامَةِ، وَالتَّوَاضُّعِ لِلَّهِ، وَالدَّلِيلِ لَهُ، وَالتَّعْظِيمِ لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَلَا يَفْتَرُونَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَلَا يَغْفُلُونَ، وَيَدَاوُمُونَ عَلَى الْخَيْرَاتِ وَيَسَارِعُونَ إِلَيْهَا، وَيَحَافِظُونَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، مُقْتَدِينَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَتَمَسِّكِينَ بِهَدْيِهِ وَسُنَّتِهِ.. فَإِذَا لَقِيَهُمُ الْإِنْسَانُ وَرَأَاهُمْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى، لِأَن سَمَتَهُمْ وَخِصَالَهُمْ يُذَكِّرُ بِاللَّهِ تَعَالَى.

أساس الولاية وشرطها:

كُلِّ مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا تَقِيًّا كَانَ لِلَّهِ وَلِيًّا، هَذَا أَسَاسُ الْوَلَايَةِ وَأَصْلُهَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} (يُونُسُ: 62:63). وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ إِلَّا الْمُتَّقُونَ} (الْأَنْفَالُ: 34). قَالَ الطَّبْرِيُّ: " {إِنَّ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ} يَقُولُ: مَا أَوْلِيَاءُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ {إِلَّا الْمُتَّقُونَ} يَعْنِي: الَّذِينَ يَتَّقُونَ اللَّهَ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ". وَقَالَ السَّعْدِيُّ: "وَهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَفْرَدُوا اللَّهَ بِالتَّوْحِيدِ وَالْعِبَادَةِ، وَأَخْلَصُوا لَهُ الدِّينَ".

وَأَمَّا شَرَطُ الْوَلَايَةِ وَالْوَلِيِّ فَقَدْ ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (آلِ عِمْرَانَ: 31). قَالَ السَّعْدِيُّ: " {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي} أَي: ادْعَيْتُمْ هَذِهِ الْمَرْتَبَةَ الْعَالِيَةَ،

والرتبة التي ليس فوقها رتبة فلا يكفي فيها مجرد الدعوى، بل لا بد من الصدق فيها، وعلامة الصدق اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم في جميع أحواله، في أقواله وأفعاله، في أصول الدين وفروعه، في الظاهر والباطن، فمن اتبع الرسول دل على صدق دعواه محبة الله تعالى، وأحبه الله وغفر له ذنبه، ورحمه وسدده في جميع حركاته وسكناته، ومن لم يتبع الرسول فليس محبا لله تعالى، لأن محبته لله توجب له اتباع رسوله، فما لم يوجد ذلك دل على عدمها وأنه كاذب إن ادعاها، مع أنها على تقدير وجودها غير نافعة بدون شرطها، وبهذه الآية يوزن جميع الخلق، فعلى حسب حظهم من اتباع الرسول يكون إيمانهم وحبه لله، وما نقص من ذلك نقص". وقال ابن رجب الحنبلي: "لا طريق توصل إلى التقرب إلى الله تعالى وولايته ومحبته سوى طاعته التي شرعها على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، فمن ادعى ولايته والتقرب إليه ومحبته بغير هذه الطريق تبين أنه كاذب في دعواه".

اختلاف موقف الناس مع أولياء الله وكراماتهم:

قال ابن القيم في كتابه "إغاثة اللهفان من مصادد الشيطان": "قال بعض السلف: ما أمر الله تعالى بأمرٍ إلا وللشيطان فيه نزعتان: إما إلى تفريط وتقصير، وإما إلى مجاوزة وغلو، ولا يبالي بأيهما ظفر. وقد اقتطع أكثر الناس إلا أقل القليل في هذين الواديين: وادي التقصير، ووادي المجاوزة والتعدي، والقليل منهم جدا الثابت على الصراط الذي كان عليه رسول الله وأصحابه". . . وينقسم موقف الناس مع الأولياء وكراماتهم إلى أقسام ثلاثة:

1 - القسم الأول: قسمٌ غلا وأسرف في الأولياء وكراماتهم، حتى زعم أن كل خارق للعادة هو من باب الكرامة دون التفات إلى حال الشخص من تقوى الله تعالى واتباعه للنبي صلى الله عليه وسلم، وادّعوا باسم الولاية عصمة الولي - وهذا خطأ وضلال كبير، إذ لا عصمة إلا للأنبياء والرسل، ورفعوا أولياء الله إلى منزلة فوق منزلتهم، بل ويعتقد بعض هؤلاء الغلاة أن من الأولياء من يعلم الغيب، ويدبر أمر العالم، ويتصرف في الكون بما يشاء، إلى غير ذلك من الأمور التي هي من خصائص الله تعالى وحده. . . ومن ثم وقعوا - من خلال هذا الغلو - في الشرك بالله، فتوجهوا بالدعاء والاستغاثة وطلب العون والمدد من الأولياء، وهذا من أقبح الشرك بالله. قال

الشيخ عبد العزيز بن باز: "ومن العقائد المضادة للحق: ما يعتقد بعض المتصوفة من أن بعض من يسمونهم بالأولياء يشاركون الله في التدبير، ويتصرفون في شئون العالم، ويسمونهم بالأقطاب والأوتاد والأغواث، وغير ذلك من الأسماء التي اخترعوها لآلهتهم، وهذا من أقبح الشرك في الربوبية، وهو شر من شرك جاهلية العرب" ..

وَمَنْ نَظَرَ فِي سِيرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِمَ الْيَقِينَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ خَيْرُ الْبَشَرِ لَمْ تَكُنْ لَهُ هَذِهِ الْمَنْزِلَةُ، بَلْ لَمَّا قَالُوا لَهُ: (يَا مُحَمَّدُ، يَا سَيِّدَنَا، وَابْنَ سَيِّدِنَا، وَخَيْرَنَا، وَابْنَ خَيْرِنَا). قَالَ لَهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بِتَقْوَاكُمْ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَاللَّهُ مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ) رواه أحمد. وقال صلى الله عليه وسلم: (لَا تُطْرُونِي) (تبالغوا وتتجاوزوا في مدحي) كما أَطْرَثَ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ) رواه البخاري.

- القسم الثاني - مع الأولياء -: قسم جفا وكذب بكرامات الأولياء وأنكرها، وزعم أن كل ما يذكر من ذلك هو من قبيل الشعوذة والدجل، وأنكر ما هو ثابت في الكتاب والسنة من الكرامات الصحيحة التي أجازها ويجريها الله عز وجل لأوليائه المتقين. قال ابن تيمية: "ومن أصول أهل السنة والجماعة: التصديق بكرامات الأولياء وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات.. كالمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها، وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر قرون الأمة، وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة". وقال الطحاوي: "ونؤمن بما جاء من كراماتهم، وصح عن التفات من رواياتهم"

3 - القسم الثالث مع الأولياء والكرامات: إذا كان القسم الأول: غالى في كرامات الأولياء وأسرف حتى زعم أن كل خارق للعادة هو من باب الكرامة، دون التفات إلى حال الشخص ونصيبه من تقوى الله واتباعه للنبي صلى الله عليه وسلم، ووصل بهم حالهم مع الأولياء وغلوهم فيهم وفي كراماتهم إلى الشرك بالله.. وإذا كان القسم الثاني جفا وكذب بكرامات الله وأنكرها، فإن القسم الثالث هم الوسط بين التقريط والإفراط، والغلو والجفاء، وهم أهل السنة والجماعة الذين توسطوا في موضوع الأولياء والكرامات، فأثبتوا ما أثبتته الكتاب والسنة الصحيحة من وجود ووقوع

كرامات للأولياء، ولم يغالوا في أصحابها، ولم يتعلقوا بهم من دون الله عز وجل، ونفوا ما خالف الكتاب والسنة من الدجل والشعوذة، فليس كل أمر خارق وقع لإنسان يعتبر كرامة وأنه من أولياء الله، بل لابد أن يكون هذا الأمر موافقا للكتاب والسنة، وأن يكون من وقع على يديه هذا الأمر الخارق، مؤمنا تقيا، متبعا للنبي صلى الله عليه وسلم في هديه وسنته.. قال ابن كثير: "وقد قال يونس بن عبد الأعلى الصدفي: قلت للشافعي: كان الليث بن سعد يقول: إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة، فقال الشافعي: قصر الليث رحمه الله، بل إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة". وقال ابن تيمية: "فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُظَنَّ أَنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ لَهُ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ (الكرامات والخوارق للعادة) أَنَّهُ وَلِيٌّ لِلَّهِ، بَلْ يُعْتَبَرُ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ بِصِفَاتِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ الَّتِي دَلَّ عَلَيْهَا الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، وَيُعْرَفُونَ بِنُورِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ، وَبِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ الْبَاطِنَةِ، وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ الظَّاهِرَةِ".

أولياء الله عز وجل هم المؤمنون المتقون، فكل مؤمن تقى، هو لله ولي، قال الله تعالى: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} (يونس: 62:63). وطريق الولاية عند أهل السنة هو المحافظة على الفرائض، والحرص على النوافل، والتحقق بمقامات الإيمان، والتزین والتحلي بالتقوى، واتباع النبي صلى الله عليه وسلم.. والولاية وحدث الكرامة للولي لا ترفع صاحبها عن مقام العبودية.. وإثبات أهل السنة للولاية والكرامة، ليس فيه أي تجاوز لحدود العبودية لله تعالى، وإنما تحصل هذه الكرامات بمشيئة الله تعالى وفضله، وليست لكرامات الأولياء ولا لمعجزات الأنبياء قدرة ذاتية في النبي ولا في الولي، وليس ظهورها بمحض إرادتهم أو رغبتهم، وإنما هي من الله تعالى مشيئة وفضلا.

١٩٤- من تمام التوحيد الإيمان باستغناء الله عن خلقه، فهو الحي القيوم، القائم بذاته المقيم لغيره المستغني عن غيره الذي لا يستغني عنه غيره .

فإن الله عز وجل غني عن العالمين، مؤمنهم وكافرهم، لا ينفعه شكر الشاكرين ولا صبر الصابرين كما لا يضره كفر الكافرين ولا جزع الجازعين، قال جل وعلا: قُلْ مَا يَعْْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ {الفرقان: 77} .

أي: لا يبالي ولا يكثرث بكم إذا لم تعبدوه، فإنه إنما خلق الخلق ليعبدوه ويوحدوه ويسبحوه بكرة وأصيلا وأخبر الله الكفار أنه لا حاجة له بهم، إذ لم يخلقهم مؤمنين، ولو كان له بهم حاجة لحبب إليهم الإيمان كما حببه إلى المؤمنين . تفسير ابن كثير .

وقال تعالى: وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا {النساء: 131} .

وفي الحديث القدسي: يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسأله ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه . رواه مسلم .

فإن الله يحصي جميع ما يصدر من العباد مؤمنهم وكافرهم من خير وشر، فأما المؤمنون فيفضل الله جل وعلا بقبول أعمالهم الصالحة ما دامت خالصة لوجهه، وأما الكفار فلا يتقبل الله منهم شيئا، قال تعالى: أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا {الكهف:105} . وقال سبحانه: وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا {الفرقان:23} .

ومن عدل الله تعالى أن الكافر إذا عمل حسنة أطعمه بها في الدنيا، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله لا يظلم مؤمنا حسنة يُعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها . رواه مسلم .

وإذا عمل الكفار السيئات فإنها تزيد في إثمهم وعذابهم، قال تعالى: وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُثَمِّلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيُزِدُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ {آل عمران:178} .

وكما أن الجنة درجات، يتفاضل المؤمنون فيها، فمن كثر خيره، ازداد نعيمه وارتفاعة في درجاتها، فكذلك النار درجات يتفاوت الفجار فيها، فمن كثر شره ازداد عذابه وهويه في درجاتها، وعلى ذلك فنظر الله إلى أعمال العباد يعم مؤمنهم وكافرهم، وكذلك الابتلاء بالسراء والضراء يعم الصنفين، فيثاب المؤمنون على شكرهم وصبرهم، وأما الكفار فلا يتصور منهم وقوع الشكر والصبر على وجه صحيح إلا إذا آمنوا إيمانا صحيحا، ولذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: عجايب لأمر المؤمن! إن أمره كله خير - وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن - إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له . رواه مسلم .

قال ابن عثيمين رحمه الله: وكل إنسان فإنه في قضاء الله وقدره بين أمرين: إما سراء، وإما ضراء، والناس في هذه الإصابة ينقسمون إلى قسمين: مؤمن وغير مؤمن، فالمؤمن على كل حال ما قدر الله له فهو خير له إن أصابته الضراء صبر على أقدار الله وانتظر الفرج من الله واحتسب الأجر على الله، فكان خيراً له فنال بهذا أجر الصابرين، وإن أصابته سراء من نعمة دينية كالعلم والعمل الصالح ونعمة دنيوية كالمال والبنين والأهل شكر الله، وذلك بالقيام بطاعة الله عز وجل، فيشكر الله فيكون خيراً له، ويكون عليه نعمتان نعمة الدين ونعمة الدنيا، نعمة الدنيا بالسراء ونعمة الدين بالشكر، هذه حال المؤمن.

وأما الكافر: فهو على شر - والعياذ بالله - إن أصابته الضراء لم يصبر، بل يضجر ودعا بالويل والثبور وسب الدهر وسب الزمن، بل وسب الله عز وجل، وإن أصابته سراء لم يشكر الله. اهـ

والمقصود أن ابتلاء الله عباده بالسراء والضراء ونظره إلى ما يصدر منهم في الحالين يشمل كلا من المؤمنين والكافرين، وكذلك إحصاؤه الأعمال، ثم ما يترتب على ذلك من الجزاء يوم القيامة، فهذا يعم المؤمن والكافر، ثم هو سبحانه من يرزق هؤلاء ويعطيهم، وقد يزيد في عطائهم استدراجاً وامتحاناً، كما قال: سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ {الأعراف: 182}.

١٩٥- من تحقيق التوحيد الإيمان بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن كل شيء بمقدار.

فمعنى: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن - أن ما سبق به قضاء الله ومشيئته لا بد من حصوله، وما جرى به القضاء بأنه لا يكون، فلا سبيل إلى كونه ووجوده،

جاء في شرح سنن أبي داود للشيخ العلامة عبد المحسن العباد: قوله: وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك - هذا هو الإيمان بالقدر ومعنى هذا: أن كل ما حصل لك لا سبيل إلى تخلصك منه، لأن الله تعالى قد قدره فلا بد من أن يوجد، والشيء الذي أخطأك ولم يصيبك لا يمكن أن يصيبك، وهذا هو معنى قول المسلمين: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن - فقولهم: ما شاء الله كان - مأخوذ من قوله: وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك أي أن الشيء الذي قدر الله أن يكون لا بد من أن يوجد، والشيء الذي قدر أن لا يكون لا سبيل إلى وجوده، فالشيء الذي يحصل لك ويقع لك لا يمكن أن يتخلف، والشيء الذي قدر ألا يحصل لك لا يمكن أن يكون، كما جاء في الحديث الآخر في وصية النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس: واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف - رواه الترمذي وقال حسن صحيح . اهـ

١٩٦- من تمام التوحيد الإيمان بصفاته العلى، وأنه تعالى المتصف وحده بتمام الجمال والجلال والكمال .

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: 35] .

١٩٧- من تحقيق التوحيد اعتقاد استغناء الله تعالى عن الصاحبة والولد، فهو الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له صاحبة ولا ولد .

(بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [الأنعام: 101] .

(مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ۚ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ)

[المؤمنون: 91]

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (88) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (89) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا (90) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (91) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (92) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (93) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (94) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (95) مريم

قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ (81) الزخرف

١٩٨- من تمام التوحيد اعتقاد انفراد الله تعالى بالربوبية، فلا مدبر للكون إلا الله سبحانه .

قال تعالى:

يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (5) السجدة

١٩٩- من تمام التوحيد أفراد الله بالعبادة، والعبادة هي اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال والأحوال الظاهرة والباطنة.

٢٠٠- لا يجوز الاستغائة بغير الله، إلا بالحي الحاضر القادر، كمن يغرق ثم يصدر استغائة بجهة الإنقاذ فهذا جائز.

٢٠١- من تحقيق التوحيد الاستغائة بالله وحده، ولا يجوز الاستغائة بميت أو مقبور البتة.

٢٠٢- من تحقيق التوحيد تمام التوكل على الله في جلب النفع ودفع الضرر، وهو اعتماد القلب على الله مع بذل الجهد في تحصيل أسباب العافية.

٢٠٣- من تحقيق التوحيد الوفاء بشروط لا إله إلا الله، وهي:

العلم واليقين والقبول*** والانقياد فادر ما أقول

والصدق والإخلاص والمحبة*** وفقك الله لما أحبه

هذه سبعة.

يضاف إلى ذلك الإيمان بخاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام.

والشرط التاسع الكفر بالطاغوت.

٢٠٤- من التوحيد الإيمان أن القرآن كلام الله على الحقيقة، منه بدأ وإليه يعود، صفته سبحانه، غير مخلوق.

٢٠٥- من تحقيق التوحيد الإيمان بصفات الله دون تشبيه أو تكييف أو تمثيل أو تحريف أو تعطيل.

٢٠٦- من تحقيق التوحيد الإيمان بأسماء الله الحسنى، ودعاؤه سبحانه بها.

٢٠٧- من تحقيق التوحيد أفراد الله بالتشريع، ويُستثنى من ذلك التشريع الإداري، ما لم يكن حرامًا في ذاته .

٢٠٨- من تحقيق التوحيد أفراد الله بالتحليل والتحریم، فالحلال ما أحله الله، والحرام ما حرّمه الله تعالى .

٢٠٩- من تحقيق التوحيد أفراد الله بالركوع والسجود، فلا ركوع ولا سجود إلا لله تعالى .

٢١٠- من تحقيق التوحيد أفراد الله بعبادة الطواف، فلا يُطاف إلا بالبيت الحرام .

٢١١- من تحقيق التوحيد أفراد الله بالذبح والنذر، القربان لا يكون إلا لله تعالى .

٢١٢- من تحقيق التوحيد أفراد الله بالمحبة والتذلل، ويُستثنى من ذلك الحب الطبيعي، بشرط ألا يؤدي إلى معصية .

٢١٣- من تحقيق التوحيد أفراد الله بالخوف والرجاء، ويُستثنى من ذلك الخوف الطبيعي، ولكنه يذهب بالتوكل على الله وحده .

٢١٤- من تحقيق التوحيد عدم الحلف بغير الله تعالى .

من حلف بغير الله فقد أشرك .

٢١٥- ومن التوحيد الإيمان أن محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم هو خاتم النبيين لا نبي بعده .

قال تعالى:

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝٤٠﴾ الأحزاب ٤٠

وخاتم النبيين تتضمن خاتم الرسل .

٢١٦-ومن التوحيد الكفر بالجبت والطاغوت، والجبت هو السحر، والطاغوت هو الساحر .

ومن السحر قراءة الكف وقراءة الفنجان والخط على الأرض والتطير وكل وسيلة يستخدمها الساحر لتمرير سحره وكذبه وادعائه علم الغيب .

٢١٧-ومن التوحيد تجنب السحرة والكهان والمنجمين وعدم إتيانهم أو تصديقهم أو الخوف منهم أو الرغبة فيهم .

٢١٨-ومن التوحيد الإيمان بأنه لا شفاعاة للمشرك بالخروج من النار، وأن من مات على الشرك فهو خالدٌ مخلدٌ في النار أبداً .

٢١٩-ومن التوحيد الإيمان بأن للمؤمنين شفاعاة، ومنها شفاعاة الشهيد في سبعين من أهله، وشفاعة حامل القرآن لوالديه .

٢٢٠-ومن التوحيد الإيمان بأن من الشفاعاة إخراج عصاة الموحدين من النار، أو عدم دخول من يستحقها من عصاة الموحدين .

٢٢١-ومن التوحيد الإيمان أن من الشفاعاة رفع درجات المؤمنين في الجنة .

٢٢٢-ومن التوحيد تعظيم كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله، ومعرفة حق أهلها ومن يؤمن بها ويتمسك بها ويدعو إليها، ومن ذلك حديث البطاقة .

روى الترمذي (2639)، وابن ماجه (4300)، والإمام أحمد في "المسند" (11) / 570 — 571): عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللَّهَ سَيَخْلِصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُنْشَرُ عَلَيْهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ سِجْلًا كُلُّ سِجْلٍ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظْلَمَكَ كَتَبْتَنِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَاكَ عَذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٍ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزَنْكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجَلَاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتَوَضَّعَ

السِّجَالَاتُ فِي كَفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجَالَاتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَنْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ)، وقال الترمذي: " هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ " .

،الله فنكى لى الله ريغ فنك كرتو ،الله راو جى لى الله ريغ راو جى كرتو ديحوتلا لى ماكن مو-٢٢٣
لى لى الله ريغ فرتك كرتو ،الله لى لى الله ريغ لى لى الله ريغ فرتو ،الله فرتو لى لى الله ريغ فرتو
لى لى الله ريغ فرتو ،الله فرتو لى لى الله ريغ فرتو ،الله فرتو لى لى الله ريغ فرتو

٢٢٤-ومن التوحيد عدم تصديق الكهنة أو السحرة أو العرافين أو من يدعي علم الغيب، وعدم إتيانهم أو سؤالهم عن شيء من علم الغيب .

٢٢٥-ومن التوحيد فك السحر بالرقية الشرعية، وبسورة البقرة، وبالمعوذتين، وبالأذكار والأدعية الشرعية، وعدم اللجوء إلى السحرة لفك السحر .

٢٢٦-ومن التوحيد الإيمان أن العدو لا تقع ولا تؤثر إلا بإذن الله .

٢٢٧-ومن التوحيد الاستسقاء بالصلاة والدعاء، وترك الاستسقاء بالنجوم .

٢٢٨-ومن التوحيد الامتناع عن لطم الخدود وشق الجيوب والابتعاد عن دعوى الجاهلية .

٢٢٩-ومن التوحيد الابتعاد عن الفخر بالأنساب، والابتعاد عن الطعن في الأنساب، والابتعاد عن النياحة على الميت .

٢٣٠-ومن التوحيد تقديم حب الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم على حب النفس والمال والولد والأهل والعشيرة .

٢٣١-الديمقراطية صنفها علماء العقيدة على أنها شرك في الربوبية .

وحجتهم في ذلك أن الديمقراطية معناها أن الحكم للشعب، بينما في الإسلام يعتقد المسلمون بأن الحكم لله، "إن الحكم إلا لله".

وفلسفة الديمقراطية هي إعطاء الشعب حق التشريع، بينما في الإسلام يؤمن المسلمون أن من معاني توحيد الربوبية أفراد الله بالحق في التشريع لعباده.

وآليات الديمقراطية تعتمد على أن "الصوت" للمسلم يكافئ الصوت للكافر، وهما سواء في "صندوق الانتخابات"، وصوت العالم كصوت الجاهل، وصوت الرجل كصوت المرأة، وصوت الشيخ كصوت الشاب، وهذا كله مخالف لمفهوم الشورى في الإسلام، الذي يعتمد على استشارة أهل الحل والعقد من العلماء والحكماء، دون التزام برأي الأغلبية.

فالأغلبية من أهل الحل والعقد من الصحابة الكرام رضي الله عنهم أشاروا على أبي بكر الصديق رضي الله عنه بإيقاف بعث أسامة رضي الله عنه لغزو الروم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتولي الصديق رضي الله عنه المسؤولية، ومع ذلك أمضاه الصديق رضي الله عنه.

وأشار أغلبية الصحابة رضي الله عنهم على الصديق رضي الله عنه بترك قتال المرتدين، ومع ذلك قاتلهم، وكان الحق والصواب مع الصديق رضي الله عنه.

فالديمقراطية مخالفة للإسلام جملة وتفصيلاً، عقيدة وآليات، حتى إنه من الممكن التصريح -بكل اطمئنان- أنها نظام كامل مضاد للإسلام، فإما الإسلام وإما الديمقراطية.

٢٣٢-ومن التوحيد أفراد الله بمحبة العبادة، وهي المحبة التي تجعل المُحِبَّ يعبد المحبوب ويبذل نفسه لإرضائه.

٢٣٣-ومن التوحيد أن يكون الحبُّ في الله والبغض في الله، والموالاة في الله والمعاداة في الله، والصلة في الله والقطيعة في الله، والرضا في الله والغضب في الله .

٢٣٤-ومن التوحيد أن يكون الفرح بالله، وبفضله، وبرحمته، لا بالدنيا ولا بحطامها الفاني .

٢٣٥-ومن التوحيد أن يعيش العبد يتعلم دين الله، ويعمل به، ويدعو إليه، ويجاهد في سبيله، ويتوقع الأذى بسبب ذلك، ويصبر على الأذى حتى يلقي الله تعالى .

٢٣٦-ومن التوحيد أن لا يخاف العبد إلا من الله، لا من مخلوق، ولا من ذي سلطان، ولا من الشيطان، ولا من أولياء الشيطان .

٢٣٧-ومن التوحيد أن يحرص العبد على إرضاء الله ولو سخط الناس، وأن يفرد العبد ربه بالحمد على الرزق، وأن لا يلوم العبدُ الناس على ابتلاء قدره الله، بل يعلم أن المعافاة والابتلاء مقدرة من الله تعالى وحده .

٢٣٨-ومن التوحيد إفراد الله بالتوكل، وهو اعتماد القلب بكُلِّيَّتِهِ على الله، مع تمام الاطمئنان لعدله وفضله، ممتزجًا بتمام الثقة في حكمته وتدبيره، متشربًا تمام اليقين بنصره وتمكينه .

٢٣٩-ومن التوحيد أن لا يأمن العبد مكر الله حتى يدخله الله الجنة، وأن لا ييأس من رحمة الله حتى لو أدخله الله النار .

قال تعالى:

أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (99) الأعراف

وقال جل شأنه:

(وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يَبْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) [يوسف: 87] .

٢٤٠- ومن التوحيد الصبر على طاعة الله، والصبر عن معصية الله، والصبر على أقدار الله المؤلمة، وأن يستمر ذلك حتى يأتي اليقين، وهو الموت.

فقد ذكر شيخ الإسلام الهروي: أن الصبر على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: الصبر عن المعصية بمطالعة الوعيد إبقاء على الإيمان، وحذراً من الحرام، وأحسن منها الصبر عن المعصية حياء.

والدرجة الثانية: الصبر على الطاعة بالمحافظة عليها دواماً، وبرعايتها إخلاصاً، وبتحسينها علماً.

الدرجة الثالثة: الصبر في البلاء.

وقال ابن القيم: إن الصبر على ثلاثة أنواع:

صبر بالله، وصبر لله، وصبر مع الله.

فالأول: صبر الاستعانة به، ورؤيته أنه هو المصبر، وأن صبر العبد بربه لا بنفسه، كما قال تعالى: (وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ) [النحل: 127].

يعني: إن لم يصبرك هو لم تصبر.

والثاني: الصبر لله، وهو أن يكون الباعث له على الصبر محبة الله، وإرادة وجهه، والتقرب إليه، لا لإظهار قوة النفس.

والثالث: الصبر مع الله، وهو دوران العبد مع مراد الله الديني منه، ومع أحكامه الدينية، صابراً نفسه معها، سائراً بسيرها.

ومنزلة الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له، كما أنه لا جسد لمن لا رأس له. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: خير عيش أدركناه بالصبر. وفي الحديث الصحيح الذي أخرجه مسلم: "والصبر ضياء"، وفي الحديث الصحيح: "عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا

للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له" أخرجه البخاري ومسلم .

وذكر ابن القيم في مدارج السالكين: أن الصبر مذكور على ستة عشر نوعاً، ونقل عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى أنه قال: الصبر في القرآن في نحو تسعين موضعاً، وهو واجب بإجماع الأمة، وهو نصف الإيمان .

٢٤١- ويناقض التوحيد التعلق بالأبراج واعتقاد قدرتها على النفع أو الضر أو التأثير في الكون أو تغيير القدر .

الغيب لا يعلمه إلا الله، والقرآن الكريم زاخر بالآيات التي تنص نصاً واضحاً قطعياً على تفرد الله عز وجل وحده بعلم الغيب، وأنه لا يوجد في السماوات والأرض من يعلم الغيب إلا الله، ومن ذلك قول الله تعالى: {قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ} (النمل: 65)، قال السعدي: "يخبر تعالى أنه المنفرد بعلم غيب السماوات والأرض كقوله تعالى: {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} (الأنعام: 59)، وكقوله: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} (لقمان: 34) . فهذه الغيوب ونحوها اختص الله بعلمها فلم يعلمها ملكٌ مُقَرَّبٌ ولا نبي مُرْسَلٌ، وإذا كان هو المنفرد بعلم ذلك المحيط علمه بالسرائر والبواطن والخفايا، فهو الذي لا تنبغي العبادة إلا له" .

والأبراج التي تنتشر في بعض الصحف والمجلات وغيرهما، ويخبر أصحابها ومُدَّعوها مِنْ خلالها عن بعض صفات وأحوال الناس الحالية والمستقبلية، تدخل في باب الكهانة والعرافة . وهذه الأبراج تُكْتَبُ بعدة طرق، فمنها ما يُكتب بطريقة

الأبراج: برج الثور، برج الجوزاء، برج السرطان.. ومنها ما يُكتب بطريقة مواليد السنوات أو الشهور، وغير ذلك.. ومن المعلوم أنه يولد في كلّ يوم الآلاف من البشر، وغير مُتصور أنّهم جميعاً يحملون صفات واحدة، فكيف يستقيم كلام المُنجّمين وأهل الأبراج باتفاق خصائص مواليد الشهر الواحد أو البرج الواحد؟!.. ثم إن الذين يدّعون علم الأبراج يأتون في كلامهم وتوقعاتهم بأشياء عامة، تقع لبعض الأشخاص ولا تقع لآخرين، مثل قولهم: "بعض الصعوبات تعترض سبيلك"، "طريقك سهل وميسر"، "خبر سار يصلك"، "خبر محزن يأتيك"، وما شابه ذلك.. ومن ثم يَصْنُق كلام الأبراج مع أناس دون أناس، ويكون هذا الأمر فتنة لهم..

وهذه الأبراج وما شابهها من المنكرات التي أبطلها وحرّمها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونهى عنها، لأنها توقع المسلم في حبال وأبواب الشرك بالله عز وجل، فهي من باب الذهاب إلى العرّافين والكهّان. قال ابن تيمية: "العرّاف اسم للكاهن والمُنَجِّم والرّمّال ونحوهم، ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق"، وقال البغوي: "العرّاف هو الذي يدّعي معرفة الأمور بمقدمات وأسباب يستدل بها على مواقعها، وقيل: هو الكاهن الذي يخبر عن بعض المضمرات فيصيب بعضها ويخطئ أكثرها". والمُنَجِّم: هو من يستدل على معرفة أمور غائبة بالنجوم. والرّمّال: هو من يستدل على معرفة المغيبات بالخط في الرمل.. ويدخل الذي يدّعي علم الأبراج مع الكاهن والعرّاف والمُنَجِّم والرّمّال ومن يقرأ الكف والفنجان وما شابههم، فكلهم يشتركون في أصل واحد، وهو ادّعاء معرفة الغيب وإن اختلفت أسماؤهم ومسمياتهم باختلاف الزمان والمكان.

والقراءة في الأبراج تدخل في باب إتيان وسؤال الكهنة والعرّافين، والأحاديث النبوية الصحيحة التي تنهى وتحذر من الذهاب إلى العرّافين والكهنة وما شابههم، كثيرة، ومنها:

- روى مسلم في صحيحه عن بعض أمهات المؤمنين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من أتى عرّافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة). وفي رواية: (من أتى عرّافاً فسأله عن شيء فصدّقهُ بما قال لم تُقبل له صلاة أربعين يوماً).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من أتى عَرَّافًا أو كاهنًا فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أنزلَ على مُحَمَّدٍ) رواه أبو داود وصححه الألباني. قال ابن حجر: "والوعيد جاء تارة بعدم قبول الصلاة، وتارة بالتكفير، فيُحمَل على حالين من الآتي، أشار إلى ذلك القرطبي". وقال ابن تيمية: "والمراد بالكفر هنا هو التشبه بالكافرين في الجاهلية، لا أنه كافر حقيقة".

ولا يُشترط لتحقيق قوله صلى الله عليه وسلم: (من أتى عَرَّافًا أو كاهنًا فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أنزلَ على مُحَمَّدٍ)، أن يذهب الإنسان - حقيقةً ببدنه - إلى العرَّاف في مكانه الذي هو فيه، إذ المقصود النهي عن الذهاب إليه بأي وسيلة، سواء كان بالهاتف، أو عن طريق موقع تواصل، أو قراءة الأبراج في الصحف والمجلات، فالمنهي عنه هو سؤال العرَّاف - وما شابهه - وتصديقه بأي وسيلة كانت، فكل وسيلة تؤدي إلى المحرم فهي محرمة. قال ابن القيم في "إعلام الموقعين": "لما كانت المقاصد لا يتوصل إليها إلا بأسباب وطرق تُفْضي إليها، كانت طرقها وأسبابها تابعة لها معتبرة بها.. فإذا حرَّم الرب تعالى شيئاً، وله طرق ووسائل تُفْضي إليه: فإنه يحرمها ويمنع منها، تحقيقاً لتحريمه، وتنبيهاً له، ومَنَعاً أن يقرب حِمَاه".

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من اقتبس (مَنْ تَعَلَّمَ وأَخَذَ) شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد) رواه أبو داود وصححه الألباني. لقد حذَّرَ النبي صلى الله عليه وسلم أشدَّ التحذير من السحر، ومن كلِّ ما ارتبط به من علوم، وفي هذا الحديث يُبيِّن صلوات الله وسلامه عليه أن (مَنْ اقتَبَسَ)، أي: مَنْ تَعَلَّمَ وأَخَذَ، (علمًا من النجوم)، أي: من علوم النجوم المرتبطة بادِّعاء علم الغيب، وما سيَقَع في المستقبل، ونحو ذلك كالأبراج وما شابهها، (اقتَبَسَ شُعبَةً) أي: تَعَلَّمَ قِطْعَةً أو جُزْءًا، (من السحر)، أي: ما تعلمه هو من علوم النجوم فهو من السحر، أو هو كالسحر سواءً بسواءٍ في الوزر، وهذا بخلاف الاهتداء بالنجوم في معرفة القبلة ونحوها من أمور العبادات، فليست داخلَةً هنا. وقوله: (زاد ما زاد)، أي: كلما زاد في تعلُّم مسائل النجوم فهو يَزِيدُ من تعلُّم شُعبِ السحر ويَحْمِلُ وزره.

قال ابن حجر: "والمنهي عنه من علم النجوم ما يدعيه أهلها من معرفة الحوادث الآتية في مستقبل الزمن، كمجيء المطر، وهبوب الريح، وتغير الأسعار ونحو ذلك، ويزعمون أنهم يدركون ذلك بسير الكواكب، واقترانها واقتراقها، وظهورها في بعض الأزمان، وهذا علم استأثر الله به، لا يعلمه أحد غيره، فأما ما يُدرك من طريق المشاهدة من علم النجوم، والذي يعرف به الزوال وجهة القبلة وكم مضى من الليل والنهار وكم بقي، فإنه غير داخل في النهي". وقال الطيبي: "وروي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: "تعلموا من النجوم ما تعرفون به القبلة والطريق، ثم أمسكوا". وقال ابن تيمية في "الفتاوى الكبرى": "ولما أراد علي بن أبي طالب أن يسافر لقتال الخوارج عَرَضَ لَهُ مُنَجِّمٌ، فقال: يا أمير المؤمنين، لا تسافر، فإن القمر في الْعُقْرَبِ، فإنك إن سافرت والقمر في العقرب هُزِمَ أصحابك، أو كما قال، فقال عليّ: بل نسافر ثقة بالله، وتوكلا على الله، وتكذيباً لك، فسافر فبورك له في ذلك السفر حتى قتل عامة الخوارج، وكان ذلك من أعظم ما سُرَّ به، حيث كان قتاله لهم بأمر النبي صلى الله عليه وسلم".

وقال الشيخ ابن باز: "ما يُسمَّى بعلم النجوم والأبراج والحظ والطالع من أعمال الجاهلية التي جاء الإسلام بإبطالها، وبيان أنها من الشرك لما فيها من التعلق بغير الله تعالى، واعتقاد الضر والنفع في غيره، وتصديق العرَّافين والكهنة الذين يدَّعون علم الغيب زوراً وبهتاناً.. والدليل على ذلك ما رواه أبو داود في سننه بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد) .. ومن ادَّعى معرفة علم شيء من الْمُغَيَّبَاتِ فهو إما داخل في اسم الكاهن وإما مشارك له في المعنى".

من الآثار السلبية والخطيرة التي تصيب المشتغلين والمهتمين بالأبراج وقراءتها، أنها تُضْعِفُ عندهم التوكل على الله، والإيمان بالقدر، ويكثر فيهم التشاؤم والطيرة.. فعلى المسلم أن يبتعد عنها، ويحذر منها، طاعة لله ولرسوله، وحفاظاً على دينه وعقيدته، وذلك لأن هذه الأمور - قراءة الأبراج وما شابهها - تصطدم وتتناقض مع عقيدة التوحيد، وذلك لأنه من الأمور المقررة في عقيدة الإسلام أن علم الغيب مما يختص

به الله عز وجل وحده، قال ابن كثير في تفسيره لقول الله تعالى: {قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ} (النمل: 65): "يقول تعالى أمرا رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول مُعلماً لجميع الخلق: أنه لا يعلم أحد من أهل السموات والأرض الغيب. وقوله: {إِلَّا اللَّهُ} أي: لا يعلم أحد ذلك إلا الله، عز وجل، فإنه المنفرد بذلك وحده، لا شريك له، كما قال: {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ} (الأنعام: 59) .. والآيات في هذا كثيرة .. عن عائشة رضي الله عنها قالت: من زعم أنه يعلم - يعني النبي صلى الله عليه وسلم - ما يكون في غد، فقد أعظم على الله الفرية، لأن الله تعالى يقول: {لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ}. وقال قتادة: إنما جعل الله هذه النجوم لثلاث خصال: جعلها زينة للسماء، وجعلها يُهْتَدَى بها، وجعلها رجوماً للشياطين، فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد قال برأيه، وأخطأ حظه، وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به. وإن ناساً جهلة بأمر الله، قد أحدثوا من هذه النجوم كهانة: من أعرس بنجم كذا وكذا، كان كذا وكذا. ومن سافر بنجم كذا وكذا، كان كذا وكذا. ومن وُلِدَ بنجم كذا وكذا، كان كذا وكذا. ولعمري ما من نجم إلا يولد به الأحمر والأسود، والقصير والطويل، والحسن والدميم، وما علم هذا النجم وهذه الدابة وهذا الطير بشيء من الغيب! وقضى الله: أنه لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله، وما يشعرون أيان يبعثون".

٢٤٢- ويناقض التوحيد تشريع قانون يخالف شرع الله، لأن التشريع استحلال وزيادة، فهو استحلال والتزام وإلزام، وهو أعلى درجات الكفر بما أنزل الله تعالى.

٢٤٣- ويناقض التوحيد اعتقاد عدم صلاحية الشريعة لزماننا، أو اعتقاد أن غيرها خير منها، أو اعتقاد عدم لزومها، أو اعتقاد جواز مخالفتها، أو اعتقاد مساواتها بغيرها.

٢٤٤- قال شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة النبوية: لا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر، فمن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه هو عدلا من غير اتباع لما أنزل الله فهو كافر .

٢٤٥- فمن حكم بغير ما أنزل الله مستحلاً له وجاحداً لحكم الله، أو يرى أن حكم القوانين التي وضعها البشر أحسن من حكم الله، فهو كافر كفراً أكبر مخرجاً من الملة .

قال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله تعالى في رسالته “ تحكيم القوانين ” :
إن من الكفر الأكبر المستبين، تنزيل القانون اللعين، منزلة ما نزل به الروح الأمين، على قلب محمد صلى الله عليه وسلم، ليكون من المنذرين، بلسان عربي مبين، في الحكم به بين العالمين، والرد إليه عند تنازع المتنازعين، مناقضة ومعاودة لقول الله عز وجل: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (النساء: ٥٩) .

وقد نفى الله سبحانه وتعالى الإيمان عمن لم يحكموا النبي صلى الله عليه وسلم، فيما شجر بينهم، نفياً مؤكداً بتكرار أداة النفي وبالقسم، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥) .

ولم يكتفِ تعالى وتقدس منهم بمجرد التحكيم للرسول صلى الله عليه وسلم، حتى يضيفوا إلى ذلك عدم وجود شيء من الحرج في نفوسهم، بقوله جل شأنه: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ﴾ .

والحرج: الضيق. بل لا بدّ من اتساع صدورهم لذلك وسلامتها من القلق والاضطراب.

ولم يكتفِ تعالى أيضا هنا بهذين الأمرين، حتى يضموا إليهما التسليم: وهو كمال الانقياد لحكمه صلى الله عليه وسلم، بحيث يتخلّون هاهنا من أي تعلق للنفس بهذا الشيء، ويسلموا ذلك إلى الحكم الحق أتم تسليم، ولهذا أكّد ذلك بالمصدر المؤكّد، وهو قوله جلّ شأنه: ﴿تسليماً﴾ المبيّن أنه لا يُكتفى هاهنا بالتسليم.. بل لا بدّ من التسليم المطلق.

فقه الآيات ودلالاتها

وتأمل ما في الآية الأولى، وهي قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾. كيف ذكر النّكّرة، وهي قوله: ﴿شيء﴾ في سياق الشرط، وهو قوله جلّ شأنه: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ﴾ المفيد العموم فيما يُتصوّر التنازع فيه جنسا وقدرًا.

ثم تأمل كيف جعل ذلك شرطاً في حصول الإيمان بالله واليوم الآخر، بقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، ثم قال جلّ شأنه: ﴿ذلك خير﴾.. فشيء يُطلق الله عليه أنه خير، لا يتطرّق إليه شرّ أبداً، بل هو خير محض عاجلاً وأجلاً.

ثم قال: ﴿وأحسن تأويلاً﴾ أي: عاقبة في الدنيا والآخرة، فيفيد أنّ الردّ إلى غير الرسول صلى الله عليه وسلم عند التنازع شرٌّ محض، وأسوأ عاقبة في الدنيا والآخرة.

عكس ما يقوله المنافقون: ﴿إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ (النساء: ٦٢) . وقولهم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ (البقرة: ١١) . ولهذا ردّ الله عليهم قائلاً: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (البقرة: ١٢) .

وعكس ما عليه القانونيون من حكمهم على القانون بحاجة العالم (بل ضرورتهم) إلى التحاكم إليه، وهذا سوء ظن صِرْفٍ بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، ومحض استنقاص لبيان الله ورسوله، والحكم عليه بعدم الكفاية للناس عند التنازع، وسوء العاقبة في الدنيا والآخرة إن هذا لازمٌ لهم .

تدبر العموم في الآيات

وتأمل أيضا ما في الآية الثانية من العموم، وذلك في قوله تعالى: ﴿فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾، فإنّ اسم الموصول مع صلته مع صيغ العموم عند الأصوليين وغيرهم، وذلك العموم والشمول هو من ناحية الأجناس والأنواع، كما أنه من ناحية القدر، فلا فرق هنا بين نوع ونوع، كما أنه لا فرق بين القليل والكثير .

وقد نفى الله الإيمانَ عن مَنْ أراد التحاكم إلى غير ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، من المنافقين، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (النساء: ٦٠)

فإنّ قوله عز وجل: ﴿يَزْعُمُونَ﴾ تكذيب لهم فيما ادّعوه من الإيمان، فإنه لا يجتمع التحاكم إلى غير ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم مع الإيمان في قلب عبدٍ أصلاً، بل أحدهما ينافي الآخر .

والطاغوت مشتق من الطغيان، وهو: مجاوزة الحدّ فكلُّ مَنْ حَكَمَ بغير ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، أو حاكم إلى غير ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، فقد حَكَمَ بالطاغوت وحاكم إليه وذلك أنّه من حقّ كلِّ أحدٍ أن يكون حاكمًا بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، فقط، لا بخلافه .

كما أنّ من حقّ كلِّ أحدٍ أن يُحاكَمَ إلى ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم . . فمَنْ حَكَمَ بخلافه أو حاكم إلى خلافه فقد طغى، وجاوز حدّه، حُكْمًا أو تحكيما، فصار بذلك طاغوتا لتجاوزه حده .

وتأمل قوله عز وجل: ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾، تعرف منه معاندة القانونيين، وإرادتهم خلاف مراد الله منهم حول هذا الصدد، فالمراد منهم شرعًا والذي تعبّدوا به هو: الكفر بالطاغوت لا تحكيمه . . ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ . .﴾ (البقرة: ٥٩)

ثم تأمل قوله: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ﴾ كيف دلّ على أنّ ذلك ضلالٌ، وهؤلاء القانونيون يرونه من الهدى . .

كما دلّت الآية على أنّه من إرادة الشيطان، عكس ما يتصور القانونيون من بعدهم من الشيطان، وأنّ فيه مصلحة الإنسان، فتكون على زعمهم مرادات الشيطان هي صلاح الإنسان، ومراد الرحمن وما بُعث به سيّدٌ ولد عدنان معزولا من هذا الوصف، ومُنحى عن هذا الشأن .

وقد قال تعالى منكرًا على هذا الضرب من الناس، ومقررًا ابتغاءهم أحكام الجاهلية، وموضحًا أنه لا حكم أحسن من حكمه: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (المائدة: ٥٠) .

قسمة الحكم ثنائية

فتأمل هذه الآية الكريمة وكيف دلّت على أنّ قسمة الحكم ثنائية، وأنه ليس بعد حكم الله تعالى إلّا حكم الجاهلية، شاءوا أم أبوا، بل هم أسوأ منهم حالاً، وأكذب منهم مقالاً .

ذلك أنّ أهل الجاهلية لا تتأقّض لديهم حول هذا الصدد وأما القانونيون فمتناقضون، حيث يزعمون الإيمان بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، ويناقضون ويريدون أن يتّخذوا بين ذلك سبيلاً، وقد قال الله تعالى في أمثال هؤلاء: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ (النساء: ١٥١) .

حُسن ما أنزل الله وحُكم من حاد عنه

ثم انظر كيف ردّت هذه الآية الكريمة على القانونيين ما زعموه من حُسن زبالة أذهانهم، ونحاة أفكارهم، بقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ .

قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية:

“ينكر الله على من خرج من حكم الله المُحكّم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شرّ، وعدّل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات، التي وضعها

الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات، مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم .

وكما يحكم به التنازع من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم “ جنكيز خان ” الذي وضع لهم كتاباً مجموعاً من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى، من اليهودية، والنصرانية، والملة الإسلامية، وغيرها وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بنيهِ شرعاً مُتَّبَعاً يَقْدِّمُونَهَا عَلَى الْحُكْمِ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فمن فعل ذلك فهو كافرٌ يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله، فلا يُحَكِّمُ سِوَاهُ فِي قَلِيلٍ وَلَا كَثِيرٍ .

قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَنْغُونَ﴾، أي: يبتغون ويريدون، وعن حكم الله يعدلون ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾، أي: ومن أعدل من الله في حكمه، لِمَنْ عَقَلَ عَنْ اللَّهِ شَرْعَهُ وَأَمَنَ بِهِ وَأَيَقَنَ، وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ، وَأَرْحَمُ بَخْلَقِهِ مِنَ الْوَالِدَةِ بَوْلَدِهَا، فَإِنَّهُ تَعَالَى هُوَ الْعَالَمُ بِكُلِّ شَيْءٍ، الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الْعَادِلُ فِي كُلِّ شَيْءٍ ” . (انتهى قول الحافظ ابن كثير)

تكاثر الأدلة على هذا الأصل العظيم

أدلة وجوب الحكم بما أنزل الله

وقد قال عزّ شأنه قبل ذلك مخاطباً نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾، وقال تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم

بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ . (المائدة: ٤٩) .

وقال تعالى مُخِيرًا نَبِيَّهٖ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَيْنَ الْحُكْمِ بَيْنَ الْيَهُودِ وَالْإِعْرَاضِ عَنْهُمْ إِنْ جَاءُوهُ لَذَلِكَ: ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (المائدة: ٤٢)، والقسط هو: العدل ولا عدل حقا إلا حُكْمُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، والحكم بخلافه هو الجور، والظلم، والضلال، والكفر، والفسوق .

ولهذا قال تعالى بعد ذلك: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (المائدة: ٤٤)، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (المائدة: ٤٥)، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (المائدة: ٤٧) .

فانظر كيف سجّل تعالى على الحاكمين بغير ما أنزل الله الكفرَ والظلمَ والفسوقَ، ومن الممتنع أن يُسمّي الله سبحانه الحاكمَ بغير ما أنزل الله كافرًا ولا يكون كافرًا، بل كافرٌ مطلقًا، إمّا كفر عمل وإمّا كفر اعتقاد .

وما جاء عن ابن عباس، رضي الله عنهما، في تفسير هذه الآية من رواية طاووس وغيره يدلُّ أنَّ الحاكمَ بغير ما أنزل الله كافرٌ إمّا كفرٌ اعتقادٍ ناقلٌ عن الملة، وإمّا كفرٌ عملٍ لا ينقلُ عن الملة .

أما الأول: وهو كفر الاعتقاد فهو أنواع

جحد أحقية حكم الله ورسوله

أحدها: أن يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله أحقية حكم الله ورسوله

وهو معنى ما رُوي عن ابن عباس، واختاره ابن جرير أن ذلك هو جحد ما أنزل الله من الحكم الشرعي، وهذا ما لا نزاع فيه بين أهل العلم..

فإن الأصول المتقررة المتفق عليها بينهم أن مَنْ جَحَدَ أصلاً من أصول الدين أو فرعاً مُجمَعاً عليه، أو أنكر حرفاً مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، قطعياً، فإنه كافر الكفر الناقل عن الملة.

اعتقاد أن حكم غير الله ورسوله وسلم أحسن من حكمه

الثاني: أن لا يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله كون حكم الله ورسوله حقاً، لكن اعتقد أن حكم غير الرسول صلى الله عليه وسلم أحسن من حكمه، وأتم وأشمل...

لما يحتاجه الناس من الحكم بينهم عند التنازع، إمّا مُطلقاً أو بالنسبة إلى ما استجدّ من الحوادث، التي نشأت عن تطوّر الزمان وتغير الأحوال.

وهذا أيضاً لا ريب أنه كافرٌ، لتفضيله أحكام المخلوقين التي هي محض زبالة الأذهان، وصرف خُثالة الأفكار، على حكم الحكيم الحميد.

وحكم الله ورسوله لا يختلف في ذاته باختلاف الأزمان، وتطور الأحوال، وتجدّد الحوادث، فإنه ما من قضية كائنة ما كانت إلا وحكمها في كتاب الله تعالى، وسنة رسوله، صلى الله عليه وسلم، نصّاً أو ظاهراً أو استنباطاً أو غير ذلك، علِمَ ذلك مَنْ علمه، وجَهِلَه مَنْ جهله.

معنى تغيّر الفتوى بتغير الأحوال

وليس معنى ما ذكره العلماء من تغيّر الفتوى بتغير الأحوال ما ظنّه من قلّ نصيبه أو عدم من معرفة مدارك الأحكام وعِلَلها، حيث ظنّوا أنّ معنى ذلك بحسب ما يُلائم إرادتهم الشهوانية البهيمية، وأغراضهم الدنيوية وتصوّراتهم الخاطئة.

ولهذا تجذّهم يحامون عليها، ويجعلون النصوص تابعة لها منقادة إليها، مهما أمكنهم فيحرفون لذلك الكَلِم عن مواضعه.

وحينئذٍ معنى تغيّر الفتوى بتغير الأحوال والأزمان مراد العلماء منه: “ ما كان مُستصحبه فيه الأصول الشرعية، والعلل المرعية، والمصالح التي جنسها مرادٌ لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ” .

ومن المعلوم أنّ أرباب القوانين الوضعية عن ذلك بمعزل، وأنهم لا يقولون إلّا على ما يلائم مراداتهم، كائنة ما كانت، والواقع أصدق شاهدٍ.

المساواة بين حكم الله وحكم غيره

الثالث: أنّ لا يعتقد كونه أحسن من حكم الله ورسوله، لكن اعتقد أنه مثله

فهذا كالنوعين الذين قبله، في كونه كافرًا الكفر الناقل عن الملّة، لما يقتضيه ذلك من تسوية المخلوق بالخالق والمناقضة والمعاندة لقوله عزّ وجلّ: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (الشورى: ١١) . ونحوها من الآيات الكريمة، الدالة على تفرد الربّ بالكمال، وتنزيهه

عن مماثلة المخلوقين، في الذات والصفات والأفعال والحُكم بين الناس فيما يتنازعون فيه .

تجوز الحُكم بما يخالف حُكم الله ورسوله

الرابع: أن لا يعتد كون حُكم الحاكم بغير ما أنزل الله مماثلاً لحكم الله ورسوله، فضلاً عن أن يعتد كونه أحسن منه، لكن اعتد جواز الحُكم بما يخالف حُكم الله ورسوله

فهذا كالذي قبله يصدق عليه ما يصدق عليه، لاعتقاده جواز ما علم بالنصوص الصحيحة الصريحة القاطعة تحريمه .

القوانين الوضعية تقنيا وإنشاءً وحمل الناس عليها

الخامس: وهو أعظمها وأشملها وأظهرها معاندة للشرع، ومكابرة لأحكامه، ومشاققة لله ورسوله، ومضاهاة بالمحاكم الشرعية

إعدادا وإمدادا وإرصادا وتأصيلا، وتفريعا وتشكيلا وتنويعا، وحكما وإلزاما، ومراجع ومستندات . .

فكما أن للمحاكم الشرعية مراجع مستمدات، مرجعها كلها إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فلهذه المحاكم مراجع، هي: القانون المُلَقَّ من شرائع شتى، وقوانين كثيرة، كالقانون الفرنسي، والقانون الأمريكي، والقانون البريطاني، وغيرها من القوانين، ومن مذاهب بعض البدعيين المنتسبين إلى الشريعة وغير ذلك .

فهذه المحاكم في كثير من أمصار الإسلام مهيأة مكملة، مفتوحة الأبواب، والناس إليها أسرابٌ إثر أسراب، يحكمُ حُكَّامُها بينهم بما يخالف حكم السُّنة والكتاب، من أحكام ذلك القانون، وتُلزمهم به، وتُقرُّهم عليه، وتُحتِّمُه عليهم.. فأَيُّ كُفر فوق هذا الكفر، وأَيُّ مناقضة للشهادة بأنَّ محمداً رسولُ الله بعد هذه المناقضة.

قسمة ظالمة ورضا بالأدنى

وذكرُ أدلة جميع ما قدّمنا على وجه البسط معلومة معروفة، لا يحتمل ذكرها في هذا الموضوع. فيا معشر العقلاء، ويا جماعات الأذكىاء وأولي النهى كيف ترضون أن تجري عليكم أحكام أمثالكم، وأفكار أشباهكم، أو من هم دونكم، ممن يجوز عليهم الخطأ.

بل خطوهم أكثر من صوابهم بكثير، بل لا صواب في حكمهم إلا ما هو مُستمد من حكم الله ورسوله، نصّاً أو استنباطاً، تدعونهم يحكمون في أنفسكم ودمائكم وأبشاركم، وأعراضكم وفي أهاليكم من أزواجكم وذرائعكم، وفي أموالكم وسائر حقوقكم؟؟

ويتركون ويرفضون أن يحكموا فيكم بحكم الله ورسوله، الذي لا يتطرق إليه الخطأ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

قبول حكم الله صنو السجود له

وخُضوع الناس ورضوخهم لحكم ربهم خضوع ورضوخ لحكم من خلقهم تعالى ليعبدوه فكما لا يسجدُ الخلقُ إلا لله، ولا يعبدون إلا إياه ولا يعبدون المخلوق، فكذلك يجب أن لا يرضخوا ولا يخضعوا أو ينقادوا إلا لحكم الحكيم العليم الحميد، الرؤوف الرحيم، دون حكم المخلوق، الظلوم الجهول، الذي أهلكته الشكوك والشهوات والشبهات، واستولت على قلوبهم الغفلة والقسوة والظلمات.

فيجب على العقلاء أن يربئوا بنفوسهم عنه، لما فيه من الاستعباد لهم، والتحكم فيهم بالأهواء والأغراض، والأغلاط والأخطاء، فضلاً عن كونه كفرًا بنصّ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (المائدة: ٤٤) .

حكم رؤساء العشائر وحكام البوادي

السادس: ما يحكم به كثير من رؤساء العشائر، والقبائل من البوادي ونحوهم، من حكايات آبائهم وأجدادهم، وعاداتهم التي يسمونها “ سلومهم ”

يتوارثون ذلك منهم، ويحكمون به ويخضون على التحاكم إليه عند النزاع، بقاءً على أحكام الجاهلية، وإعراضاً ورغبةً عن حكم الله ورسوله، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

الكفر غير الناقل عن الملة

وأما القسم الثاني من قسمي كُفر الحاكم بما أنزل الله، وهو الذي لا يُخرج من الملة فقد تقدّم أنّ تفسير ابن عباس، رضي الله عنهما، لقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (المائدة: ٤٤) .

قد شمل ذلك القسم، وذلك في قوله، رضي الله عنه، في الآية: “ كُفر دون كفر ”، وقوله أيضاً: “ ليس بالكفر الذي تذهبون إليه ” وذلك أنّ تحمّله شهوته وهواه على الحكم في القضية بغير ما أنزل الله، مع اعتقاده أنّ حكم الله ورسوله هو الحقّ، واعترافه على نفسه بالخطأ ومجانبة الهدى .

وهذا وإن لم يُخرجه كُفْرُهُ عن الملة، فإنه معصية عظمى أكبر من الكبائر، كالزنا وشرب الخمر، والسَّرقة واليمين الغموس، وغيرها فإنَّ معصية َّ سَمَّاها الله في كتابه كفرًا، أعظم من معصية لم يُسمَّها كُفْرًا .

نسأل الله أنْ يجمع المسلمين على التحاكم إلى كتابه، انقيادا ورضاءً، إنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه .

تمت الرسالة والله الحمد .

٢٤٦-ومن يعتقد أنه من حقه أن يشرع قانونًا مخالفًا للشرع يلزم به المسلمين، فهو في أعلى درجات الكفر بما أنزل الله تعالى، لأنه انتزع صفة الربوبية من رب العالمين، وهو كمن قال : "أنا ربكم الأعلى" .

لأن هذا مستحلّ، وملتزم بالحكم بغير ما أنزل الله، وملزمٌ لغيره بالتحاكم لغير ما أنزل الله، فأبي كفر أعظم من هذا؟

٢٤٧-ومن يظن أنه يمكنه أن يحقق العدل بعيدًا عن شرع الله، فهو كافر كفرًا أكبر مخرجًا من الملة .

إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ َّ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا (105) النساء

٢٤٨-ومن يظن أن الشريعة لا تحقق العدل، فهو كافرٌ كفرًا أكبر مخرجًا من الملة .

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (58) النساء

٢٤٩-ومن يعتقد أنه بقانونه الوضعي سوف يحقق العدل الذي لم تحققه الشريعة، فهو كافرٌ كفرًا أكبر مخرجًا من الملة.

ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (18) الجاثية

٢٥٠-ومن يعتقد أنه أعلم بحكم الله من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهو كافرٌ كفرًا أكبر مخرجًا من الملة.

{مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} الأحزاب ٤٠

٢٥١-ومن يعتقد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يحكم بالعدل، أو فشل في تحقيق العدل، فهو كافرٌ كفرًا أكبر مخرجًا من الملة.

فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (65) النساء

٢٥٢-ومن يعتقد أنه أعلم بالعدل، أو أقدر على تحقيق العدل من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهو كافرٌ كُفْرًا أكبر مخرجًا من الملة.

{وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} [المائدة: 44]، وتليها آيتان تنتهيان بـ {الظَّالِمُونَ} و{الْفَاسِقُونَ}.

٢٥٣-ومن يعتقد أنه أعلم بالسياسة وشئون الحكم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهو كافرٌ كُفْرًا أكبر مخرجًا من الملة.

وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ (1) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (2) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3)
إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (4) النجم

٢٥٤-ومن يستحل ما حرمه الله مما أجمع المسلمون على حرمة، كاستحلال الزنا أو استحلال القتل بغير حقٍّ أو استحلال أكل أموال الناس بالباطل، ويبيح ذلك للناس بحكم القانون، فهو كافرٌ كُفْرًا أكبر مخرجًا من الملة.

لأن المستحل منتزع لصفة الربوبية من الله تعالى.

قال تعالى: "اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (31) التوبة

عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: "أُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفي عنقي صليبٌ من ذهبٍ. فقال يا عدي اطرح عنك هذا الوثنَ وسمعته يقرأ في سورة براءة اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ قَالَ أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحْلُوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحْلَوْهُ وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ

خلاصة حكم المحدث : حسن

الراوي : عدي بن حاتم الطائي | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح الترمذي
| الصفحة أو الرقم : 3095

| التخریج : أخرجه الترمذي (3095) ”

٢٥٥- ومن التوحيد الإيمان أن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً،
وأن حق العباد على الله أن لا يعذب من لا يُشرك به شيئاً .

حق الله عز وجل على العباد جميعاً توحيده وعدم الإشراك به، وعبادته سبحانه
والإخلاص له، وطاعة أوامره والانتهاء عن نواهيه، قال الله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ
وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} (الذاريات: 56)، وقال تعالى: {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا
إِيَّاهُ} (الإسراء: 23)، وقال سبحانه: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ
وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} (النحل: 36)، {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا} (النساء: 36) ..
وحق العباد على الله إذا قاموا بتوحيده ولم يشركوا معه شيئاً، وأدوا حقه: أن يدخلهم
الجنة، وأن يُنجيهم من النار، قال الله تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} (التوبة: 72)، وقال سبحانه: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} (البينة: 7- 8) .

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي صلوات الله وسلامه عليه قال: (يا
معاذ! هل تدري ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله
أعلم، قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يُشركوا به شيئاً، ثم سار ساعة،
ثم قال: يا معاذ بن جبل، قلت: لبيك رسول الله وسعديك، قال: هل تدري ما حق

العباد على الله إذا هم فعلوا ذلك؟ قلتُ: الله ورسوله أعلم، قال: فإن حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك أن يدخلهم الجنة) رواه البخاري. وفي رواية أخرى: (فإن حق الله على العباد إذا فعلوا ذلك ألا يعذبهم).

٢٥٦-ومن التوحيد اعتقاد أن من أطاع الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، فإنَّ الله تعالى يستخلفه في الأرض، ويمكن له دينه الذي ارتضاه له، ويبدله من بعد خوفه أمناً.

٢٥٧-ومن التوحيد الإيمان بأنه يستحيل على الله أن يغفر لمن مات على الشرك، وأن من مات على الشرك فهو مخلدٌ في النار أبداً لا يخرج منها أبداً.

٢٥٨-ومن التوحيد أن نؤمن أنه يجب على الله (أوجبه على نفسه سبحانه) أن يدخل من مات على التوحيد الجنة، وإن سبق ذلك أهوال أو آلام أو عذابات.

٢٥٩-ومن التوحيد الإيمان أنه لا يجوز على الله أن يُخلف وعده، ويجوز أن يتخلف وعيدُه سبحانه في حق من شاء من عصاة المسلمين.

٢٦٠-ومن التوحيد أن نؤمن أن الله تعالى لا يجوز عليه أن يعذب من وحّده وأن يرحم من أشرك به، بل يجب على الله تعالى أن يرحم من وحّده وأن يعذب من أشرك به.

٢٦١-ومن التوحيد الإيمان أن الله يتكلم حين يشاء، كلاماً حقيقياً، بصوتٍ وحرف، وأنه يُسمع كلامه من شاء من خلقه.

وأن الله تعالى كلم موسى تكليماً.

وأن الله تعالى كلم محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ليلة الإسراء والمعراج.

وأن صفة الكلام لله تعالى صفة قديمة النوع، حادثة الآحاد.

وأن الله تعالى يكلم عباده يوم القيامة، كلاً بلغته.

وأن القرآن الكريم كلام الله حقيقةً، تكلم الله تعالى به بصوت وحرف، وسمعه من جبريل الأمين عليه السلام، وأن القرآن الكريم غير مخلوق، لأنه صفةُ الله، وصفات الله غير مخلوقة .

٢٦٢-ومن التوحيد الإيمان بعلو الله تعالى فوق خلقه، علو مكان ومكانة وقهر، وأنه تعالى في السماء، فوق العرش، وأن العرش سقف المخلوقات .

وأن الله تعالى بائنٌ من خلقه، لا يحل فيهم ولا يتحد بهم، بل ذاته الشريفة مستقلة عن المخلوقات، وأن الله تعالى بذاته فوق السماء، وأنه سبحانه مُطَّلِعٌ على كل مكان دون أن يتواجد -بذاته- في كل مكان .

٢٦٣-ومن التوحيد الإيمان بأن صفات الله تعالى أكثر من أسمائه، وأن أسماء الله تعالى الحسنی أكثر من تسعة وتسعين، والمسلم يؤمن بكل صفات الله تعالى وأسمائه كما يليق بجلال الله تعالى وجماله وجلاله .

٢٦٤-ومن التوحيد التخلص والبراءة من الشك، بل نسلم لله ولرسوله ونؤمن بالوحي بيقين تامٍّ دون شك .

وإن أفضل الإيمان ما كان دون شك، وإن الشك من أعظم أبواب الشر التي قد تجر إلى الكفر المحض -عياداً بالله ولياداً بجناحه الكريم .

٢٦٥-ومن التوحيد الإيمان أن العقل له قدرة -بعون الله- على معرفة وتمييز الحسن من القبيح، إلا أنه (العقل) لا يستقل بالأحكام الشرعية دون وحيٍّ، وأن وظيفة العقل هي الفهم عن الله ورسوله للوصول إلى الحق ومعرفة الحكم الشرعي (الاستنباط)، وأن العقل مناط التكليف، وأنه لا تكليف على من لا عقل له .

٢٦٦-ومن التوحيد الإيمان أن للأولياء كرامات، ولكنها دون معجزات الأنبياء عليهم السلام، كما أن الأولياء -في الفضل- دون الأنبياء عليهم السلام، وأن الولي هو كل مؤمن تقيٍّ، وأن خوارق العادات ليس دليلاً على الكرامة أو الولاية إلا إذا كان العبد موافقاً للكتاب والسنة .

٢٦٧-ومن التوحيد الإيمان أن الله تعالى لا يفعل شيئاً إلا لحكمة .

قال الإمام الطحاوي في عقيدته المشهورة: وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان وسلم الحرمان ودرجة الطغيان فالحذر كل الحذر من ذلك نظراً وفكراً ووسوسة، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال الله تعالى في كتابه: لا يسأل عما يفعل وهم يسألون . فمن سأل: لم فعل؟ فقد رد حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين . . فالله تعالى لم يكشف قدره على وجه التفصيل لأحد، بل هذا علمه عند الله، وما طوى الله عنا علمه من القدر فإن الخير في أن لا نبحت فيه، وفي الحديث الصحيح: إذا ذكر القدر فأمسكوا . رواه الطبراني وصححه الألباني .

ولهذا فإن الراسخين في العلم يبسطون من مسائل القدر ما جاء في الأدلة، ويطوون من مسائل القدر ما لم يأت في الأدلة، والواجب على المؤمن أن يؤمن إيماناً يقينياً أن الله تعالى حكيم في أفعاله لا يفعل شيئاً عن غير حكمة، خبير ومطلع على أفعال عباده لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وأنه تعالى كما قال: قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ . فإذا آمن بذلك ولم يتعمق استراح قلبه وسكن واستقر إيمانه ولم يتزعزع .

٢٦٨-ومن التوحيد الإيمان أن العبد يكسب الحسنات بتوفيق الله ثم بإرادة العبد واختياره، وأن العبد يكتسب السيئات بقدر الله ثم بإرادة العبد واختياره، وأن العبد

يستحق الثواب على الحسنات (بفضل الله تعالى)، وأن العبد يستحق العقاب على السيئات (بعذل الله تعالى) .

٢٦٩-ومن التوحيد الإيمان بأن لله تعالى قدرةً ومشيةً تليق بربوبيته وألوهيته وصفاته، وأن للعبد قدرةً ومشيةً تليق بعبوديته وضعفه، وأن قدرة العبد ومشيته تابعةٌ وخاضعةٌ لقدرة الله تعالى ومشيته .

قال تعالى:

لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (28) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (29) التكوير .

٢٧٠-ومن التوحيد الإيمان بأن لله تعالى إرادتان، إرادةً شرعية، وهي ما يحبه تعالى ويأمر به، وقد يطيع العبد إرادة الله الشرعية وقد يعصيها .

قال تعالى : ”وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا (27) النساء

أما الإرادة الأخرى، فهي الإرادة الكونية، وهي قدر الله ومشيته، وقد تكون من الأشياء المحبوبة لله أو من الأشياء التي يبغضها الله وينهى عنها ولكنه سبحانه قدر وجودها ووقعها لحكمةٍ يعلمها سبحانه .

قال تعالى : ”إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (82) يس

٢٧١-ومن التوحيد الإيمان أن الحكم بالردة على شخص معين هو حكم قضائي شرعي، ولا يكون إلا بإقامة الحجة واستيفاء الشروط وانتفاء الموانع، وأن حدَّ الردة حقٌّ وواجبٌ على الحاكم بشروطه، وأن حد الردة لا يُقام إلا بعد صدور حكم قضائي نهائي بات، وأن حد الردة لا يُقام إلا بعد الاستتابة، وأن حد الردة يسقط إذا عاد المرتد إلا الإسلام، وأن المرتد لا يعود إلى الإسلام إلا بتصحيح ما كان سببًا في رده أو الإقرار بما كان ينكره أو التخلص مما كان سببًا في كفره .

٢٧٢-ومن التوحيد الإيمان بأن الحكم على شخص معين بالكفر هو حكم شرعي ليس لأحد الناس، وأن الكافر هو من حكم الله أو رسوله صلى الله عليه وآله وسلم عليه بالكفر، وأن كل من ليس مسلمًا فهو كافر، وأن الكفر دركات، وأن من الكفار من هو أهون كفرًا من غيره، وأن أقرب الكفار إلى المسلمين هم أهل الكتاب من النصارى، ثم اليهود .

٢٧٣-ومن التوحيد الإيمان أن غير المسلم يدخل الإسلام بالنطق بكلمة : لا إله إلا الله محمد رسول الله .

وأن المسلم قد يقع في الكفر -عياذًا بالله- بكلمة، مثل سب الإسلام أو سب الله أو سب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أو السخرية من شعائر الإسلام أو الاستهزاء بالقرآن الكريم أو إنكار المعلوم من الدين بالضرورة .

٢٧٤-ومن التوحيد الإيمان أن عمل الجوارح المأمور به شرعًا من الإيمان، وأن من عمل الجوارح المنهي عنه ما يكون ذنبًا كبيرًا (مثل الزنا أو القتل بغير حق)، ومن عمل الجوارح المنهي عنه ما يكون كفرًا (مثل السجود لغير الله أو رفع الصليب أو إهانة المصحف) .

قال الزُّهريُّ: (كُنَّا نَقُولُ: الْإِسْلَامُ بِالْإِقْرَارِ، وَالْإِيمَانُ بِالْعَمَلِ، وَالْإِيمَانُ: قَوْلٌ وَعَمَلٌ، قَرِينَانِ لَا يَنْفَعُ أَحَدُهُمَا إِلَّا بِالْآخَرِ، وَمَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا يُوزَنُ قَوْلُهُ وَعَمَلُهُ؛ فَإِنْ كَانَ عَمَلُهُ أَوْزَنَ مِنْ قَوْلِهِ، صَعِدَ إِلَى اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ كَلَامُهُ أَوْزَنَ مِنْ عَمَلِهِ، لَمْ يَصْعَدْ إِلَى اللَّهِ)

وقال الأوزاعيُّ: (لَا يَسْتَقِيمُ الْإِيمَانُ إِلَّا بِالْقَوْلِ، وَلَا يَسْتَقِيمُ الْإِيمَانُ وَالْقَوْلُ إِلَّا بِالْعَمَلِ، وَلَا يَسْتَقِيمُ الْإِيمَانُ وَالْقَوْلُ وَالْعَمَلُ إِلَّا بِنَبِيَّةٍ مُوَافِقَةٍ لِلسُّنَّةِ، وَكَانَ مِنْ مَضَى مِنْ سَلَفِنَا لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ، وَالْعَمَلُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانُ مِنَ الْعَمَلِ، وَإِنَّمَا الْإِيمَانُ اسْمٌ جَامِعٌ، كَمَا يَجْمَعُ هَذِهِ الْأَدْيَانُ أَسْمُهَا، وَيُصَدِّقُهُ الْعَمَلُ، فَمَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَعَرَفَ بَقَلْبِهِ، وَصَدَّقَ بِعَمَلِهِ؛ فَتِلْكَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى الَّتِي لَا انْفِصَامَ لَهَا، وَمَنْ قَالَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَعْرِفْ بَقَلْبِهِ، وَلَمْ يَصَدِّقْهُ بِعَمَلِهِ، لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ، وَكَانَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)

وقال الشَّافعيُّ: (كَانَ الْإِجْمَاعُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَنْ أَدْرَكْنَاهُمْ، يَقُولُونَ: الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنَبِيَّةٌ، لَا يَجْزِي وَاحِدٌ مِنَ الثَّلَاثِ إِلَّا بِالْآخَرِ)

وعن موسى بن هارونَ قال: (أَمَلَى عَلَيْنَا إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوِيَةَ أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، لَا شَكَّ أَنَّ ذَلِكَ كَمَا وَصَفْنَا، وَإِنَّمَا عَقَلْنَا هَذَا بِالرِّوَايَاتِ الصَّحِيحَةِ، وَالْآثَارِ الْعَامَّةِ الْمَحْكَمَةِ، وَآحَادِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالتَّابِعِينَ، وَهَلُمَّ جَرًّا عَلَى ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ بَعْدَ التَّابِعِينَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، عَلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ لَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ، وَكَذَلِكَ فِي عَهْدِ الْأَوْزَاعِيِّ بِالشَّامِ، وَسَفِيَانَ الثَّوْرِيِّ بِالْعِرَاقِ، وَمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ بِالْحِجَازِ، وَمَعْمَرٍ بِالْيَمَنِ، عَلَى مَا فَسَّرْنَا وَبَيَّنَّا؛ أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ)

وقال البخاريُّ: (لَقِيتُ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ رَجُلٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِالْأَمْصَارِ، فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا مِنْهُمْ يَخْتَلِفُ فِي أَنَّ الدِّينَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ)

وقال البَغَوِيُّ: (اتَّفَقَتِ الصَّحَابَةُ والتابعون فَمَنْ بَعَدَهُمْ مِنْ عُلَمَاءِ السُّنَّةِ عَلَى أَنَّ الْأَعْمَالَ مِنَ الْإِيمَانِ... وقالوا: إِنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَعَقِيدَةٌ)

وقال ابنُ عبدِ البرِّ: (أَجْمَعَ أَهْلُ الْفِقْهِ والحديثِ أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، وَلَا عَمَلٌ إِلَّا بِنَبِيَّةٍ، وَالْإِيمَانُ عِنْدَهُمْ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ، وَالطَّاعَاتُ كُلُّهَا عِنْدَهُمْ إِيمَانٌ)

وقال ابنُ تيمِيَّةَ: (الْقَوْلُ: إِنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ: مِنْ شَعَائِرِ السُّنَّةِ، وَحَكَى غَيْرُ وَاحِدٍ الْإِجْمَاعَ عَلَى ذَلِكَ، وَقَدْ ذَكَرْنَا عَنِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا ذَكَرَهُ مِنَ الْإِجْمَاعِ عَلَى ذَلِكَ؛ قَوْلُهُ فِي «الْأَمِّ»: وَكَانَ الْإِجْمَاعُ مِنَ الصَّحَابَةِ والتابعين مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَنْ أَدْرَكْنَاهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنَبِيَّةٌ، لَا يَجْزِي وَاحِدٌ مِنَ الثَّلَاثَةِ إِلَّا بِالْآخِرِ .

وذكر ابنُ أبي حاتمٍ في «مناقبه»: سَمِعْتُ حَزْمَةَ يَقُولُ: اجْتَمَعَ حَفْصُ الْفَرْدِ ومصلانُ الإباضيِّ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ فِي دَارِ الْجُرُوعِ، فَتَنَاضَرَا مَعَهُ فِي الْإِيمَانِ، فَاحْتَجَّ مَصْلَانُ فِي الزِّيَادَةِ والنَّقْصَانِ، وَخَالَفَهُ حَفْصُ الْفَرْدِ، فَحَمِيَ الشَّافِعِيُّ وَتَقَلَّدَ الْمَسْأَلَةَ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، فَطَحَنَ حَفْصًا الْفَرْدَ وَقَطَعَهُ)

وقال ابنُ تيمِيَّةَ أَيْضًا: (أَجْمَعَ السَّلَفُ أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ قَوْلُ الْقَلْبِ وَعَمَلُ الْقَلْبِ، ثُمَّ قَوْلُ اللِّسَانِ وَعَمَلُ الْجَوَارِحِ، فَأَمَّا قَوْلُ الْقَلْبِ: فَهُوَ التَّصْدِيقُ الْجَازِمُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَيَدْخُلُ فِيهِ الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ النَّاسُ فِي هَذَا عَلَى أَقْسَامٍ: مِنْهُمْ مَنْ صَدَّقَ بِهِ جُمْلَةً وَلَمْ يَعْرِفِ التَّفْصِيلَ، وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّقَ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا، ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ يَدُومُ اسْتِحْضَارُهُ وَذِكْرُهُ لِهَذَا التَّصْدِيقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَغْفُلُ عَنْهُ وَيَذْهَلُ، وَمِنْهُمْ مَنْ

استبصرَ فيه بما قَدَفَ اللهُ في قَلْبِهِ مِنَ النُّورِ والإيمانِ، ومنهم من جزم به لدليلٍ قد تعرَّضَ فيه شبهةٌ أو تقليدٌ جازمٌ، وهذا التصديقُ يتبعُه عَمَلُ القَلْبِ، وهو: حُبُّ اللهِ ورسولِهِ، وتعظيمُ اللهِ ورسولِهِ، وتعزيزُ الرسولِ وتوقيره، وخشيةُ اللهِ والإنابةُ إليه، والإخلاصُ له، والتوكُّلُ عليه، إلى غير ذلك من الأحوالِ، فهذه الأعمالُ القَلْبِيَّةُ كُلُّهَا من الإيمانِ، وهي ممَّا يُوجِبُهَا التصديقُ والاعتقادُ إيجابَ العِلَّةِ للمَعْلُولِ، ويتبعُ الاعتقادَ قولُ اللِّسانِ، ويتبعُ عَمَلُ القَلْبِ عَمَلُ الجوارحِ؛ مِنَ الصَّلَاةِ والزَّكَاةِ والصَّوْمِ والحَجِّ (ونحو ذلك)

وقال أيضًا: (أَمَّا سَائِرُ الفُقَهَاءِ مِنْ أَهْلِ الرَّأْيِ والآثَرِ بالحِجَازِ والعِراقِ والشَّامِ ومِصرَ؛ منهم مالِكُ بْنُ أَنَسٍ، وَاللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، والأَوْزَاعِيُّ، وَالشَّافِعِيُّ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوِيَةَ، وَأَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمِ بْنُ سَلَّامٍ، وَدَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ، وَالطَّبْرِيُّ، وَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُمْ- فقالوا: الإيمانُ قولٌ وعَمَلٌ؛ قولٌ باللِّسانِ، وهو الإقرارُ، واعتقادٌ بالقَلْبِ، وعَمَلٌ بالجوارحِ، مع الإخلاصِ بالنيَّةِ الصَّادِقَةِ. قالوا: وكُلُّ ما يطاعُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ به من فريضةٍ ونافلةٍ، فهو من الإيمانِ، والإيمانُ يَزِيدُ بالطَّاعاتِ، وَيَنْقُصُ بالمعاصي)

وقال ابنُ رَجَبٍ: (المشهورُ عن السَّلَفِ وأهلِ الحَدِيثِ أَنَّ الإيمانَ: قولٌ وعَمَلٌ وَنِيَّةٌ، وَأَنَّ الأعمالَ كُلَّهَا داخِلَةٌ في مُسَمَّى الإيمانِ. وحكى الشَّافِعِيُّ على ذلك إجماعَ الصَّحَابَةِ والتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِمَّنْ أدركَهُمْ. وأنكر السَّلَفُ على من أخرج الأعمالَ مِنَ الإيمانِ إنكارًا شديدًا. وممَّنْ أنكر ذلك على قائلِهِ، وجَعَلَهُ قولًا مُحدثًا: سعيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وميمونُ بْنُ مِهْرَانَ، وَقَتَادَةُ، وأَيُّوبُ السَّخْتِيَانِيُّ، وإبراهيمُ النَّخَعِيُّ، والزُّهْرِيُّ، ويحيى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ، وَغَيْرُهُمْ. وقال الثَّوْرِيُّ: هو رأيٌ مُحدثٌ؛ أدركنا النَّاسَ على غيرِهِ. وقال الأَوْزَاعِيُّ: كان من مضى مِمَّنْ سَلَفَ لا يُفَرِّقُونَ بين الإيمانِ والعَمَلِ. وكتب عُمرُ بْنُ عبدِ العزيزِ إلى أهلِ الأَمْصارِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الإيمانَ فرائضٌ وشرائعٌ وخُدُودٌ وَسُنَنٌ، فمن استكملها استكملَ الإيمانَ، ومن لم يستكملها لم يستكملِ الإيمانَ. ذَكَرَهُ البخاريُّ في «صحيحهِ»)

وقال العيني: (الفرقة الرابعة قالوا: إِنَّ الإيمانَ فعلُ القلبِ واللِّسانِ مع سائرِ الجوارحِ، وهم أصحابُ الحديثِ، ومالكٌ، والشافعيُّ، وأحمدُ، والأوزاعيُّ،... وما ذهب إليه السلفُ وأهلُ الأثرِ أَنَّ الإيمانَ عبارةٌ عن مجموعِ ثلاثةِ أشياء: التصديقُ بالجنانِ، والإقرارُ باللِّسانِ، والعَمَلُ بالأركانِ)

ومن عباراتِ السلفِ والعلماءِ في ذلك:

عن عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ اللَّيْثِيِّ أَنَّهُ قَالَ: (ليس الإيمانُ بالتمنِّي، ولكنَّ الإيمانَ قولٌ يُعَقَّلُ، وعَمَلٌ يُعْمَلُ)

وعن الحسنِ البصريِّ قال: (الإيمانُ قولٌ وعَمَلٌ)

وقال الفضيلُ بنُ عياضٍ: (الإيمانُ عندنا داخلُه وخارجُه: الإقرارُ باللِّسانِ، والقبولُ بالقلبِ، والعَمَلُ به)

وقال مالكُ بنُ أنسٍ: (الإيمانُ قولٌ وعَمَلٌ، يزيدُ وينقصُ).

وقال الوليدُ بنُ مسلمٍ: (سمعتُ الأوزاعيَّ ومالكَ بنَ أنسٍ وسعيدَ بنَ عبدِ العزيزِ يُنكرونَ قولَ من يقولُ: إِنَّ الإيمانَ قولٌ بلا عَمَلٍ. ويقولون: لا إيمانَ إلَّا بعَمَلٍ، ولا عَمَلٌ إلَّا بإيمانٍ)

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: (الأمر الذي عليه السُّنة عندنا ما نصَّ عليه علماؤنا مما اقتصصنا في كتابنا هذا: أن الإيمان بالنية والقول والعمل جميعاً)

وقال المُرزي: (الإيمان قولٌ وعملٌ مع اعتقاده بالجنان، وقولٌ باللسان، وعملٌ بالجوارح والأركان، وهما سيّان، ونظامان وقرينان، لا تُفرَّق بينهما؛ لا إيمان إلاّ بعملٍ، ولا عملٌ إلاّ بإيمان)

وجعل الرّبيع بن سُلیمان القول بأنّ الإيمان قولٌ وعملٌ من الأصول التي لا يتطرَّق إليها الشكُّ؛ حيث سئل: (أليس تقول: الإيمان قولٌ وعملٌ يزيدُ وينقصُ؟ قال: نعم. سبحان الله! ومن يشكُّ في هذا؟!)

وقال حرب الكرماني: (الإيمان قولٌ وعملٌ، ونيةٌ، وتمسُّكٌ بالسُّنة... ومن زعم أن الإيمان قولٌ بلا عملٍ فهو مُرجئٌ)

وقال محمّد بن نصر المروزي: (الإيمان أن تؤمن بالله: أن توجده وتصدق به بالقلب واللسان، وتخضع له ولأمره بإعطاء العزم للأداء لما أمر، مجاناً للاستتكاف والاستكبار والمعاندة، فإذا فعلت ذلك لزمّت محابّة صلي الله عليه وسلّم، واجتنبت مسأخطه،... وإيمانك بمحمّد صلي الله عليه وسلّم: إقرارك به وتصديقك إيّاه واتباعك ما جاء به، فإذا اتبعت ما جاء به، أدّيت الفرائض، وأحللت الحلال، وحرمت الحرام، ووقفت عند الشُّبهات، وسارعت في الخيرات)

وقال ابن جرير -بعد ذكر اختلاف الناس في الإيمان-: (الصَّواب من القول في ذلك عندنا أن الإيمان اسمٌ للتصديق كما قالته العربُ، وجاء به كتابُ الله -تعالى ذكره- خبراً عن إخوة يوسف من قِبلهم لأبيهم يعقوب: وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا

صَادِقِينَ . بمعنى: ما أنت بمصدقٍ لنا على قِيلنا . غيرَ أنَّ المعنى الذي يستحقُّ به اسمَ مؤمنٍ بالإطلاق، هو الجامعُ لمعاني الإيمان، وذلك أداءُ جميعِ فرائضِ الله تعالى ذِكرُهُ من معرفةٍ وإقرارٍ وعَمَلٍ .

وذلك أنَّ العارفَ المعتقدَ صِحَّةَ ما عرف من توحيدِ الله تعالى ذِكرُهُ وأسمائه وصفاته مُصدقٌ لله في خبره عن وحدانيته وأسمائه وصفاته؛ فكَذلك العارفُ بنبوةِ نبيِّ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم، المعتقدُ صِحَّةَ ذلك، وصِحَّةَ ما جاء به من فرائضِ الله . وذلك أنَّ معارفَ القلوبِ عندنا اكتسابُ العبادِ وأفعالهم، وكذلك الإقرارُ باللسانِ بعد ثبوته، وكذلك العَمَلُ بفرائضِ الله التي فرضها على عباده: تصديقٌ من العاملِ بعَمَلِهِ ذلك لله جَلَّ ثَنَاهُ)

وقال أبو الحسن الأشعري: (هذه حكايةُ جملةِ قولِ أصحابِ الحديثِ وأهلِ السُّنَّةِ... ويُقرُّون بأنَّ الإيمانَ قولٌ وعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ... وبكُلِّ ما ذَكَرْنَا من قولهم نقولُ، وإليه نذهبُ)

وقال البربهاري: (الإيمانُ قولٌ وعَمَلٌ، وعَمَلٌ وقولٌ، ونِيَّةٌ وإصابةٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، يَزِيدُ ما شاء الله، وَيَنْقُصُ حتى لا يبقى منه شيءٌ)

وقال ابنُ أبي زيد القيرواني: (الإيمانُ قولٌ باللسانِ، وإخلاصٌ بالقلبِ، وعَمَلٌ بالجوارحِ، يَزِيدُ بزيادةِ الأعمالِ، وَيَنْقُصُ بِنَقْصِها، فيكونُ فيها النَّقصُ وبها الزَّيادةُ، ولا يَكْمُلُ قولُ الإيمانِ إلَّا بالعَمَلِ، ولا قولٌ وعَمَلٌ إلَّا بنِيَّةٍ، ولا قولٌ وعَمَلٌ ونِيَّةٌ إلَّا بموافقةِ السُّنَّةِ)

وقال أبو طالب المكي: (الإيمانُ والعَمَلُ قرينان، لا ينفَعُ أحدهما بدون صاحبه)

وقال ابنُ بطة العُكبري: (إنَّ أهلَ الإِثباتِ من أهلِ السُّنَّةِ يُجمعون على الإقرار بالتوحيد وبالرَّسالة بأنَّ الإِيمانَ قولٌ وعَمَلٌ ونيَّةٌ)

وقال ابنُ مَنده: (من أفعالِ اللِّسانِ: الإقرارُ باللهِ وبما جاء من عنده، والشَّهادةُ لله بالتوحيد، ولرَّسوله بالرَّسالة ولجميعِ الأنبياء والرُّسل، ثمَّ التسبيحُ والتكبيرُ والتحميدُ والتهلِيلُ والثناءُ على الله، والصَّلَاةُ على رَسوله، والدُّعاءُ وسائرُ الذِّكرِ .

ثمَّ أفعالُ سائرِ الجوارح؛ من الطاعاتِ والواجباتِ التي بُنيَ عليها الإسلامُ، أوَّلُها: إتمامُ الطَّهَّاراتِ كما أمرَ الله عزَّ وجلَّ، ثمَّ الصَّلَواتُ الخَمْسُ، وصَوْمُ شَهرِ رَمَضانَ، والزَّكاةُ، على ما بيَّنه الرِّسولُ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ثمَّ حَجُّ البَيْتِ مَنْ استطاعَ إليه سبيلًا)

وقال ابنُ أبي زَمَين: (من قولِ أهلِ السُّنَّةِ: أنَّ الإِيمانَ إخلاصُ اللهِ بالقلوبِ، وشهادةُ بالألسنةِ، وعَمَلٌ بالجوارحِ، على نِيَّةٍ حَسَنَةٍ وإصابةِ السُّنَّةِ . . . والإِيمانُ باللهِ هو باللسانِ والقلبِ، وتصديقُ ذلكِ العَمَلِ، فالقولُ والعَمَلُ قرينانِ لا يقومُ أحدهما إلَّا بصاحبه)

وقال ابنُ الحَدَّادِ: (الذي يجبُ على العبدِ اعتقادهُ، ويلزِمُه في ظاهره وباطنه اعتِمادهُ: ما دلَّ عليه كتابُ اللهِ تعالى وسُنُّهُ رَسوله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وإجماعُ الصِّدِّقِ الأوَّلِ من عُلَماءِ السَّلَفِ وأئمَّتِهِم، الذين هم أعلامُ الدِّينِ وقُدوةٌ مَنْ بَعْدَهُم من المسلمين، وذلك أن يعتقِدَ العبدُ ويقرَّ ويعترفَ بقلبه ولسانه . . . وأنَّ الإِيمانَ قولٌ باللسانِ، ومعرفةٌ بالقلبِ، وعَمَلٌ بالجوارحِ، وأنَّه يَزِيدُ وَيَنْقُصُ)

وقال يحيى السَّلَماسيُّ: (جُمِلُ الاعتقادِ المجمعُ عليها، نَقَلُها الخَلَفُ عن السَّلَفِ، أجمع عليها الصَّحابةُ والتَّابعون لهم بإحسانٍ، وأئمَّةُ الأُمصارِ مِنَ الفُقهاءِ وأصحابِ الحَدِيثِ

وأربابِ الْوَرَعِ والتَّقْوَى المصنِّفين في عِلْمِ الْكِتَابِ والسُّنَّةِ؛ حِجَارًا وَيَمَنًا، وشَامًا
وعِرَاقًا، وفَارِسَ وخُرَاسَانَ وما وراءَ النَّهْرِ، وتُغُورَ الشَّامِ وأذْرَبِيجانَ وأَرَانَ، وديَارَ
رَبِيعَةَ ومُضَرَ - أجمعوا... أَنَّ الْإِيمَانَ الشَّرْعِيَّ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَمَعْرِفَةٌ، بَنَصِ الْخَبَرِ،
وله شُعَبٌ وأجزاءٌ، يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ)

وقال ابنُ تيميَّةَ: (إِنَّ مَنْ قَالَ مِنَ السَّلَفِ: الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، أَرَادَ قَوْلَ الْقَلْبِ
وَاللِّسَانِ، وَعَمَلَ الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ)

وقال أيضًا: (إِنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، فَمَنْ اعْتَقَدَ الْوَحْدَانِيَّةَ فِي الْأُلُوْهِيَّةِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى، وَالرَّسَالَةَ لِعَبْدِهِ وَرَسُولِهِ، ثُمَّ لَمْ يَتَّبِعْ هَذَا الْإِعْتِقَادَ مُوجِبُهُ مِنَ الْإِجْلَالِ وَالْإِكْرَامِ،
وَالَّذِي هُوَ حَالٌ فِي الْقَلْبِ يَظْهَرُ أَنْزَرُهُ عَلَى الْجَوَارِحِ، بَلْ قَارَنَهُ الْاسْتِخْفَافَ وَالتَّسْفِيَةَ
وَالْإِزْدِرَاءَ بِالْقَوْلِ أَوْ الْفِعْلِ، كَانَ وَجُودُ ذَلِكَ الْإِعْتِقَادِ كَعَدَمِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ مُوجِبًا لِفَسَادِ
ذَلِكَ الْإِعْتِقَادِ، وَمُزِيلًا لِمَا فِيهِ مِنَ الْمَنْفَعَةِ وَالصَّلَاحِ؛ إِذِ الْإِعْتِقَادَاتُ الْإِيمَانِيَّةُ تُزَكِّي
النُّفُوسَ وَتُصَلِّحُهَا، فَمَتَى لَمْ تَوْجِبْ زَكَاةَ النَّفْسِ، وَلَا صَلَاحًا، فَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّهَا لَمْ
تَرْسُخْ فِي الْقَلْبِ)

وقال أيضًا: (فَالْإِيمَانُ لَا بُدَّ فِيهِ مِنْ هَذَيْنِ الْأَصْلَيْنِ:

التَّصَدِيقُ بِالْحَقِّ، وَالْمَحَبَّةُ لَهُ، فَهَذَا أَصْلُ الْقَوْلِ، وَهَذَا أَصْلُ الْعَمَلِ .

ثُمَّ َالْحُبُّ النَّامُ مَعَ الْقُدْرَةِ يَسْتَلْزِمُ حَرَكَةَ الْبَدَنِ بِالْقَوْلِ الظَّاهِرِ وَالْعَمَلِ الظَّاهِرِ
ضَرُورَةً...، وَإِذَا قَامَ بِالْقَلْبِ التَّصَدِيقُ بِهِ وَالْمَحَبَّةُ لَهُ، لَزِمَ ضَرُورَةً أَنْ يَتَحَرَّكَ الْبَدَنُ
بِمُوجِبِ ذَلِكَ مِنَ الْأَقْوَالِ الظَّاهِرَةِ، وَالْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ، فَمَا يَظْهَرُ عَلَى الْبَدَنِ مِنَ
الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ هُوَ مُوجِبُ مَا فِي الْقَلْبِ وَلَازِمُهُ، وَدَلِيلُهُ وَمَعْلُولُهُ، كَمَا أَنَّ مَا يَقُومُ
بِالْبَدَنِ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ لَهُ أَيْضًا تَأْتِيرٌ فِيهِمَا فِي الْقَلْبِ، فَكُلُّ مِنْهُمَا يُوَثِّرُ فِي
الْآخَرِ، لَكِنَّ الْقَلْبَ هُوَ الْأَصْلُ، وَالْبَدَنُ فَرْعٌ لَهُ، وَالْفَرْعُ يَسْتَمِدُّ مِنْ أَصْلِهِ، وَالْأَصْلُ
يَثْبُتُ وَيَقْوَى بِفَرْعِهِ)

وقال ابن القيم في تعريف الإيمان: (هو حقيقة مُرَكَّبَةٌ من: معرفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم علماً، والتصديق به عقداً، والإقرار به نطقاً، والانقياد له محبةً وخضوعاً، والعمل به باطنًا وظاهرًا، وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان)

وقال أيضًا: (إنَّ الإيمانَ قولٌ وعَمَلٌ، والقول قول القلب واللسان، والعمل عمل القلب والجوارح، وبيان ذلك أنَّ مَنْ عَرَفَ اللهَ بقلبه ولم يُقرِّ بلسانه، لم يكن مؤمنًا، كما قال تعالى عن قوم فرعون: وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ [النمل:14]

وكما قال عن قوم عادٍ وقوم صالح: وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ [العنكبوت:38] .

وقال موسى لفرعون: قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ [الإسراء:102]

فهؤلاء حصلوا قول القلب -وهو المعرفة والعلم- ولم يكونوا بذلك مؤمنين، وكذلك من قال بلسانه ما ليس في قلبه، لم يكن بذلك مؤمنًا، بل كان من المنافقين .

وكذلك: من عرف بقلبه وأقرَّ بلسانه، لم يكن بمجرد ذلك مؤمنًا حتى يأتي بعمل القلب من الحبِّ والبُغْضِ والمَوالاةِ والمعاداةِ، فيُحِبُّ اللهَ ورسوله صلى الله عليه وسلم، ويؤالي أولياء الله، ويعادي أعداءه، ويستسلم بقلبه لله وحده، وينقاد لمتابعة رسوله صلى الله عليه وسلم وطاعته والتزام شريعته ظاهرًا وباطنًا، وإذا فعل ذلك لم يكف في كمال إيمانه حتى يفعل ما أمر به، فهذه الأركان الأربعة هي أركان الإيمان التي قام عليها بناؤه) .

وقال ابن أبي العزّ: (هنا أصل آخر، وهو: أن القول قسمان: قول القلب، وهو الاعتقاد، وقول اللسان، وهو التكلم بكلمة الإسلام، والعمل قسمان: عمل القلب، وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح، فإذا زالت هذه الأربعة زال الإيمان بكماله، وإذا زال تصديق القلب لم ينفع بقيّة الأجزاء، فإنّ تصديق القلب شرط في اعتبارها وكونها نافعة، وإذا بقيّ تصديق القلب وزال الباقي فهذا موضع المعركة!

ولا شكّ أنّه يلزم من عدم طاعة الجوارح عدم طاعة القلب؛ إذ لو أطاع القلب وانقاد، لأطاعت الجوارح وانقادت، ويلزم من عدم طاعة القلب وانقياده عدم التصديق المستلزم للطاعة، قال صلى الله عليه وسلم: ((إنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسدت لها سائر الجسد، ألا وهي القلب)). فمن صلح قلبه صلح جسده قطعاً، بخلاف العكس)

فجماهير السلف وأئمّة أهل السنّة والجماعة أدخلوا أعمال الجوارح في مسمّى الإيمان ابتداءً، وذلك باعتباره أحد العناصر التي يتركّب منها الإيمان إلى جانب اعتقاد القلب وإقرار اللسان، بحيث يشملها جميعاً لفظ الإيمان عند إطلاقه أو تجريده، غير أنّ تعبيرات السلف والأئمّة عن نفس هذه الحقائق تختلف من إمام لآخر، وذلك بحسب المقام الذي يتكلّم فيه كلّ منهم، أو بحسب حال السائل، أو ظروف الفتوى، أو إدراك المستمع لهذه الحقائق كلّها أو بعضها.

٢٧٥- ومن التوحيد الإيمان بأن معنى "لا إله إلا الله" هو: لا معبود بحقّ إلا الله، وأنها تدعو إلى توحيد الألوهية.

وأن الكفار كانوا يقولون لا خالق إلا الله، ولكنهم يعبدون غير الله، أو يصرفون العبادة لآلهة مزعومة مع الله أو من دون الله تعالى، وأن إيمانهم بأنه لا خالق إلا الله لم يجعلهم مسلمين، حتى يفرّدوا الله بالعبادة على منهج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٢٧٦-ومن التوحيد عدم تكفير المسلم بالذنب ما لم يستحله .

٢٧٧-ومن التوحيد لزوم السنة، ولزوم الجماعة، وعدم شق الصف أو نزع اليد من الطاعة أو الخروج على الأمة بالسيف أو منازعة أو منازلة الحاكم، ما أقام دين الله وحكم بالكتاب والسنة، إلا أن تروا كفرًا بواحد عندكم من الله فيه برهان .

٢٧٨-ومن التوحيد الإيمان أن رسول الله لم يكتم شيئاً من الرسالة، وأنه لم يوص لأحد من بعده بالخلافة والسياسة والحكم، وأنه ترك الأمر شورى بين المسلمين، وأن المسلمين اختاروا أبا بكر رضي الله عنه بالشورى وبايعوه طوعاً، وأن أمر السياسة والحكم ليس حكراً على آل البيت عليهم السلام، وأن كل قرشيٍّ مسلمٍ هو أهلٌ للخلافة الكبرى والإمامة العظمى، وأنه لو تغلب المسلمون العجم على العرب جاز الدخول في طاعتهم ما أقاموا الدين، وأن ذلك خلاف الأصل، وأن الأصل هو أن الأئمة من قريش .

٢٧٩-ومن التوحيد حب الصحابة رضي الله عنهم (ومنهم آل البيت رضي الله عنهم)، والترضي عنهم، وعدم ذكرهم إلا بخير، والسكوت عن أي شيء بدر منهم، والسكوت عن الفتنة التي وقعت بينهم.

”تلك أمة قد خلت، لها ما كسبت ولكم ما كسبتم، ولا تسألون عما كانوا يعملون“.

٢٨٠-ومن التوحيد الإيمان بأن كل الصحابة رضي الله عنهم عدول، وأنهم غير معصومين، وأن كل صحابي أفضل من كل من ليس صحابياً، وأن الله تعالى اختص الصحابة برؤية رسول الله ونصرته وتأييده مؤمنين به، وأن المنافقين في عهد رسول الله (ورأسهم عبد الله بن أبي ابن سلول) ليسوا من الصحابة، بسبب كفر المنافقين في الباطن.

٢٨١-ومن التوحيد الإيمان بصحة خلافة الصديق رضي الله عنه، وأنها كانت خلافة شرعية على منهاج النبوة، والإيمان بصحة خلافة عمر ثم عثمان ثم علي ثم الحسن رضي الله عنهم، وأن الخلافة الراشدة انتهت بتنازل الحسن لمعاوية رضي الله عنه، وأن خير ملوك الأمة معاوية، وأن معاوية أفضل من كل خليفة جاء بعده، وأن معاوية أفضل وأخير وأعلم وأعدل من عمر بن عبد العزيز رحمه الله.

٢٨٢-ومن التوحيد الإيمان أن أكمل المؤمنين في هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وآله وسلم هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ثم عمر، ثم عثمان ثم علي، ثم باقي العشرة المبشرين بالجنة، ثم أهل بدر، ثم أصحاب بيعة الرضوان، ثم باقي الصحابة رضي الله عنهم.

٢٨٣-ومن التوحيد الإيمان أن الله تعالى يُرى في الآخرة عياناً، دون أن يحيط به بصر المخلوق .

وأما رؤيته في الدنيا: فلم تقع لغير رسول الله محمد الصادق الأمين صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

٢٨٤-ومن التوحيد الإيمان بصفات الله تعالى، دون تأويل أو تعطيل أو تمثيل، وأن صفات الله :

١-صفات ذات خبرية، مثل صفة الوجه .

٢-صفات ذات تُعلم من أسمائه الحسنی، مثل السمع من السميع، والبصر من البصير والعلم من العليم، والحياة من الحي، والقدرة من القدير، والقوة من القوي .

٣-صفات أفعال، يفعلها إن شاء متى شاء كيف يشاء، مثل صفة الكلام والاستواء على العرش والنزول للسماء الدنيا، والمجيء للحساب، والإتيان لأرض المحشر، والضحك والعجب، والرضا والغضب والحب والكراهة، والقبض والبسط، والنفع والضرر، والخفض والرفع .

٢٨٥-ومن التوحيد الاعتقاد أن الإيمان درجات، والمؤمنون يتفاضلون في إيمانهم، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الإيمان بضْع وسبعون شعبة، وأن المسلم قد يجتمع فيه بعض شعب الإيمان وبعض شعب النفاق .

٢٨٦-ومن التوحيد الاعتقاد أن الإيمان قولٌ وعمل، قول القلب (وهو التصديق) وقول اللسان (النطق بالشهادتين)، وعمل القلب (وهو الأعمال القلبية) وعمل اللسان (مثل الذكر) وعمل الجوارح (مثل الصلاة وسائر العبادات البدنية) .

٢٨٧-ومن التوحيد أن نؤمن أن الله هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الحكيم الأول الآخر الظاهر الباطن الحي القيوم العلي العظيم الأحد الصمد العليم الحليم العفو الغفور السميع البصير الحق الكبير اللطيف الخبير الغني الحميد الرؤوف الواحد القهار الغفار المتعالي التواب الوهاب الولي البر الودود الخلاق الرزاق القوي المتين الفتاح القدير الواسع الكريم القريب المجيب المليك المقتر الحكم المجيد الشاكر الشكور الإله الأعلى القادر الأكرم الكفيل النصير الحفي الحفيظ المقيت الرقيب الهادي الحسيب الصادق الوارث المستعان الرب المالك النور العافر المحيي العالم العلام البديع الفاطر الجامع الحنان المنان السبوح الشافي الحي السثير الجواد النظيف الطيب الماجد المحسن الوتر الجميل المقدم المؤخر الرفيق الباسط السيد الديان مالك الملك ذو الجلال والإكرام .

٢٨٨-ومن التوحيد الإيمان أن القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار .

٢٨٩-ومن التوحيد الإيمان بسؤال القبر وفتنة القبر وضمة القبر وعذاب القبر ، والعياذ بالله تعالى .

٢٩٠-ومن التوحيد الإيمان بالبعث والنشور للأبدان والأرواح معاً، وأن الله يجمع الخلق جميعاً يوم القيامة في أرض المحشر، ويأتي سبحانه لفصل القضاء بين عباده حين يشاء كيف يشاء، بعد أن تبدل الأرض غير الأرض والسماوات .

٢٩١-ومن التوحيد الإيمان بالحساب يوم القيامة، وبتطير الصحف فمنهم آخذ كتابه يمينه ومنهم آخذ كتابه من وراء ظهره بشماله، والإيمان بالميزان ذي الكفتين لوزن الأعمال، والإيمان بحوض النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والإيمان بالصراط يمر

عليه الناس قبل الوصول إلى الجنة، والإيمان بالقنطرة بعد الصراط وقبل الجنة لتصفية المظالم بين المؤمنين .

٢٩٢-ومن التوحيد الإيمان بأن في الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وأن المؤمنين في الجنة يرون ربهم كل يوم مرتين .

٢٩٣-ومن التوحيد الإيمان بأن من يدخل الجنة لا يخرج منها أبد الآبدين بإبقاء الله له وللجنة، أما من يدخل النار فإنه إن كان مسلماً يخرج منها بعد فترة من الزمن ويدخل الجنة، وأما الكفار فهم مخلدون في النار خالدین فيها أبداً بإبقاء الله لهم وللنار، كلما نضجت جلودهم بدلهم الله جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب .

٢٩٤-ومن التوحيد الإيمان بأن أول ما خلق الله القلم، قال له اكتب، قال ما أكتب ؟، قال اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، وذلك قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة .

٢٩٥-ومن التوحيد الإيمان بأن كل مخلوق ميسر لما خلق له، ولا نقول مسير ولا مخير .

فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ۝ أَلَيْسَ لِّلَّيْلِ

٢٩٦-ومن التوحيد الإيمان بأنّ كلّ شيءٍ من حياةٍ أو موتٍ أو سكونٍ أو حركةٍ أو خيرٍ أو شرٍّ أو خفضٍ أو رفعٍ أو نفعٍ أو ضرٍّ أو إيمانٍ أو كفرٍ أو طاعةٍ أو معصيةٍ كلّ ذلك قد فُرع منه، وأنه مقدّر ومكتوبٌ في اللوح المحفوظ، والله تعالى يهدي كل مخلوق للقدر الذي قدر له .

٢٩٧-ومن التوحيد الإيمان أن الله تعالى موجودٌ بذاته منذ الأزل، لا بداية لوجوده، فهو الأول الذي لا شيء قبله، وهو الموجد لما عداه، ولا موجد له سبحانه، وأنه سبحانه كان ولم يكن شيءٌ معه، ثم خلق الله الخلق .

وأن الله سبحانه هو الباقي بذاته إلى الأبد، وأن ما يبقى من المخلوقات إلى الأبد فهو باقٍ بإبقاء الله له لا بذاته، وأن الله هو الآخر فلا شيء بعده .

وأن كل ما عدا الله سوف يموت قبل يوم القيامة، وأن الله هو الحي الذي لا يموت .

وأن الله تعالى يبعث كل المخلوقات لفصل القضاء، حتى يقتص للشاء الجلاء من الشاة القرناء، ثم يقول لكل الدوابّ عدا الإنس والجن والملائكة كوني ترابًا فتكون ترابًا .

٢٩٨-ومن التوحيد الإيمان باسم الله الأعظم، وأنه في قوله تعالى : "الله لا إله إلا هو الحي القيوم"، وقد تكون الجملة كلها هي اسم الله الأعظم، وهو الاسم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى .

٣٠٠-ومن التوحيد الإيمان أن محمدًا عبْدُ الله ورسوله، وأن عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه، وأن أيًّا من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعًا ولا ضرًّا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، إلا ما شاء الله تعالى .

٢٩٩-ومن التوحيد الإيمان باسم الله الأعظم، وأنه في قوله تعالى : "الله لا إله إلا هو الحي القيوم"، وقد تكون الجملة كلها هي اسم الله الأعظم، وهو الاسم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئِلَ به أعطى.

٣٠١-ومن التوحيد عدم تكفير المجتمع المسلم، وعدم تكفير الفرد المسلم الجاهل أو المتأول وإن وقع في الكفر، حتى تُقام عليه الحجة وتُستوفى الشروط وتنتفي الموانع.

٣٠٢-ومن التوحيد أن نتعامل مع المسلمين بحكم الظاهر، وأن لا نحكم على معينٍ بالنفاق الأكبر إلا إذا ثبت بحقه نص شرعي من الكتاب أو السنة.

٣٠٣-ومن التوحيد أن لا نحكم على معينٍ بجنةٍ أو بنارٍ إلا بنص من الكتاب والسنة، وأن نجري الحكم على الظاهر فنصلي على الميت المسلم وندفنه في مدافن المسلمين ونحكم له بالإيمان، ونجتنب الميت غير المسلم ولا يُصلى عليه ولا يُدفن في مدافن المسلمين ونحكم عليه بالكفر.

٣٠٤-ومن التوحيد أن نؤمن أنه لا يدخل الجنة إلا نفسٌ مسلمة، وأن غير المسلم مصيره النار، وأن اليهود والنصارى كفارٌ ومصيرهم النار وبئس المصير.

٣٠٥-ومن التوحيد الحذر والتحذير من فخ الديانة "الإبراهيمية" المفتعلة..

إبراهيم الخليل كان مسلمًا،

قال تعالى : {وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} . النساء ١٢٥

لم يكن إبراهيم الخليل عليه السلام يهوديًا ولا نصرانيًا، كيف وهو عليه السلام أسبق
زمنًا من موسى وعيسى عليهما السلام؟!

قال تعالى: " يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا
مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا
لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا
وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ
اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ " [آل عمران: 65- 68] .

فمن أراد العودة إلى ملة إبراهيم، فليترك اليهودية أو النصرانية، وليدخل في الإسلام
ملة إبراهيم الخليل حنيفًا مسلمًا، ودين الخليل سيد الخلق نبينا محمد صلى الله عليه
وآله وسلم .

٣٠٦- ومن التوحيد أن يعتقد المسلم باطنًا، ويصرح ظاهرًا، بأن غير المسلم كافر .
ولا يكون المسلم بذلك "تكفيرًا"، بل يكون مسلمًا صحيح الإسلام .

إنما "التكفير" هو من يكفر المسلمين بغير حق .

٣٠٧- ومن التوحيد تحليل ما أحل الله، وتحريم ما حرم الله،

وعدم استحلال الذنوب .

بل يعتقد المسلم حرمة الذنوب - ولو وقع فيها- والعياذ بالله تعالى .

٣٠٨-ومن التوحيد اعتقاد أن الأمر كله لله، ما شاء الله سبحانه كان، وما لم يشأ الله تعالى لم يكن، وكل شيء عند الله تعالى بمقدار .

وأن الإنسان مخلوقٌ ضعيفٌ لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعًا ولا ضرًّا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا .

وأن الله تعالى تكفل بأرزاق العباد، وأمرهم بإخلاص العبادة له، ولو أن أهل القرى ءامنوا واتقوا لفتح الله عليهم بركاتٍ من السماء والأرض .

وأن ما يصيب المسلمين من تسلط الكفار والمجرمين عليهم، إنما هو بسبب إعراض المسلمين عن أمر الله وعدم التزامهم بشريعة الله سبحانه .

٣٠٩-ومن التوحيد لزوم فسطاط المؤمنين، وهجر فسطاط المنافقين والفاستقين والمجرمين، والصبر على ذلك .

٣١٠-ومن التوحيد بغض شعائر الكفر، والنفور منها، وعدم الفرح بها، وعدم قبول إظهارها في أرض الله، وعدم مساعدة الكفار على إظهار شعائرهم وإشاعة كفرهم وشركهم في أرض الله .

٣١١-ومن التوحيد الفرح بظهور الإسلام، والعمل على إيصال نوره إلى كل الأرض، والعمل على إخراج الكفار من ظلام الكفر والشرك إلى نور الإيمان والإسلام .

٣١٢-ومن التوحيد أن يعيش العبد على منهج الله، مؤمناً بخبره، منقذاً لأمره، مستسلماً لقضائه وقدره، دون ضجرٍ أو ضيقٍ أو اعتراض .

٣١٣-ومن التوحيد التخلص من العلائق، فلا يحب المسلم إلا الله، ولا يخاف إلا الله، ولا يرجو إلا الله، ولا يعبد إلا الله، ولا يحمد أحداً على نعمة الله إلا الله، ولا يلوم أحداً من خلق الله على أي ابتلاءٍ قدره الله، ولا يسأل العافية إلا من الله تعالى .

٣١٤-ومن التوحيد البراءة من المشركين والمنافقين والمجرمين، وعدم تقليدهم أو التشبه بهم، وعدم الاعتزاز بهم أو الفخر بمعرفتهم أو السعي لصحبتهم أو المسارعة فيهم .

قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۚ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (4) الممتحنة

٣١٥-ومن التوحيد اعتقاد كل كمالٍ لله تعالى، وأن كل أفعاله سبحانه خير .

وأن نحسن الظن به أيما إحسان، وأنه سبحانه أرحمُ بعبده وأحنُّ عليه من أمه وأبيه، وأنه سبحانه سبقت رحمته عذابه، وأن رضوانه سبحانه سبق سخطه .

وأنه سبحانه لا يفعل إلا الخير، ولا يفعل الشرَّ أبداً، وأنه سبحانه يخلق الخير والشر، وخلق الشر خيراً، وأنه سبحانه يقدر الخير والشر، وتقديره للشر خير، وأن الشر قد يكون في مفعولاته، ولا يكون الشر أبداً في أفعاله سبحانه .

وأنه سبحانه رب العالمين كلهم، مؤمنهم وكافرهم، يرُبُّهم جميعًا بفضلِهِ ونعمته ورحمته، ويشملهم جميعًا برزقه وعطائه وعافيته .

وأنه يعطي الدنيا لكل خلقه، مؤمنهم وكافرهم، ولا يعطي الدين والإيمان والجنة إلا لمن اصطفاهم واجتباهم من عباده .

وأنه سبحانه يعامل عباده في الدنيا بربوبيته، فيعطي النتائج لمن أخذ بالأسباب- إن شاء الله .

وأنه سبحانه يعامل عباده في الآخرة بألوهيته، فيرحم من آمن به ويدخله الجنة، ويعذب من كفر به ويدخله النار .

٣١٦-ومن التوحيد تعظيم شعائر الله وأوامره، وعدم الاستهزاء بشيءٍ من دينه أو من سنة نبيِّه صلى الله عليه وآله وسلم، وأن نوالي من يوالي الله ورسوله، وأن نعادي من يعادي الله ورسوله أو يستهزئ بشيء من دين الإسلام .

ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ (32) الحج

٣١٧-ومن التوحيد تعظيم المصحف الشريف وتكريمه، وتعظيم كتب السنة والشرعية، وتعظيم كل ما يحمل اسم الله تعالى، وتعظيم كل ما فيه ذكر الله تعالى .

٣١٨-ومن التوحيد عدم تسمية المولود باسم يحمل شعائر الكفر، أو باسم معبّد لغير الله تعالى .

وقد روى ابن النجار عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من حق الولد على والده أن يعلمه الكتابة، وأن يحسن اسمه، وأن يزوجه إذا بلغ "، وقد رمز الإمام السيوطي لحسن هذا الحديث في كتابه " الجامع الصغير " .

وروى أبو داود والدارمي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنكم تُدْعَوْنَ يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم " .

وهكذا يُعْنَى الإسلام بأمر تحسين اسم الطفل عنايةً فائقة، تقديرًا منه لأهميته، وإدراكًا لضرورته .

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب الأسماء الحسنة، وتُعْجِبُهُ، فقد روى الحاكم - وصَحَّحَهُ ووافقه الذهبي - عن أبي حَرْدَرَدٍ رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من يَسُوقُ إِبْلَنًا هَذِهِ؟ "، أو قال: " من يُبْلِغُ إِبْلَنًا هَذِهِ؟ "، قال رجل: أنا، فقال: " ما اسمك؟ " قال: فلان، قال: " اجلس "، ثم قام آخر فقال: " ما اسمك؟ " قال: فلان، فقال: " اجلس "، ثم قام آخر، فقال: " ما اسمك؟ " قال: ناجية، قال: " أنت لها فسُقْها " .

وروى مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لِلْقَحَةِ تُحَلَبُ، وَاللَّقْحَةُ بكسر اللام أو فتحها هي الناقة التي بها لبن، قال: " من يَحْلُب هذه؟ " فقام رجل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما اسمك؟ " فقال له الرجل: مُرَّة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اجلس "، ثم قال: " من يحلب هذه؟ " فقام رجل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما اسمك؟ " فقال له الرجل: حرب، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اجلس "، ثم قال: " من يحلب هذه؟ " فقام رجل، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما اسمك؟ "، فقال له الرجل: يعيش، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: " احْلُب . "

بل كان صلى الله عليه وسلم يكره الأمكنة المنكرة الأسماء - كما ذكر ابن القيم - ويكره العبور فيها، فقد مرّ في بعض غزواته بين جبلين، فسأل عن اسمها فقالوا: فاضِحٌ ومُخْزٍ، فعدّل عنهما ولم يَجْزُ بينهما .

٣١٩-ومن التوحيد معرفة أسماء الله تعالى من الكتاب والسنة، وعدم اختراع أسماء لله سبحانه وتعالى، وعدم الإلحاد في أسمائه بتحريف لفظيٍّ أو معنويٍّ .

٣٢٠-ومن التوحيد أن يدعو المسلم الله وهو موقنٌ بقدرة الله على الإجابة .

وأن يجتنب المسلم الاعتداء في الدعاء، والاعتداء هو أن يدعو بإثم أو قطيعة رحم، أو يدعو بما يخالف سنن الله الشرعية أو الكونية، أو يسأل ما ليس له به علم.

٣٢١-ومن التوحيد اجتنابُ الشرك اللفظي، كأن يحلف بغير الله، أو يشارك الله مع غيره بحرف الواو، أو يجمع الله تعالى مع غيره في الضمير.

٣٢٢-ومن التوحيد إعادة من استعاذ بالله، وإعطاء من سأل بالله، وأن لا نسأل بوجه الله إلا الجنة.

٣٢٣-ومن التوحيد حمدُ الله عند النعمة، والاسترجاع عند المصيبة، وأن لا نتمنى لو أن المصيبة لم تقع، بل نقول قدّر الله وما شاء فعل.

٣٢٤-ومن التوحيد عدم سب أو لعن شيء من خلق الله إلا بدليل أوضح من شمس النهار من كتاب الله أو سنة رسوله- صلى الله عليه وآله وسلم.

٣٢٥-ومن التوحيد التخلص من كل شيء له علاقة بالجاهلية، مثل تبرج الجاهلية أو ربا الجاهلية أو ظن الجاهلية أو الفخر بالأحساب أو الطعن في الأنساب أو النياحة على الميت أو نعي الجاهلية أو فخر الجاهلية أو كبر الجاهلية أو بغي الجاهلية أو ظلم الجاهلية أو شرك الجاهلية أو حكم الجاهلية أو دعوى الجاهلية أو عصبية الجاهلية.

٣٢٦-ومن التوحيد الإيمان بأن الله قدر كل شيء هو كائنٌ إلى يوم القيامة حتى يأتي سبحانه لفصل القضاء بين عباده.

وأنه سبحانه خلق القلم قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وأمره بكتابة قدر الله سبحانه في اللوح المحفوظ، وأن اللوح المحفوظ لا يطلع عليه إلا الله سبحانه، فهو سرُّ الله الذي احتفظ به سبحانه ولم يُطلع عليه ملكًا أو نبيًّا أو وليًّا .

٣٢٧-ومن التوحيد عدم مضاهاة خلق الله تعالى، وعدم صناعة أي مجسم لمخلوق فيه روح، أو رسمه باليد .

ويدخل في ذلك تحريم الاستنساخ البشري، لمخالفته سنن الله الكونية، ولأنه يوهم من فعله -أو غيره- بأنه قادرٌ على الخلق، وليس كذلك، فالمادة الوراثية من خلق الله، والخلية المستقبلية -بعد نزع نواتها- من خلق الله، والروح التي تنفخ في المخلوق الجديد من أمر الله، والمستنسخ لم يخلق أيَّ شيء من هذه الثلاثة، ومع ذلك فقد خالف السنة التي وضعها الله لتكاثر البشر، وهي الزواج .

ولا يُحتج على ذلك بأنه لو كان حرامًا ما يسره الله لعباده، فهذا احتجاج على الشرع بالقدر، وهو منهج باطل .

فالله تعالى حرم الزنا، ومع ذلك يسر الزناة للزنا، وخلق مخلوقًا نتيجةً للزنا، ونفخ فيه الروح .

والله تعالى جعل سبيل تكاثر البشر وتناسلهم هو الزواج الشرعي، وحرم كل سبيلٍ آخر للتكاثر والتناسل بين البشر، ولو أقدرهم عليه ومكنهم منه، مثل الزنا أو الاستنساخ أو غير ذلك .

أما لماذا يقدر الله الشيء الذي نهى عنه؟

فنعود إلى إرادة الله، وأنها إرادتان:

١-إرادة شرعية، تكون فيما يحبه الله ويأمر به .

٢-إرادة كونية، تكون فيما قدر وجوده سواء أحبه أم كرهه، أمر به أو نهى عنه .

والله تعالى يقدر وجود ما نهى عنه لحكمة، كأن يكون ابتلاءً لعباده، أو استدراجاً للظالمين ليزدادوا إثماً، أو ليعلم الله الصادق من الكاذب، أو لأن وجود هذا المنهي عنه يترتب عليه شيءٌ محبوبٌ لله سبحانه وتعالى .

.....

أما المرأة وما كان في حكمها -مثل الصور الفوتوغرافية أو الفيديو- فتجوز للحاجة فقط، والأولى للمسلم اجتنابها ما أمكن .

٣٢٨-ومن التوحيد حفظ اليمين، وعدم الإفراط فيه أو جعله وسيلة لترويج سلعةٍ أو جلب منفعةٍ أو دفع مضرة، بل يأخذ المسلم بأسباب العافية والرزق، ويستعين بالله ولا يعجز، ويحرص على ما ينفعه، دون اللجوء إلى الحلف واليمين إلا للضرورة أو أمام القاضي الشرعي .

٣٢٩- ومن التوحيد إظهار الفرحة والبهجة والتوسعة عند دخول العيد على المسلمين، فالتوفيق للطاعة هو من فضل الله الذي أمرنا بالفرح به .

٣٣٠-ومن التوحيد أن لا نحتفل بأعياد غير المسلمين، وأن لا نهنئهم بأعيادهم الدينية التي هي من خصائص دينهم الباطل .

٣٣١-ومن التوحيد أن نؤمن أن هداية القلوب بيد الله وحده، وأن الله تعالى يحول بين المرء وقلبه، وأن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، وأن الله لا يهدي القوم الظالمين الذين اختاروا الكفر طوعًا وشرحوًا به صدرًا بعد أن بُيِّن لهم الحقُّ من الباطل .

٣٣٢-ومن التوحيد أن نؤمن أن الله خلق الجنة أهلها، وخلق للنار أهلها، وأن أسماء أهل الجنة مكتوبة عنده في كتاب قبل أن يخلقهم، وأن أسماء أهل النار مكتوبة عنده في كتاب قبل أن يخلقهم، وأن عدد أهل الجنة واحد من ألفٍ من عدد أهل النار .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أو لا تدريين أن الله خلق الجنة وخلق النار، فخلق لهذه أهلًا ولهذه أهلًا. رواه مسلم وأصحاب السنن إلا الترمذي .

وقال صلى الله عليه وسلم: فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار، فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة، فيدخلها. رواه البخاري ومسلم , واللفظ له .

٣٣٣-ومن التوحيد حماية الأراضي المقدسة، مكة المكرمة والمدينة النبوية والقدس الشريف، والدفاع عنها، وعدم تسليمها للكفار، وعدم السماح للكفار باحتلالها أو السيطرة عليها .

٣٣٤-ومن التوحيد تعظيم ما عظمه الله، ومن ذلك تعظيم الأزمنة المباركة كشهر رمضان وليلة القدر وعشر ذي الحجة وأيام التشريق ويوم عاشوراء .

ومن ذلك تعظيم الأراضي المقدسة وهي مكة المكرمة والمدينة النبوية والقدس الشريف .

٣٣٥- ومن التوحيد حماية المسلمين والدفاع عنهم وعدم تسليمهم للكفار، وعدم تركهم فريسة للكفار، وعدم معاونة الكفار عليه، وعدم مشاركة الكفار في تجويعهم أو حصارهم أو تعذيبهم أو إذلالهم .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ بِهَا عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

خلاصة حكم المحدث : أخرجه في صحيحه

الراوي : عبدالله بن عمر | المحدث : ابن حبان | المصدر : صحيح ابن حبان
| الصفحة أو الرقم : 533

| التخریج : أخرجه البخاري (2442)، ومسلم (2580)

٣٣٦- ومن التوحيد مجاهدة الكفار والمنافقين، بالسيف والحجة، والدفاع عن دار الإسلام، والدفاع عن دين المسلمين ودمائهم وأموالهم وأعراضهم .

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ
(73) التوبة

٣٣٧- ومن التوحيد نصرة الإسلام، والجهاد في سبيل الإسلام، وغزو الكفار في عقر دارهم، وإخضاع كل الأرض بمن عليها للإسلام العظيم .

قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ (14)
وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۖ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (15) التوبة

٣٣٨- ومن التوحيد مساندة المجاهدين في سبيل الله، والدعاء لهم، والذب عنهم، والتخذيّل عنهم، والتعاطف معهم، والولاء لهم، والتبرؤ من أعدائهم .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : "مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يَحْدِثْ نَفْسَهُ بِالْغَزْوِ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ
خلاصة حكم المحدث : صحيح

الراوي : أبو هريرة | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح أبي داود |
الصفحة أو الرقم : 2502

| التخرّيج : أخرجه أبو داود (2502) واللفظ له، وأخرجه مسلم (1910)

..للّٰه ربّك في أدأ ق دن مس يـ ٣٣٩

ك ق ل ذ ن م ب ر ف ك ت ف ي ك

؟كقزري ن مبر فكت فيك

قرقبا (28) ن وعجرت هيل م مكيحي م مكنيمي م مكايف اتاوما متكو لله ن ور فكت فيك

،رفكلا بجمسي ن ادحا ق د ن م سيلو

. "مهيباس" هسفن لاعت الله ن أب ج تحت ن أ حصي لاو

،رفكلا ن م هيل م م امل اراقا سيل ،مهيفاعيو مهقزري وه لب ، "مهيباس" هباحبس طقف سيل
هه اورفك ن او ي تد مهقزرب ل فكتو مهقلخي ذلا مهبر هلا ن كلو

مُكَلِّدِي ذَلَا مُكَبَّرِ اودُبعَا سُ اَنَلَا اَهْيَا اَي " ،هتدابعو هه ن اميلاب هقلخ عيمج رما هباحبس هنكلو
[21: قرقبا] "ن وقتت مكلع مكلبة ن م نيدلاو

:ةمكل كاذ لعفي امنل ،مهيفاعيو رافكلا قزري ن يدي لاعت اللهو

ملاسلا نودتهيد مهلع ١

٢. امل اودادزيه مهل اجار دتسا نوكن ن ا نكمي

٣. مهريغل ارباخاو ،مهل هتنتف نوكن ن ا نكمي

ي رخا همكل وا

ليبيسي فدهاجي وهو ملسما دبعلا لتقين ا ي هو ،دهاهشلا هنايلوا ي لعد رديي لاعت الله ن ا امك
الله

تاجردى لعلل هيلو يفتصيدن أديرى لاعتل لعلل، بهجيدل نأ مغر هيلو لعلل قداهشلل ردقيل الله
لعلل تاجردى لعلل، ماركلاو لعلل

فيلكتلاف، هتيصعم ي ف عوقولا وأ هب سائلل رفك زاولى لعلل لاعتل الله ليعفأب جتحنن أ حصيلاف
هاضقو هردقامل لعلل، هيهنو الله رمأ لعلل وه باسحلاو .

٣٤٠- الله تعالى قد يقدر على أوليائه المصائب والأزمات، كي يعيدهم إلى ولايته
واصفائه وطريقه القويم، أو ليرفع درجاتهم في المهيدين، أو ليكفر عنهم ذنوباً لا
تُكفر إلا بالمصائب، أو ليستخرج منهم عبادة التضرع: " فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا
تَضَرَّعُوا " الأنعام ٤٣ .

ولا يصح أن تكون الأزمات والمصائب سبباً في النكوث عن طريق الله تعالى، لأن
هذا يكون خسراناً للدنيا والآخرة والعياذ بالله تعالى .

ويُشرع للمسلم أن يسأل الله العفو والعافية، فأحب شيء إلى الله هو أن تسأله العافية،
ففي الحديث: "اسألوا الله العفو والعافية فإن أحداً لم يعط بعد اليقين خيراً من
العافية"، رواه الترمذي وأحمد .

وروى الترمذي عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله
علمني شيئاً أسأله الله عز وجل، قال: سل الله العافية . فمكثت أياماً ثم جئت فقلت:
يا رسول الله علمني شيئاً أسأله الله، فقال لي: يا عباس يا عم رسول الله سل الله
العافية في الدنيا والآخرة . وصححه الترمذي .

وفي الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "ما من شيء أحب إلى الله عز وجل من أن يُسأل العافية" رواه ابن عدي.

٣٤١ لا، نيملسما دئاقعو ميقنم تيرخسلا زوجي لاو، الله نيدب عازهتسلا زوجي لا- ٣٤١
دجوي لا، رخا ببس ي لاو، تينفلا تكبلاو تيعادبلا قرورضلاو ويرانيسلاو اماردلاو ن فلا
أقلاط كئلا رربم

قال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ
كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبُ
طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ [التوبة: 65، 66].

بي لاعت لله اب رفق يوبنلا ي دهلا وأ تيعيرشلا وأ تينسلاو وأ نيدلاب عازهتسلا وأ تيرخسلاو

يبنلاب اووزهتساو، ملسو هلاو هيلع الله ي لصد الله لوسر ن مزي ف نوقفانملا كئلا لعف دقو
هلوق مهيف ي لاعت الله لزناف، مهذع الله ي ضر ماركلا تباحصلابو ملسو هلاو هيلع الله ي لص
بي لاعت

لَا * نُوْزِرْهَنْسَتْ مُتْنُكَ هِلُوسَرَوِ هِتَايَاوِ لِّلْهَابَا لُقْ بَعْلَنُو ضُ وُخْدَ أَنْكَ اَمَّنَا نَّ لُوقِيْلَ مُهْتَلَّاسَ نَّ لَوِ
(نَ يَمِرْجُمَ اَوْنَاكَ مُهْتَابَ هِفْنَاطَ بَدْعُ مُكْنِمِ هِفْنَاطَ نَّ عَ قَعْدَنَّا مُكْنَامِيَا دَعَبَ مُتْرَفَكَ دَقَ اَوْرُذْنَعَتْ
[66، 65: تبتولا].

لعفين مدي لعد دخلا نيملسما ي لدعو، لله اب ذايعلاو، ماعلا علابلا بابسا ن م ببسل عفلا اذهو
كئلا

بي لاعت الله ي لا تبتولاب عراسين أ تاروذاقلا هذو ن م عي شب ثولت ن م عرشيو

٣١ رونا "نُوحِلَفْتُمْ كَلْعَطَنْ وَنَمُومُنَا أَهْيَا أَعِيْمَجِ اللهُ يِلَا أُوْبُوْتُو"

مهددا لوقي ٣٤٢

!نوينثو متنا نذا، ارجدن ومرتو، رجد لودن وفوطتو، ارجدن ولبقت متناو

كردق ودعتن لف، الله ودع أسخا: هل لوقت

ديحوتلا رهاظم مظعا يه هكسانمو جحلا نإ

عامسلا قوفه شرعي لءي وتسملا، ضرلااو تاوامسلا بر الله ن لا تبعللا لود فوطن حن
، الله عاظمه افوطين أن يملسملا رماو، أنماو سانلا تباثم تييلا اذه عضو نمو ه، تعباسلا
هدحو هناحبس هوعديو، هدحو الله ملسملا ركذي فاوطلا عانثاو

لاو عفنت لا رجد كنا مدعا انا، هذع الله يضر رمع هلاقام لوقتو، دوسلا رجحلا لبقتن حنو
ن من أ دقتعنو، كتلبق ام كلبقي ملسو هلاو هيلع الله ي لصد الله لوسر تيار ي نا لاولو، رضت
رجحلا سيلو ي لاعت الله وه رجحلا لبقتن يد انبونذ رفغي

هدحو الله رفغتسنو، هدحو الله وعدن تاقرع ديعص ي لء فقتن حنو

نم هدرطيلس يلبا مجري ناك نيد ملاسلا هيلع ميهاربا ليخللا أعابتا تارمجا ي مردن حنو
 كرتي لء هضرحيلن كاملاً لكتي في ملاسلا هيلع ميهاربا ليخللا فلخ ريس يلبا ناكو ، هفلخ
 هأنشو هكرتيل قراجحلاب س يلبا مجري ليخللا ناكف ، ملاسلا هيلع لي عامسا هلبا ج يذب الله رماً
 ميظع ج يذب هلبا الله ي دفي تد ، هلبا يحضتلاب الله رماً ذيفنتلاب هاذ وهو
 بهيمرن قاصد لك عم دحو الله ربكنو ، اذه ركذنتلاب تارمجا ي مردن حنو

هدحو الله ركذنو ، ريقفلا س نابلا اهنم معطنو اهنم لكأذ مٲ ، دحو الله أبرقت ي دهلبا ج يذب ن حنو
 نم ي وقتلاب هلبا نكلو ، اهوامد لاو اهموح الله لاني لا هلبا ملعنو ، ج يذبلا دنع دحو هربكنو
 ن ينمو ملا هدايع

أثحب ي عست تناك نيد ، ملاسلا اهيلع رجاها انما تنسلأ عايحاً قورملاو افصلا ن يبي عس ن حنو
 افصلا دنع دحو هركذنو دحو الله وعدنو ، ملاسلا هيلع لي عامسا اهنم ي ورتت عاملا ن ع
 امهنيب ي عسلا ي فو قورملا دنعو

لله دايقناو ملاستساو ديحوت ملاسلالكو ، ملاسلالاب لا ديحوت لاو ، ملاسلالاي فلا ديحوت لاف
 ملسو هلاو هيلع الله ي لص هلو سر تنسلو عارغلا هتغيرشلو

٣٤٣- الله تعالى خلقنا كي نعبدده . . .

والعبادة تشمل كل حركة وسكنة في الحياة، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله
 رب العالمين .

الصلاة عبادة ..

والزكاة عبادة ..

والصوم عبادة ..

والحج عبادة ..

والتزام الحلال عبادة ..

وترك الحرام عبادة ..

والتحاكم للشرعية عند الخصومة عبادة ..

وسياسة الناس بالشرعية عبادة ..

وعلى المؤمن أن يسعى لأداء ما فُرض عليه من العبادات، وعليه كذلك أن يذكر غيره ويدعو غيره لأداء ما افترضه الله عليه من العبادات .
٣٤٤- المؤمن يُسخر دنياه وما آتاه الله من أسباب كي يحقق توحيد الله تعالى وعبادته وحده سبحانه .

والدين شرعه الله لعباده ليبين لهم معنى التوحيد وشروطه وأركانه، وكيف يعبدون الله وحده، وما مراد الله في كل صغيرة وكبيرة وحركة وسكنة في حياتهم .

فالفرد المسلم يُسخر إمكانياته لنصرة دينه وإعزازه، لأنه الدين الحق الذي يُعبدُ الخلقَ لله وحده، وهو المنهج الوحيد القادر على تحقيق السعادة للعبد في حياته وبعد موته .

أما أن يستخدم المسلم الدين وسيلة لتحقيق غرض دُنْيَوِيٍّ، فهذا أسوأ حالاً ممن يعيش في الدنيا بلا دين أصلاً .

٣٤٥- لم يكن من هدي السلف الصالح رضي الله عنهم السعي لتولي مسؤولية الناس، بل كانوا يفضلون العافية من هذا الأمر ..

لأن شأن من يسعى لتولي مسؤولية الناس، كمن يحمل حملاً ثقيلاً يعجز أصلاً عنه، ثم يطلب أن يتم تحميله بعدة أحمالٍ أخرى .

ويحك!

هل تدري ماذا تطلب؟

إن أبا بكرٍ رضي الله عنه ودّ لو أن يتحمل المسؤولية عمر أو أبو عبيدة رضوان الله عليهما، ولكن عمر رضي الله عنه استصغر نفسه أمام تلك المسؤولية العظيمة، وبايع أبا بكرٍ، ثم تتابع الناس على بيعة الصديق رضي الله عنه وأرضاه .

ثم إن الصديق رضي الله عنه لم ير أقدر على تحمل المسؤولية بعده من عمر رضي الله عنه، فاستخلف عمر، وعمر رضي الله عنه ودّ لو أن الصديق لم يستخلفه، ولكن قدر الله وما شاء فعل .

وإن عمر رضي الله عنه لعلمه بعظم الأمانة، لم يمت حتى عهد بالمسؤولية لأحد الستة الذين مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو راضٍ عنهم، فكان منهم عثمان ثم علي رضي الله عنهما .

ثم إن الناس بعد عليّ بايعوا الحسن رضي الله عنه، الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالسيد، الذي يصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين، وقد كان .

فتنازل السيد، الحسن رضي الله عنه، لابن عمه معاوية رضي الله عنه .

وهؤلاء الخمسة الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم، أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ والحسن رضي الله عنهم وعن الصحابة أجمعين، هؤلاء الخمسة هم من أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن نستن بسنته وسنتهم، وأن نقتدي بمنهجهم ومنهجهم في شئون الدين والسياسة والولاية والحكم، فكل واحد منهم كان يعلم عظم الأمانة، وثقل المسؤولية، وكان يتحمل المسؤولية وهو مُجبرٌ عليها، فكان يقوم بأمر الله على أكمل وجه .

فالولاية عبادة، وسياسة الناس شرعٌ ودينٌ، والحكم بين الناس توحيدٌ واتباع، وكل هذه العبادات مسؤوليات جديدة يضيفها المسلم على نفسه إذا ابتلي بشيء من الولاية أو السياسة أو الحكم بين الناس .

فكيف يسعى من يعجز عن حمل نفسه إلى طلب أحمال الآخرين؟

كيف يسعى من يعجز عن عباداته الشخصية إلى تكليف نفسه بعبادات تخص الآخرين؟

كيف يسعى من هو مقصر في شأن العبادات العينية إلى أن يتحمل فروض الكفاية نيابة عن الناس، كي يسأله الله يوم القيامة عن كل فردٍ من الناس، بل عن كل دابة تعيش تحت ولايته؟

سلوا الله العافية .

٣٤٦- وفي النّهي عن سؤال الإمارة، والحث على اختيار ترك الولايات إذا لم يتعيّن عليه أو يُجبر على ذلك:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا
وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ [القصص: 83].

وعن أبي سعيدٍ عبدالرحمن بن سمرّة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا
عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ، لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ؛ فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ
عَلَيْهَا، وَإِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا، وَإِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا
مِنْهَا؛ فَأَتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ، وَكُفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ مَتَّقْ عَلَيْهِ.

وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا أَبَا ذَرٍّ، أَرَأَيْكَ ضَعِيفًا،
وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي، لَا تَأْمَرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلَا تُؤَلِّقَنَّ مَالَ يَتِيمٍ رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وعنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي ثُمَّ قَالَ: يَا
أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا
بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّكُمْ سَتَحْرِصُونَ عَلَى
الْإِمَارَةِ، وَسَتَكُونُ نَدَامَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَنَعَمْتُ الْمَرْضُوعَةَ وَبَنَسْتُ الْفَاطِمَةَ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٣٤٧-نصوص الوحي تثبت أن الله في السماء، قال تعالى: "وأمنتم من في السماء".

الفطرة تثبت أن الله في السماء، واسأل أي طفل صغير أين الله، الرد سيكون: في
السماء.

عند الدعاء نرفع أيدينا للسماء .

حتى الشاعر الجاهلي عنتر بن شداد يعلم أن الله في السماء :

يا عَبلُ أينَ مِنَ المَنِيَةِ مَهْرَبِي *** إنْ كانَ رَبِّي في السَّمَاءِ قَضاهَا

٣٤٨-ويثبت حكم الإسلام لمن وُلد لأبوين مسلمين، أو لمن وُلد لأبٍ مسلمٍ متزوجٍ من كتابية، أو لمن نشأ في دار الإسلام ولو لم يُعلم له أبوان، أو لمن كان كافرًا فنطق الشهادتين .

٣٤٩-ومن ثبت إسلامه، فلا يجوز الحكم عليه بالخروج من الإسلام إلا بدليلٍ أوضح من الشمس في رابعة النهار، حتى وإن وقع في فعل كفريٍّ أو اعتقادٍ كفريٍّ أو قولٍ كفريٍّ، حتى تُقام عليه الحجة ممن هو أهلٌ لإقامة الحجة، وحتى تُستوفى شروط التكفير كاملة، وحتى تنتفي عنه كل موانع التكفير .

وحد الردة حقُّ، ولا يُقام إلا بعد حكم قضائيٍّ شرعيٍّ مستوفٍ للشروط متبوع بالاستتابة .

٣٥٠-وموانع تكفير المسلم وإن وقع في الكفر المحض هي:

١-الجهل الناتج عن عدم بلوغ الحجة الرسالية، وليس الجهل الناتج عن التقصير أو الإعراض، لقوله تعالى: "وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا"الإسراء ١٥

٢-التأويل، حتى وإن كان تأويلاً فاسداً، لثبوت حسن النية عند المتأول، ولعدم قصده الوقوع في الكفر، ولظنه أنه بتأويله ينزه الله وينصر الدين ويؤيد الشريعة .

٣-الخطأ غير المقصود، كمن أنكر آية من القرآن الكريم ظناً منه أنها ليست بآية .

وقد وقع مثل هذا لواحدٍ من أشرف الصحابة رضي الله عنهم، وهو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فقد أنكر قرآنية المعوذتين في بادئ الأمر لظنه أنهما رقية، ولكن حصل الإجماع بعد ذلك على قرآنية المعوذتين وأثبتتا في المصحف الشريف .

٤-النسيان، لحديث رفع عن أمي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه، رواه أحمد وابن ماجه والبيهقي .

٥-الإكراه، لقوله تعالى : "(إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ) - النحل 106

٦-الصغر .

٧-النوم، وما يشابهه، مثل "التخدير" الكلي أو سلب الإرادة بالسحر أو بالتنويم المغناطيسي .

٨-من غاب عقله لأي سبب، لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : "رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ عَنِ الصَّغِيرِ حَتَّى يَبْلُغَ وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ وَعَنِ الْمَصَابِ حَتَّى يُكْشَفَ عَنْهُ" رواه أبو داود .

٣٥١-وشروط تكفير المعين من المسلمين بعد أن وقع في الكفر:

١-أن يكون ما وقع فيه الشخص هو كفرٌ بالإجماع، وأن يكون الشخص عالماً بذلك، متعمداً مختاراً .

٢-إقامة الحجة بواسطة عالمٍ مهابٍ أو أمير شرعيٍّ مطاع .

٣-انتفاء موانع التكفير الثمانية عن الشخص الذي وقع في الكفر .

٤- صدور الحكم بالردة من قاضٍ شرعيٍّ يحكم بما أنزل الله، وفي ظلِّ نظامٍ سياسيٍّ شرعيٍّ يحكم بما أنزل الله تعالى .

٣٥٢- والجهل نوعان:

١- جهلٌ يُعذر به صاحبه، وهو الجهل الناتج عن عدم بلوغ الحجة الرسالية .

لأن الشخص في هذه الحالة ليس عليه ذنب، فالرسالة لم تصله أصلاً، أو وصلته مشوّهة، أو وصل بعضها ولم يصل البعض، فيكون مطالباً بما وصله، معذور فيما لم يبلغه .

أما من لم تصله الرسالة بالكلية، فمثل أهل الفترة، وهم من أهل الامتحان يوم القيامة، لقوله تعالى : "وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً" .

وأما من وصله بعض الدين، فمثل المسلمين في آخر الزمان الذين لا يدرون ما صلاة وما زكاة وما صيام وما حج، ولم يبلغهم من الإسلام إلا الشهادتان .

وقد جاء ذكرهم في حديث حذيفة رضي الله عنه، ونص الحديث كما في سنن ابن ماجه عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة، وليسرى على كتاب الله عز وجل في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز يقولون أدركنا آباءنا على هذه الكلمة لا إله إلا الله فنحن نقولها، فقال له صلة: ما تغني عنهم لا إله إلا الله وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة، فأعرض عنه حذيفة، ثم ردها عليه ثلاثاً، كل ذلك يعرض عنه حذيفة، ثم أقبل عليه في الثالثة فقال: يا صلة تنجيهم من النار ثلاثاً" .

٢- جهل لا يعذر به صاحبه، وهو الجهل الناتج عن الإعراض، أو التقصير في طلب العلم والبحث عن الحقيقة، أو جهل العاقبة، فكل هذا يؤاخذ به الشخص، لأن له يدًا في الجهل الحاصل به، ولا يُعذر من كان هذا حاله .

٣٥٣- وأهل السنة والاتباع يتعففون جدًّا عن تكفير المعين من المسلمين وإن وقع في الكفر الأكبر إلا بعد استيفاء الشروط وانتفاء الموانع وإقامة الحجة، ولكن أهل السنة والاتباع يدققون جدًّا في معرفة أيِّ ما يחדش التوحيد أو ينقض الإسلام أو يوقع في الشرك أو يجر إلى الكفر، حتى يحذروا منه بفضل الله سبحانه وتعالى .

٣٥٤- معاني أسماء الله الحسنى

الله=الإله المعبود

الرحمن=المتصف بالرحمة في ذاته، الكثير الرحمة بكل خلقه

الرحيم=المتصف بالرحمة في أفعاله الخاصة بالمؤمنين، مثل هدايته إياهم وإدخالهم الجنة .

الملك=الذي له على الحقيقة كل ما في السماوات وما في الأرض، ويخضع له كل ما في السماوات وما في الأرض طوعًا وكرهًا .

القدوس=المطهر عن النقائص والمعائب ومثابهة المخلوق .

السلام= السالم من الآفات والإعاقة والبلاء، السابغ للسلامة والأمن والعافية على عباده .

المؤمن=الذي شهد لنفس بالوحدانية ولنبيه بالرسالة، الهادي أوليائه إلى الإيمان، الذي يمنح الأمن والإيمان لأصفيائه .

المهيمن=الرقيب على كل شيء، الذي يخضع لسلطانه وأمره كل شيء .

العزیز=الذي لا يُغالب، فضلاً عن أن يُغلب .

الجبار=له صفة الجبر بأنواعها الثلاثة، جبر القهر وجبر العلو وجبر الرحمة والإصلاح .

المتكبر=له وحدَه صفة الكِبَر والكبرياء والعزة والعظمة .

الخالق=الذي أوجد كل شيءٍ سواه من العدم .

البارئ=الذي أوجد الكائنات وميزها عن بعضها .

المصور=الذي أعطى كل مخلوقٍ صورته اللائقة به .

الحكيم=المتصف بالحكمة، وهي وضع كل شيءٍ في موضعه .

الأول=الذي لا شيء قبله .

الآخر=الذي لا شيء بعده .

الظاهر=الذي لا شيء فوقه .

الباطن=الذي لا شيء دونه، فهو أقرب (بصفاته) إلى كل شيءٍ من نفسه .

الحيّ=المتصف بالحياة أزلاً، والمتصف بالحياة أبداً، فلا يمرض ولا يموت .

القيّوم=القائم بنفسه، المستغني عن غيره، الذي لا يستغني عنه غيره طرفة عين .

العليّ، الأعلى، المتعالي=المتصف بعلو الذات وعلو القهر وعلو الشأن .

العظيم=المتصف بالعظمة المتناهية، الذي أخضع بعظمته كل مخلوقاته .

الأحد=المتفرد في صفاته

الواحد=المتفرد في ذاته

الصمد=الذي يُلجأ إليه في الحوائج والنوازل والمصائب .

العليم=الذي وسع علمه ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون .

الحليم=الذي لا يعاجل بالعقوبة، بل يعطي العبد فرصة للاعتذار والتوبة

العفو=الذي يمحو الذنوب والخطايا ولا يبالي، لعبده التائب .

الغفور=الذي يستر الذنب لمن استغفره، ولا يؤاخذ عليه .

السميع=الذي وسع سمعه الأصوات، ولا يشغله صوتٌ عن سماع صوتٍ آخر .

البصير=الذي وسع بصره الأشياء، ولا يخفي شيءٌ شيئاً عن بصره سبحانه .

الحق=الثابت واجب الوجود، الذي لا مَرِيَّةَ في وجوده ووحدانيته وانفراده بالربوبية والألوهية والكمال والجمال والجلال .

الكبير=العظيم والجليل والمُقدَّم والمُهاب والمطاع، فلا شيء ولا أحد أكبر منه، لا في ذاته ولا في صفاته، سبحانه .

اللطيف=خَفِيُّ البر والإحسان، العليم بدقائق الأمور والأشياء، المُحكِّم التدبير لما يشاء .

الخبير=العالم ببواطن الأمور وخفاياها .

الغني= المالك لكل شيء، الذي لا يحتاج إلى أي شيء أو إلى أي أحد، المستغني عما سواه .

الحميد=الذي ملأ تعظيمه والثناء عليه قلوب أوليائه، المستحق لكل المحامد والإجلال والحب والثناء على صفاته وأسمائه وأفعاله .

الرؤوف=عظيم الرحمة والعطف والإحسان على عباده .

القهار=الفعال لما يريد، الذي تخضع لعظمته الأسباب فيقول للشيء كن فيكون .

الغفار، الغفور، الغافر= الذي يغفر ذنب عبده إذا استغفره، فلا يؤاخذ به .

التواب= الذي شرع التوبة لعباده، ووفق من شاء من عباده للتوبة، وتقبل توبة التائبين من عباده المؤمنين .

الوهاب=كثيرُ العطايا بلا حساب .

الوليّ=الحبيب لمن أحبه، النصير لمن استتصره، صاحب لمن طلب قربه، المتولي شؤون عباده الصالحين بالتوفيق والسداد والهداية والرشاد .

البرّ=الذي كثر خيره، وازدادت عطاياه، وطاب جبره وحنانه .

الودود=الذي يتقرب إلى عباده بنعمه وهو الغني عنهم .

الخالق، الخالق=الذي يوجد الأشياء من العدم.الرزاق، الرازق=الذي ضمن لكل مخلوق رزقه من طعامٍ وشرابٍ وكساء ومأوى وغير ذلك من نعم الدين والدنيا .

القويّ=المتصف بالقدرة التامة على كل شيء بكل قوة ومنعة ودون أدنى درجة من ضعف أو عجز أو احتياج أو تعب أو نصب .

المتين=الذي لا يتخلله جوفٌ، الذي لا يتطرق إليه ضعف، الذي لا يصيبه نصب أو تعب أو مرض أو عجز أو لغوب .

الفتاح=الذي يفتح لعباده المؤمنين أبواب رحمته، ويفتح عليهم بركات من السماء والأرض، ويفتح لهم قلوب العباد، ويفتح لهم بالنصر والتمكين .

القدير، القادر، المقتدر=الذي يفعل ما يريد بقوله للشيء كن فيكون، فلا يحتاج إلى عون أو مساعدة من أحد، بل العرش وحملته محمولون بقدرته سبحانه .

الواسع=واسع الفضل، واسع المغفرة، واسع العلم، واسع السمع، واسع البصر، الذي بلغت كل صفة من صفات كماله وجماله الغاية القصوى .

الكريم، الأكرم=واسع العطاء، الذي يرزق من يشاء بغير حساب، يده مبسوطتان سحاء الليل والنهار .

القريب=أقرب (بصفاته) إلى كل شيء من نفسه، لا يحجزه شيء عن شيء، يجيب عبده إذا قال يا رب فيقول له لبيك يا عبد .

المجيب=الذي يلبي من ناداه، ويجيب من دعاه، ويعطي من سأل .

المليك، الملك، المالك=الذي له ملكوت كل شيء وإليه يرجع كل مخلوق، الذي يملك كل شيء على الحقيقة، ويمضي أمره وحكمه في ملكه كيف يشاء دون مشورة من أحد .

الحكم=الذي له الحكم، له الحكم الشرعي فهو المتفرد بالحكم بين عباده بشريعته، وله الحكم الكوني فهو الذي قدّر فهدى، وله الحكم الجزائي فيقضي بين عباده يوم القيامة ويجازيهم على أعمالهم، وهو في كله حكمه يتصف بالعدل، فهو الحكم العدل سبحانه .

المجيد، الماجد=المتصف بالمجد والعظمة والعلو والرفعة والغنى والشرف والسؤدد والقدرة والجلال والجمال والكمال .

الشاكر، الشكور=الذي يتقبل الطاعة من عبده ويكافئه عليها .

الإله=المعبود، المحبوب تمام الحب وغاية الحب، الذي ملأ حبُّ والشوق إليه والتعلق به قلوب عباده المؤمنين، المستحق وحده للعبادة .

الكفيل=الذي ضمن لعباده الرزق، وأمرهم مقابل ذلك بعبادته وحده، وضمن لمن وحده وعبده وحده الجنة .

النصير=الذي انفرد بالنصرة، فلا نصر إلا من عنده، ولا نصر إلا به، ولا غالب إلا هو، ولا غالب لمن ينصره .

الحفيّ=البارّ الطيب الودود، الحنون العطوف على عبده المؤمن .

الحفيظ، الحافظ=الهامي لأوليائه من كيد الشياطين وفتنة الكافرين ومكر الخبثاء
المشركين، الهامي لدينه وكتابه وأنبيائه وأوليائه وعباده المؤمنين، المحصي لأعمالهم
وأقوالهم وقلوبهم .

المقيت=القائم بتدبير شؤون عباده، المتكفل بأقواتهم وأرزاقهم .

الرقيب=المطلع على عباده وأقوالهم وأفعالهم، البصير بأحوالهم، السميع لأصواتهم،
العليم بما يدور في نفوسهم .

الهادي=المتفرد بالهداية، الهداية الشرعية ببيان أمره ونهيه وتوفيق أوليائه إلى طاعته،
والهداية الكونية بتيسير كل مخلوق لما خلق له .

الحسيب=الكافي لمن توكل عليه، المحيط بكل شيء، المحصي لكل حركة وسكنة .

الصادق=الذي يقول الحق، ويحكم بالحق، ويقضي بالحق .

الوارث=الذي يؤول له ويرجع إليه ملك السماوات والأرض وما فيهنّ ومن فيهنّ .

المستعان=الذي يُطلب منه المعونة، القادر على إعطاء المعونة، الذي لا يتم شيء إلا
بمعونته .

الرب=ربُّ العالمين، خالقهم ومربيهم بنعمه، المتفرد بالخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة والسيادة والملك والتشريع .

النور=نور السماوات والأرض، فكل نور في السماوات والأرض هو من أثر نوره، ينور قلوب عباده المؤمنين بنوره الشرعي وهو الإيمان والشرعة، وينور دروب مخلوقاته للوصول لغاياتهم بنوره الكوني .

المحيي=المتفرد بمنح الحياة لما شاء من خلقه، فلا حياة إلا بإحيائه، يحيي من يشاء ويميت من يشاء حين يشاء .

البديع=الذي أوجد كل مخلوق على غير مثالٍ سابق .

الفاطر=الصانع الموجد .

الجامع=يجمع على وليّه شملّه، ويجمع ما اتّلف من الأرواح، ويجمع بين المرء وزوجه، ويجمع الناس يوم القيامة، ويجمع المنافقين والكافرين في جهنم جميعًا .

الحنّان=الكثير الحنان والرحمة والعطف على عباده المؤمنين .

المتّان=الكثير العطاء بغير حساب .

السُّبُوح=المنزه عن النقائص، الذي يسبح له من في السماوات ومن في الأرض .

الشافى، الطبيب= الذي يطب عبده المريض ويشفيه مما أصابه من مرض وعطب وبلاء .

الحَيِّى=المتصف بالحياء، يستحي أن يرفع العبد إليه يديه فيردهما صفراً خائبتين .

الستير=الذي يستر العورات، ويستتر العيوب، ويستتر الذنوب، ويحب الستر، ويأمر بالستر .

الجواد=الذي يعطي عباده النعم قبل أن يسألوها، الذي يحب الجود ويأمر بالجود .

النظيف=المنزه عن النجاسات والأوساخ والأقذار .

الطيب=المنزه عن الخبث والغدر والخيانة .

المحسن=العظيم العطاء والسخاء والإنعام، الذي يوصل فضله إلى من شاء من خلقه .

الوتر=الفرد، المنزه عن صاحبة والولد والشريك والند والنظير والمثيل .

الجميل=المتصف بكمال الجمال في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله .

المقدم المؤخر= الذي جعل لكل شيء قدرا، وجعل لكل حدث وقتا، وجعل لكل أجل كتاب، ورتب كل الحوادث إلى يوم القيامة في أوقاتها المناسبة لها .

الرفيق= المتصف بالرفق واللين والتيسير .

الباسط= يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، يده مبسوطتان ينفق كيف يشاء، عظيم السخاء والعطاء والكرم .

السيد=المتفرد بالسيادة التامة والقدرة المحيطة والقوة الكاملة، الذي يُخضع خلقه لسيادته بغناه عنهم واحتياجهم له .

الديان=الذي شرع الدين لعباده لتحقيق سعادتهم في الدنيا والآخرة، الذي يجمع عباده يوم الدين ويحاسبهم ويقضي بينهم بحكمه .

ذو الجلال والإكرام=المتصف بكمال الجمال وتمام الجلال ومنتهى الكرم وغاية العز، سبحانه .

٣٥٥-نقد عقيدة "لا موجود إلا الله" :

هذه عقيدة الاتحاد، وتعني أن الخالق هو عين المخلوق، وأن الله تعالى اتحد مع جميع خلقه حتى صاروا شيئًا واحدًا .

وهؤلاء أشدُّ غُلُوءًا ممن زعم أن الله تعالى اتحد مع المسيح عليه السلام حتى صار الله والمسيح شيئًا واحدًا .

تعالى الله عما يصفون .

٣٥٦-نقد عقيدة "الله موجود في كل وجود"، "الله في كل مكان":

وهي عقيدة الحلول، ويزعم أهلها أن الله تعالى حل في كل مكان كما حل الملح بالماء من غير أن يكونا شيئًا واحدًا .

وهؤلاء أشدُّ غُلُوءًا ممن زعم أن الله تعالى حل في المسيح عليه السلام من غير أن يكونا شيئًا واحدًا .

تعالى الله عما يصفون .

٣٥٧-لا يجوز استخدام الآيات القرآنية في غير موضعها:

كمن يكتب عند آلة الدفع: "ادفع بالتّي هي أحسن"،

أو كمن يكتب عند حلق اللحية -وهي معصية: "وجوه يومئذٍ ناعمة"،

أو كمن يكتب على محل العصائر: "وسقاهم ربهم شرابًا طهورًا"،

أو كمن أراد أن يتهم غيره بالفاحشة فيقول : "ولا تقربوا الزنا"،
أو كمن أراد أن يشتم أخاه، فيقول حين رؤيته : "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم"، أو
يقول : "إن أنكر الأصوات لصوت الحمير".

هذا الذي يوظف كلام الله في نية سيئة، إن نجا من الكفر، فهو زنديقٌ منافقٌ بغیض .

٣٥٨-ومن التوحيد حب المؤمنين، وأفضل المؤمنين هم من اصطفاهم الله تعالى
لصحبة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، والصحابي هو من رأى رسول الله مؤمناً به
ومات على ذلك، والصحابة كلهم عدول، ولكنهم غير معصومين .

ومن الصحابة من جمع الله له بين الصحبة والقراية، وهم آل البيت الكرام من بني
هاشم، ولهم حق الصحبة وحق القراية من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، من
غير أن نعتقد عصمتهم أو نرفعهم فوق منزلتهم البشرية .

أما مسألة الخلافة والإمامة العظمى، فتصح لكل مؤمنٍ قرشي، سواء كان هاشمياً أو
أمويّاً أو تميمياً أو عدوياً أو مخزومياً أو تميمياً أو من أي بطنٍ من قریش، طالما أنه
مسلمٌ وقرشيٌّ .

وليست الإمامة حكراً على بني هاشم، فضلاً عن أن تكون حكراً على بني فاطمة
رضي الله عنها .

٣٥٩- ومن التوحيد إحسان الظن بكل صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والتماس الأعذار لأي خطأ بدر من أيّ منهم رضوان الله عليهم، والسكوت عن ما شجر بينهم، والاعتقاد بأنهم كانوا مجتهدين، وأنهم مأجورون على اجتهداتهم، المصيب له أجران والمخطئ له أجر واحد .

٣٦٠- والإيمان قولٌ باللسان، وتصديقٌ بالجنان (القلب)، وعملٌ بالجوارح والأركان . ولا يصح أن يُقال إن الإيمان هو المعرفة، فقد كان أبو طالب يعرف أن ابن أخيه صادق، ولكنه لما أبى أن ينطق الشهادتين، لم تنفعه معرفته، ومات مشركاً على ملة عبد المطلب .

وهو القائل:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ * مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينًا لَوْلَا الْمَلَامَةُ أَوْ حِذَارُ
مَسَبَّةٍ * لَوَجَدْتَنِي سَمْحًا بِذَلِكَ مُبِينًا

وأهل الكتاب يعرفون أن محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم حق، قال تعالى:
"الَّذِينَ آمَنَّا هُمْ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ
يَعْلَمُونَ" البقرة ١٤٦

بل إن إبليس نفسه، إمام الكافرين، يعرف أن الله حق، ويعرف أن البعث حق، "قال ربّ فأنظرني إلى يوم يبعثون" الحجر ٣٦، ولكنه لما أبى واستكبر لم تنفعه معرفته .

ولا يصح أن يُقال إن الإيمان هو مجرد القول باللسان دون حاجة إلى تصديق القلب، لأن المنافقين كانوا يقولون بألسنتهم أنهم مؤمنون، ولكنهم في باطنهم كاذبون مكذبون، فلم ينفعهم القول المجرد عن التصديق القلبي .

قال تعالى:

{إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ ۖ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ} . سورة المنافقون: الآية ١

ولا يصح أن يُقال إن الإيمان هو القول باللسان والتصديق بالقلب دون الحاجة لعمل الجوارح، وإلا فلماذا شرع الله الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وغيرها من عبادات الجوارح؟

ولماذا لا يأت مدح في كتاب الله للذين ءامنوا إلا وهو مقرون بـ"عملوا الصالحات"؟

وقد سمي الله الصلاة إيماناً، حين قال مطمئناً المؤمنين عن حال صلاتهم قبل بيت المقدس قبل تحويل القبلة، قال سبحانه مبشراً المؤمنين بأنه سوف يثيبهم على صلاتهم: "وما كان الله ليضيع إيمانكم"، عن البراء ، قال : مات قوم كانوا يصلون نحو بيت المقدس فقال الناس : ما حالهم في ذلك ؟ فأنزل الله تعالى : (وما كان الله ليضيع إيمانكم) .

[ورواه الترمذي عن ابن عباس وصححه] .

وقال ابن إسحاق : حدثني محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : (وما كان الله ليضيع إيمانكم) أي : بالقبلة الأولى ، وتصديقكم نبيكم ، واتباعه إلى القبلة الأخرى . أي : ليعطيكم أجرهما جميعاً .

٣٦١-ومن التوحيد عدم الاعتزاز برموز الجاهلية والشرك وإن كانوا من المنتسبين للقبيلة أو الوطن، بل نعتز بإلهنا الواحد سبحانه، ثم نعتز بنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وننتبرأ من المشركين ومن آلهتهم الباطلة المزعومة .

وقد روى الإمام أحمد وأبو يعلى في مسنديهما من حديث أبي ریحانة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : "من انتسب إلى تسعة آباء كفار يريد بهم عزا وكرامة فهو عاشرهم في النار".

٣٦٢- ومن التوحيد حفظ الأيمان والرضا باليمين بالله والوفاء بعهود الله وتعظيم ذمة الله تعالى، وعدم الحلف بالنبي أو بالكعبة أو بأي مخلوق، وعدم التعبد للنبي أو الرسول أو الكعبة أو أي ولي من الصحابة أو من آل البيت رضي الله عنهم أجمعين .

٣٦٣- ومن التوحيد عدم التآلي على الله أو الإقسام عليه ليفعل كذا أو لا يفعل كذا . فقد جاء في صحيح مسلم، وغيره، عن جندب، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدّث: أن رجلاً قال: والله، لا يغفر الله لفلان، وإن الله تعالى قال: من ذا الذي يتألّى عليّ أن لا أغفر لفلان؟! فإني قد غفرت لفلان، وأحببت عملك .

وقال الصنعاني في التنوير شرح الجامع الصغير: (قال رجلٌ: لا يغفر الله لفلان) كأنه معين، لا أنه لجنس عامل المعاصي، كما قيل . (فأوحى الله تعالى إلى نبي من الأنبياء: إنها) أي: الكلمة التي قالها (خطيئة) لأنها حكم على الله تعالى بأنه لا يغفر، وعلى العبد العاصي بأنه لا يتوب، والكل سر محجوب . (فليستقبل العمل) أي: يستأنف الطاعات، فإنها قد حبّطت بما تَفَوَّه به، وفيه النهي عن الحكم على مُعَيَّن بأن الله لا يغفر له، إلا إن مات مشركًا . اهـ .

٣٦٤-ومن التوحيد عدم جعل الله "واسطة" أو شفيعًا عند مخلوق للحصول على أمر من أمور الدنيا.

عن جبير بن مطعم □ قال: «جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، نهكت الأنفس وجاع العيال وهلكت الأموال، فاستسق لنا ربك، فإننا نستشفع بالله عليك، وبك على الله. فقال النبي ﷺ: سبحان الله! سبحان الله! فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: ويحك أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع بالله على أحد وذكر الحديث، رواه أبو داود.

٣٦٥-ومن التوحيد عدم تعظيم أي مخلوق ولو كان عالمًا أو صالحًا أو وليًا أو نبيًا، بل التعظيم والسيادة والربوبية والعبادة والكمال والجلال لله تعالى وحده.

٣٦٦-ومن التوحيد استحضار عظمة الله تعالى، وأن السماوات والأرض بالنسبة لعرشه أصغر من حلقة في فلاة، وأن الأرض جميعًا قبضته يوم القيامة، وأنه سبحانه يجعل السماوات على أصبع والأرضين على أصبع والشجر على أصبع والماء على أصبع والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع، (البخاري ومسلم).

٣٦٧-ومن حقق التوحيد كان ممن يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب، وعددهم سبعون ألف مع كل واحد سبعون ألف، (أحمد وابن أبي عاصم والطبراني).

٣٦٨-ومن التوحيد عدم تحويل العلماء أو الأمراء إلى مشرعين من دون الله تعالى.

٣٦٩-ومن التوحيد التطهر من الشرك، والحرص على عدم الوقوع فيه، ودعاء الله أن يحفظ العبد من الوقوع فيه، والاستغفار من أي شرك قد يقع فيه العبد بسبب الجهل.

من دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم : "اللهم إني أعوذ بك من أن أشرك شيئاً أعلمه، وأستغفرك لما لا أعلمه".

ومن دعاء الخليل عليه السلام : "واجنبني وبني أن نعبد الأصنام" إبراهيم ٣٥

٣٧٠-ومن التوحيد الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة .

"قل هذه سبيلي أدعو إلى الله، على بصيرة أنا ومن اتبعني، وسبحان الله وما أنا من المشركين" يوسف ١٠٨

٣٧١-ويجب على المؤمن تجنب أيّ ما يخدش التوحيد، فلا يتعلق بتمائم (أحبة) أو تولة (حظاظة) أو صوف أو حلقة أو خرزة أو رمز أو أي "وثن" معتقداً أنها تنفع أو تضر من دون الله، لأن كل هذا من الشرك الأكبر المخرج من الملة، عياداً بالله تعالى .

٣٧٢-ومن التوحيد تجنب دور العبادة الخاصة بغير المسلمين، فإن السخطة تنزل عليهم بسبب شركهم بالله، وبسبب كفرهم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

٣٧٣-ومن التوحيد عدم المشاركة في إظهار شعائر الكفر، وعدم تعظيمها، وعدم نشرها، وعدم احترامها، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا رأى صليبيًا كسره .

٣٧٤-ومن التوحيد التبرؤ من الكفار، وإظهار بغضهم، وعدم مدهنتم على حساب الإسلام .

٣٧٥-ومن التوحيد عدم استعمال وسائل شركية لدفع العين أو فك السحر، بل نستعمل سورة الفاتحة وآية الكرسي والمعوذتين .

٣٧٦-ومن التوحيد عدم التبرك بشجر أو حجر أو تربة أو ذوات الأشخاص، عدا ذات النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

للإجماع التركيّ الثابت عن الصحابة رضي الله عنهم، إذ أجمعوا على ترك التبرك بذات أبي بكر أو عمر أو كبار الصحابة وآل البيت الكرام رضي الله عنهم أجمعين، رغم وجود المقتضي لذلك .

٣٧٧-ومن التوحيد مخالفة المشركين والكفار من أهل الكتاب وغيرهم، وعدم التشبه بهم أو تقليدهم أو اتباع سنتهم أو مشاركتهم في أعيادهم أو جنازهم أو شئون دينهم .

٣٧٨-ومن التوحيد عدم التقرب بالندى أو الذبح أو الطواف أو التضرع لأي وثن أو قبر أو "مقام" أو ضريح أو "تربة" أو مشهد .

ومن التوحيد تسوية القبور بالأرض، وعدم البناء عليها أو إظهارها أو تعظيمها أو إيقاد السرج "الأنوار والمصابيح" عليها .

ومن التوحيد عدم تشبيه الأضرحة بالكعبة أو عمل كسوة للقبور تشبه كسوة الكعبة أو تحويل القبر إلى مكان للحج يشبه الكعبة، فكل ذلك من الشرك الأكبر المخرج من ملة الإسلام، عيادًا بالله تعالى .

٣٧٩- ومن التوحيد تجنب الأماكن التي يُعصى فيها الله تعالى، وعدم إقامة العبادة الخالصة لله في مكان يُعصى فيه الله أو يُشرك فيه بالله أو كان فيه صنم أو وثن أو دار عبادة للكفار .

٣٨٠- ومن التوحيد إفراد الله بالعبادة، ومنها الذبح (القربان) والنذر، فلا يذبح أو ينذر تقربًا للجن أو الشياطين أو الأصنام أو المقبورين أو الأضرحة أو المشاهد، بل يذبح لله وينذر لله تعالى وحده، وبشرط أن لا يكون النذر في معصية .

٣٨١- ومن التوحيد عدم الخوف من مخلوق، وإن كان سلطانًا أو ساحرًا أو شيطانًا أو جنيًا أو دجالًا أو طاغيةً أو ظالمًا، بل يتوكل المؤمن على الله وحده ويخاف الله وحده ويرجو الله وحده ويعبد الله تعالى وحده .

(قُلْ لَّنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا ۖ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ)

التوبة ٥١

وقال تعالى : " : إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وقوله : إِنَّمَا يَعْزَّمُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ .

وقوله: وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ النَّاسَ فَتْنَةً كَعَذَابِ اللَّهِ.

عن أبي سعيد □ مرفوعا: إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تدمهم على ما لم يؤتك الله. إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره.

وعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: من التمس رضى الله بسخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه الناس؛ ومن التمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس رواه ابن حبان في صحيحه.

فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (44) المائدة

٣٨٢- ومن التوحيد عدم مdahنة مخلوق على حساب الإسلام، وإن كان من أحب الناس إلى العبد.

بل يقدم العبد حب الله ومراد الله على هوى نفسه.

٣٨٣- ومن التوحيد ترك النفاق على حساب الدين، طمعا في منصب أو جاه أو مصلحة دنيوية أو رفعة أو سلطة أو علو أو فساد في الأرض.

٣٨٤-ومن التوحيد عدم استحلال الدماء المعصومة بأي مبرر، وعدم المشاركة في استحلال دم معصوم لا بفتوى ولا بموقف ولا بتبرير ولا بشطر كلمة .

٣٨٥-ومن التوحيد إفراد الله بالاستغاثة والاستعاذة والاستعانة والتوكل والخوف وبالرجاء وبالحب وبالشوق وبالتعلق وبالأمل وبالركون وبالاعتزاز وبالرغبة وبالرهبة وبالخشية وبالإنابة والتوبة .

٣٨٦-ومن التوحيد التبرؤ من الحول والطول والقوة إلا بالله سبحانه وتعالى .

٣٨٧-ومن التوحيد التسليم بأن القدر سر الله في خلقه لم يُطلع عليه ملكًا مقربًا أو نبيًا مرسلًا، وعدم الرغبة أو السعي لمعرفة السر الذي أخفاه الله عن خلقه، لا بسحر ولا باستعانة بالجن ولا بطاعة الشياطين ولا باستراق سمع، واليأس من ذلك (معرفة الغيب) تمام اليأس .

٣٨٨-ومن التوحيد الإيمان بأنه لا أحد ينجي العبد من الله إلا الله، وأنه لا أمر يحدث إلا ما أَراده الله، وأنه لا تأثير لمخلوق على الله، وأنه لا شفاعاة لأحد عند الله إلا بإذن الله للشافع وبرضاه عن المشفوع فيه .

٣٨٩-ومن التوحيد التسليم بأنه لا هادي لمن أضله الله، ولا مُضل لمن هداه الله، وأن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء، وأن الله يحول بين المرء وقلبه، وأنه لا يستطيع نبيٌّ أو وليٌّ أن يهدي أحب الناس إليه إلا بإذن الله تعالى .

٣٩٠-ومن التوحيد معرفة أن أول شرك وقع في بني آدم كان بسبب غلوهم في العلماء والأولياء والصالحين، وتقديم محبتهم وأمرهم على محبة الله تعالى وأمره .

٣٩١-ومن التوحيد عدم الصلاة عند القبر ، ما عدا صلاة الجنازة .

٣٩٢-ومن التوحيد الحذر من الشرك، والتحذير منه، ومعرفة أن فناء من هذه الأمة يقع في الشرك وعبادة الأوثان في آخر الزمان بسبب الجهل .

٣٩٣-وحد الساحر القتل، ولكن يكون ذلك بواسطة الحاكم الشرعي وبعد صدور حكم قضائي شرعيٍّ مستوفٍ للشروط بعد إقامة الحجة وانتفاء الموانع والحبس والاستتابة .

٣٩٤-ومن التوحيد ترك الرياء وإخلاص النية لله والحذر من إرادة الدنيا بالعمل الصالح .ومن التوحيد عدم إطاعة أي قانون أو تعليمات أو فتاوى تخالف ما شرعه الله، لأن طاعتها -والحالة هذه- شرك بالله تعالى .

لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : "إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكَ الشِّرْكَ الْأَصْغَرَ، قَالُوا: وَمَا الشِّرْكَ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ؛ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاوُونَ فِي الدُّنْيَا، فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً؟!"

خلاصة حكم المحدث : حسن

الراوي : محمود بن لبيد الأنصاري | المحدث : شعيب الأرناؤوط | المصدر :
تخريج المسند لشعيب | الصفحة أو الرقم : 23630

| التخریج : أخرجه أحمد (23630) واللفظ له، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (6831)، والبغوي في ((شرح السنة)) (4135)

٣٩٥-ومن التوحيد الحكم بالشریعة والتحاكم إلى الشریعة والدعوة إلى الشریعة .
ومن التوحيد الكفر بالقانون الوضعي المخالف للشریعة، والتحذیر منه، وعدم الحكم به أو التحاكم إليه .

٣٩٦-ومن التوحيد الإيمان بأسماء الله وصفاته وعدم جحد أي صفة من صفات الله وإمرار نصوص الصفات كما جاءت بعد فهم معناها .

٣٩٧-ومن التوحيد رد الفضل لله ونسبة النعمة إلى الله والتبرؤ من الحول أو الطول أو القوة أو العلم أو الفهم أو الحصافة إلا بتوفيق الله تعالى

٣٩٨-ومن التوحيد سؤال الله التوفيق في كل شأن حتى في شرك النعل .
ومن التوحيد أن لا نجعل لله ندًا، وألا نقول لولا فلان أو لولا كذا، بل نقول لولا الله وحده .

ومن التوحيد أن لا نقول ما شاء الله وشاء فلان، بل نقول ما شاء الله وحده .
ومن التوحيد أن نشرك أحدًا مع الله بحرف الواو، بل نقول الفضل لله ثم لفلان .

٣٩٩-ومن التوحيد أن لا نحلف إلا بالله أو باسم من أسمائه أو بصفة من صفاته .

٤٠٠-ومن التوحيد أن نرضى بالله إذا حُلف به .

وفي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "رَأَى عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَجُلًا يَسْرِقُ، فَقَالَ لَهُ: أَسْرَقْتَ؟ قَالَ: كَلَّا وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، فَقَالَ عَيْسَى: آمَنْتُ بِاللَّهِ، وَكَذَّبْتُ عَيْنِي".

٤٠١-ومن التوحيد عدم سب الدهر، لأن الله تعالى هو من يقلب الليل والنهار ويقدر الأقدار وييسر كل مخلوق لما خُلق له.

٤٠٢-ومن التوحيد عدم التسمي بقاضي القضاة أو ملك الملوك، فإن قاضي القضاة وملك الملوك هو الله تعالى.

٤٠٣-ومن التوحيد أن لا نجعل أسماء الله الحسنى كنية أو لقباً للعبد، فلا نقول أبا الحكم، لأن الله هو الحكم، ولا نقول سيد الناس، لأن سيد الناس هو الله. وأن لا نسمي مخلوقاً باسم من أسماء الله، وأن لا نصف مخلوقاً بصفة من صفات الله تعالى.

٤٠٤-ومن التوحيد ترك المجالس التي يُكفر فيها بالله أو يُستهزأ فيها بشرع الله أو بدين الله أو بكلام الله أو برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٤٠٥-ومن التوحيد إساءة الظن بالنفس وعدم إعجاب المرء بعلمه أو عمله أو جهاده أو عباداته.

قال النووي في شرحه لصحيح مسلم: باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى، وذكر فيه حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وسلم أنه قال: لن ينجي أحدًا منكم عمله، قال رجل ولا إياك يا رسول الله، قال ولا إياي إلا أن يتغمدني الله منه برحمة ولكن سدّدوا .

قال ابن القيم في مدارج السالكين: الوجه الخامس: أن الذنب قد يكون أنفع للعبد إذا اقترنت به التوبة، من كثير من الطاعات . وهذا معنى قول بعض السلف قد يعمل العبد الذنب فيدخل به الجنة . ويعمل الطاعة فيدخل بها النار، قالوا: وكيف ذلك ؟ قال: يعمل الذنب فلا يزال نصب عينيه، إن قام، وإن قعد، وإن مشى ذكر ذنبه ، فيحدث له انكسار، وتوبة، واستغفار، وندم، فيكون ذلك سبب نجاته، ويعمل الحسنة . فلا تزال نصب عينيه . إن قام وإن قعد وإن مشى، كلما ذكرها أورثته عجا وكبرا ومنة . فتكون سبب هلاكه . فيكون الذنب موجبا لترتب طاعات وحسنات، ومعاملات قلبية، من خوف الله والحياء منه، والإطراق بين يديه منكسا رأسه خجلا، باكيا نادما، مستقيلا ربه . وكل واحد من هذه الآثار أنفع للعبد من طاعة توجب له صولة، وكبرا، وازدراء بالناس، ورؤيتهم بعين الاحتقار . ولا ريب أن هذا الذنب خير عند الله، وأقرب إلى النجاة والفوز من هذا المعجب بطاعته، الصائل بها، المان بها وبحاله على الله عز وجل وعباده . وإن قال بلسانه خلاف ذلك . فالله شهيد على ما في قلبه .

وقال الغزالي في الإحياء: ويقال إن الطاعة كلما استصغرت عظمت عند الله عز وجل، والمعصية كلما استعظمت صغرت عند الله عز وجل .

قال المناوي في فيض القدير عن ابن عطاء الله . رب معصية أورثت ذلا وافتقارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا . اهـ . قال المناوي: وهذا كله ليس تنويها لارتكاب الخطايا بل المراد أنه إذا أذنب فندم بذله وانكساره نفعه ذلك .

٤٠٦-ومن التوحيد عدم اختراع أسماء الله لم ترد في الوحي الشريف، ومن التوحيد عدم الإلحاد في أسماء الله بأي لون من ألوان الإلحاد اللفظي أو المعنوي.

وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (180) الأعراف

٤٠٧-ومن التوحيد تنزيه الله عن التشبيه بالبشر، فلا نقول "السلام على الله"، فإن الله هو السلام.

ولا نقول "كثر خيرك يا رب"، فإن الله هو ربّ الخير.

ولا نقول "ربنا عايز كده"، فإن الله لا يعوزه شيء.

٤٠٨-ومن التوحيد الإجمال في الطلب والالتزام بأدعية الكتاب والسنة والإلحاح في المسألة وإظهار التضرع والاحتياج لله سبحانه وتعالى في كل حال، وخاصة حال الدعاء.

لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمَلُوا فِي الطَّلَبِ فَإِنَّ نَفْسًا لَن تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا وَإِنْ أَطَأَ عَنْهَا فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمَلُوا فِي الطَّلَبِ خذُوا مَا حَلَّ وَدَعُوا مَا حُرِّمَ".

خلاصة حكم المحدث : صحيح

الراوي : جابر بن عبدالله | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح ابن ماجه |
الصفحة أو الرقم : 1756

| التخریج : أخرجه ابن ماجه (2144) بلفظه، وابن حبان (3239)، والبيهقي (10502) بنحوه.

٤٠٩-ومن التوحيد حسن معاملة القنّ والأمة، وتعليمهم عبادة الله وحده، وأن لا يحولهم مالهم إلى عبادته من دون الله تعالى .

٤١٠-ومن التوحيد أن نعيذ من استعاذ بالله، وأن نغيث من استغاث بالله، وأن نعين من استعان بالله، وأن نعطي من سأل بالله، وأن نصدق من حلف بالله، وأن لا نخفر الله في ذمته .

٤١١-ومن التوحيد المكافأة على الإحسان، فإن عجز عن المكافأة يدعو للمحسن، وأعظم المكافأة دعاء: جزاك الله خيرًا .

٤١٢-ومن التوحيد أن لا نسبّ الدهر، لأن الله هو من يقلب الليل والنهار، ويقدر الأقدار .

وأن لا نسبّ الريح، فإن الله هو من يرسلها بالرحمة أو بالعذاب .

وأن لا نسبّ الديك، فإنه يوقظ للصلاة .

٤١٣-ومن التوحيد إحسان الظن بالله، ويكون ذلك بفهم أسماء الله وصفاته والإيمان بها .

ومن إحسان الظن بالله اليقين بأنه سبحانه ينصر دينه ويمكن لأوليائه ويذل أعداءه .

٤١٤-ومن التوحيد أن نؤمن بالقدر خيره وشره، وأن الله يعلم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وأن كل شيء مقدر ومكتوب، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن الله خالق كل شيء .

٤١٥- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال قال موسى يا ربِّ علِّمني شيئاً أذكرك به وأدعوك به قال قل يا موسى لا إله إلا الله قال يا ربِّ كلُّ عبادك يقول هذا قال قل لا إله إلا الله قال إنما أريد شيئاً تخصني به قال يا موسى لو أن أهل السموات السبع والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهم لا إله إلا الله .

رواه النسائي وأبو يعلى وابن حبان

٤١٦- عن رجلٍ من الأنصار رضي الله عنهم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : "قال نوحٌ لابنه إني موصيك بوصيةٍ وقاصرها لكي لا تنساها أوصيك باثنتين وأنهاك عن اثنتين أمَّا اللتان أوصيك بهما فيستبشرُ اللهُ بهما وصالحُ خلقه وهما يُكثران الولوجَ على اللهِ أوصيك بلا إله إلا الله فإنَّ السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ لو كانتا حلقةً قصمتهما ولو كانتا في كفةٍ وزننهما وأوصيك بسبحانَ اللهِ وبحمده فإنَّها صلاةُ الخلق وبهما يُرزقُ الخلق وإن من شيءٍ إلا يُسبَّحُ بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنَّه كان حليماً غفوراً وأمَّا اللتان أنهاك عنهما فيحتجبُ اللهُ منهما وصالحُ خلقه أنهاك عن الشِّركِ والكِبْرِ" .

رواه النسائي في السنن الكبرى

٤١٧- ومن التوحيد ترك الحسد، لأن الحسد يرى في نفسه أن الله قد أخطأ عندما أعطى النعمة لعبدٍ ما من عباده، تعالى الله عن الخطأ علواً كبيراً .

كما أن الحسود معترض على ربوبية الله وقيوميته، والحسود معترض على قدر الله وقضائه .

٤١٨-ومن التوحيد أن نؤمن أن العين حق، وأنه لو كان شيء سابق القدر وكانت العين، وأن العين تدخل الرجل القبر وتدخل الجمل القدر .

وأن العين سببها الإعجاب بالشيء وليس بغضه أو النفور منه، وأن المرء قد يصيب بالعين نفسه أو ولده أو ماله إذا أعجب به ولم يذكر الله، وأن الوقاية من العين هي قول ما شاء الله لا قوة إلا بالله عند رؤية ما يُعجبه، وقول أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة، وأن العلاج من العين هي الرقية بالفاتحة أو آية الكرسي أو المعوذتين أو الأذكار والأدعية الثابتة في الكتاب والسنة .

وأن العين غير الحسد، لأن الحسد مرض قلبي ناتج عن تمنى زوال النعمة عن المُنعم عليه، أما العين فهي إصابة للمعين تنتج عن وقوع العين عليه مقترنة بالإعجاب ومتجردة عن ذكر الله تعالى .

وأن العين والحسد من الأشياء التي خلقها الله وجعلها سببًا للمصائب، وأن العين أو الحسد لا يضر بذاته ولكن بإذن الله الكوني، وأنه لا يقي أو يشفي من العين والحسد إلا اللجوء إلى الله تعالى وحده .

٤١٩-ومن التوحيد ترك تعلم السحر، لأن الساحر لا يمكن أن يتعلم السحر ويصير ساحرًا إلا إذا كفر بالله تعالى .

والساحر كافر وحَدُّ القتل .

والسحر موجودٌ بقدر الله، ولا يضر بذاته ولكن بإذن الله الكوني، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعرض للسحر، سحره لبيد بن الأعصم اليهودي، ولم يشف من السحر إلا بعد أن رماه جبرائيل وميكائيل عليهما السلام.

وأنه لا علاج من السحر إلا الاستعانة بالله تعالى والاستغاثة به واللجوء إليه والتوكل عليه، مع قراءة سورة البقرة التي لا تستطيعها البطلة (السحرة).

٤٢٠-ومن التوحيد التخلص من أمراض القلوب، مثل الشرك والكفر والنفاق والعشق والحقد والحسد والكبر وسوء الظن وحب الدنيا وحب الشهوات والتلبس بالشبهات. وعلاج ذلك لا يكون إلا بالتوكل على الله واتباع سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والتزام السنة والابتعاد عن البدعة. ولينظر في ذلك كتاب "الداء والدواء لابن القيم".

وأفضل علاج للقلوب هو تلاوة القرآن الكريم وتدبره واتباع هدايه.

٤٢١-ومن التوحيد اتباع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سنته، لقوله تعالى "قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ". آل عمران ٣١

وأي انحراف عن السنة يقدر في التوحيد، والمسلم يخسر من توحيده بقدر ما يتلبس من البدع، حتى يصل إلى ترك التوحيد بالكلية إذا تلبس ببدع شركية أو كفرية، عياداً بالله تعالى وليأذاً بجنابه الكريم.

٤٢٢- وثمرة التوحيد واتباع سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو تزكية النفوس، تزكيتها من الشرك والكفر والنفاق وأدواء القلوب، حتى تصير نفوساً زكية تأنس بالله وتتفر عن كل ما عداه، فتستحق جوار الرحمن في جناتٍ ونهر، في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر .

٤٢٣- ومن التوحيد أن يجعل العبد رضوان الله غايته، وأن تكون عبادة الله والإخلاص له قبل وجهه في كل حركة وسكنة في حياته .

قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (163) الأنعام

٤٢٤- نقد الباطنية:

ومن التوحيد أن نؤمن أن كلام الله تعالى نزل بلسان عربي مبين، وأنه يُفهم على طريقة فهم العرب للكلام العربي، وأن مراد الله تعالى يُعلم بفهم كلامه على طريقة العرب، وبفهم كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بطريقة فهم العرب للكلام العربي .

وأن لغة العرب معلومة من قبل نزول القرآن الكريم، وأن غريب القرآن يُعلم معناه بتتبع لسان العرب في زمان نزول القرآن الكريم .

وأنه لا يوجد للقرآن الكريم معنى باطن بخلاف ما يفهمه العرب منه، وأن من ادعى أن للقرآن الكريم معنى باطنًا بخلاف ما يعلمه العرب من لسانهم، فقد افترى على الله الكذب .

٤٢٥-ومن التوحيد التأديب عندما نتحدث عن الله تعالى، وعندما نخبر عنه سبحانه، فنلتزم بنصوص الكتاب والسنة .

فلا نستخدم كلمات تخص المخلوق ثم ننسبها للخالق سبحانه .

فمثلاً: لا نقول "ربنا حرّ"، لأن لفظ حر وعبد من الألفاظ الخاصة بالعبد، ولكن يمكن أن نقول إن الله تعالى: "فَعَالٌ لما يريد"، أو أنه سبحانه "يفعل ما يشاء"، أو أنه سبحانه "لا مُكره له" .

ولا نقول "ربنا عاوز كده"، لأن العوز من صفات المخلوق، أما الخالق سبحانه فهو الغنيّ الحميد، الذي إذا قضى شيئاً فإنما يقول له كن فيكون .

أو يدعي أحد أن الله عهد إليه أو حدثه أو كلمه أو قال له أو أوعز إليه، فكل هذا من الكذب على الله تعالى .

٤٢٦-من التوحيد لزوم جماعة المسلمين وإمامهم، وفي حالة تفرق المسلمين وغياب الإمام والجماعة فعلى المسلم أن يتجنب كل الأحزاب والفرق والطوائف ويثبت على السنة ولو أن بعض على أصل شجرة حتى تأتية منيته وهو على ذلك، ولا يشارك المسلمين إلا في ما يعلم مشروعيته وحله .

٤٢٧-ومن التوحيد التبرؤ من فكر تكفير عوام المسلمين، لأن عوام المسلمين معذرون عند الله وإن وقعوا في الكفر الأكبر، بسبب جهلهم وبسبب تضليلهم من قبل أئمة الكفر .

وهذا لا يعني إباحة الوقوع في الكفر - عيادًا بالله وليادًا بجنابه الكريم- ولكن معناه فهم الواقع بعمق، حيث إن المسلمين في زماننا يعانون من جهل عميم بشئون دينهم، ولا يعلمون من دينهم إلا ما يراد لهم أن يتعلموه، فإذا وقع أحدهم في فعل أو قول أو اعتقاد كفريّ، فإننا نحكم بالكفر على الفعل أو القول أو الاعتقاد، ولا نكفر الشخص نفسه لأنه معذور بالجهل، ومعذور بسبب تضليل شياطين الإنس له، ومعذور بسبب سيطرة السحرة ومردة المرتدين وأئمة الكفر من اليهود والنصارى على مقاليد العالم ووسائل السياسة والاقتصاد والإعلام والتعليم .

ولا بد من تعليم الناس برفق ورحمة، ولا بد من إزالة الجهل عنهم، قبل التسرع في الحكم على عباد الله بالكفر والردة .

أما الزنادقة المعاندون المنافقون المرتدون، الذين يحرفون الدين ويضلون الناس عن سبق إصرار وترصد، فلا شك في كفرهم وردتهم ونفاقهم وعدائهم للإسلام والمسلمين .

٤٢٨-ومن التوحيد تطهير اليد من دماء المسلمين، وعدم التحريض عليهم أو مساندة من يقتلهم أو يحاصرهم أو يعذبهم أو يسفك دماءهم أو يستحلّ إزهاق أرواحهم .

عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((سباب المسلم فسوقٌ، وقتاله كفرٌ)) . رواه البخاريّ ومسلم

٤٢٩-ولي أمر المسلمين المستحق للحقوق الشرعية المنصوص عليها في الشريعة هو كل إمامٍ مسلمٍ متمكنٍ معه الشوكة والسلطة وخضع له المسلمون (طوعًا أو كرهًا) يحكم بما أنزل الله ويقيم العدل ويظهر شعائر الإسلام ويوظف المحاكم للحكم بالشريعة

ويحقق مقاصد الشريعة ويؤدي الأمانة ويحفظ ديار المسلمين وينصر الإسلام ويقوم الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد في سبيل الله تعالى .

٤٣٠- ومن التوحيد عدم الإقامة بين ظهراني المشركين إلا إذا كان المسلم قادرًا على إظهار دينه والدعوة إليه، وبشرط أن لا تكون في الإقامة بين الكفار فتنة للمسلم أو لغيره من المسلمين .

٤٣١- ومن التوحيد الالتزام بما يحقق مصالح المسلمين، وعدم التسبب في فتنة أو ضرر يقع بالمسلمين، وعدم التسبب في زيادة الفرقة بين المسلمين، وعدم التسبب في تسلط الكفار على المسلمين، وعدم التجسس على المسلمين لصالح الكفار المعتدين، وعدم إعانة من يظلم المسلمين أو يمكر بهم .

٤٣٢- ومن أدلة العذر بالجهل، قوله تعالى: "وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ ۖ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ" الأعراف ١٣٨

فأصحاب موسى عليه السلام قالوا قولاً كفرياً، ولكن موسى عليه السلام لم يكفرهم، بل عذرهم بسبب جهلهم، وشرع عليه السلام في تعليمهم التوحيد والبراءة من الكفر والشرك .

٤٣٣- ومن أدلة العذر بالجهل قول الله عز وجل: "إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" المائدة ١١٢

هنا وقع أصحاب عيسى عليه السلام في ما وقع فيه أصحاب موسى عليه السلام، وقالوا قولاً كافرينا، ومع ذلك لم يحكم عيسى عليه السلام بكفرهم، بل حثهم على تقوى الله تعالى والعودة لإيمانهم وتوحيدهم.

٤٣٤-ومن أدلة العذر بالجهل أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما خرج إلى حنين، مرَّ بشجرةٍ للمشركين يُقال لها: ذات أنواطٍ، يُعلّقون عليها أسلحتهم، فقال المسلمون: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواطٍ كما لهم ذات أنواطٍ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: سُبْحَانَ اللَّهِ! هذا كما قال قوم موسى: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ} [الأعراف: 138]، والذي نفسي بيده، لَتَرْكِبَنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ.

رواه الترمذي عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه، ورواه أحمد والحميدي والطيالسي.

هنا أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورضي الله عنهم، وقعوا في ما وقع فيه أصحاب موسى وأصحاب عيسى عليهما السلام، وقالوا قولاً كافرينا، ومع ذلك عذرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسبب جهلهم وحادثة عهدهم بالإسلام، وأخذ يعلمهم ويربيهم.

٤٣٥-ومن أدلة العذر بالجهل، حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "يُدرُسُ الإسلامُ كما يدرُسُ وَشْيُ التَّوْبِ حَتَّى لَا يُدرَى ما صِيَامٌ، ولا صلاةٌ، ولا نَسْكٌ، ولا صدقةٌ، ولَيْسَ رِى على كتابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ في لَيْلَةٍ، فلا يبقى في الأرضِ مِنْهُ آيَةٌ، وتَبَقَى طوائِفٌ مِنَ النَّاسِ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ والعَجُوزُ، يقولونَ: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة، لا إلهَ إِلَّا اللَّهُ، فنحنُ نقولُها فقالَ لَهُ صَلِّ (تابعي من تلامذة حذيفة رضي الله عنه): ما تُغني عنهم: لا إلهَ إِلَّا اللَّهُ، وَهُمْ لَا يَدْرُونَ ما صلاةٌ، ولا صِيَامٌ، ولا نَسْكٌ، ولا صدقةٌ؟ فأعرضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلَاثًا، كُلَّ ذَلِكَ يَعْرِضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ في الثَّالِثَةِ، فقالَ: يا صَلِّ، تُنْجِيهِمْ مِنَ النَّارِ ثَلَاثًا"

رواه ابن ماجه والحاكم والبيهقي.

وقد وقع مثل هذا في بلاد وسط آسيا التي خضعت للحكم السوفيتي الشيوعي، مسلمون في بلاد تسلط عليها الكفار المحاربون للإسلام، يجهلون حتى اسم نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم، ولكنهم يعلمون أنهم مسلمون، ويؤمنون بكلمة التوحيد، ويؤمنون بنبيهم العربي الأُمي صلى الله عليه وآله وسلم، لا يعلمون شيئاً عن أركان الإسلام فضلاً عن تفاصيله، ومع ذلك عذرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسبب جهلهم وبسبب تضليل أئمة الكفر لهم وبسبب محاربة الكفار لهم، وحكم لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنهم من أهل الجنة .

٤٣٦- ومن الأدلة على عدم جواز التبرك بذات شخص غير ذات النبي صلى الله عليه وآله وسلم، إجماع الصحابة رضي الله عنهم .

فقد أجمعوا على استحباب التبرك بذاته ومتعلقاته صلى الله عليه وآله وسلم، فكانوا يحرصون على أن يمسوا جسده الشريف، وكانوا يحرصون على تجهيز كفن من رداء مس جسده الشريف، وكانوا يتقاتلون على وضوئه (الماء المتساقط منه عند الوضوء) فيتبركون به، ويتبركون بشعره الشريف، ويتبركون بكل ما يتعلق به .

ولكنهم في نفس الوقت أجمعوا على ترك التبرك بغيره صلى الله عليه وآله وسلم، رغم وجود المقتضي .

ففي حياته وبعد وفاته، تعرضوا لمواقف عصبية، فلم يطلبوا التبرك بأبي بكر أو عمر أو عثمان أو علي رضي الله عنهم، بل حرصوا على اللجوء إلى الله تعالى وتوحيده، وحرصوا على اتباع سنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم .

فإذا فرض في زماننا وجود شعرة من لحية النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أو وجود رداء مس جسده الشريف، جاز التبرك به ليكون سبباً في جلب النفع أو في

دفع الضر أو رفعه، وأما ما عدا ذلك فلا يجوز التبرك بذوات أحدٍ ولو كان من أولياء الله الصالحين .

٤٣٧-ومن التوحيد بث العلم، وتعليم الناس شئون دينهم ابتغاء وجه الله، والنصيحة للمسلمين، ولزوم جماعة المسلمين، فإن المسلمين -رغم تقصيرهم- هم خير خلق الله على الأرض .

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخيف من منى ، فقال : "نَضَرَ اللهُ امرأً سمِعَ مقالتي ، فبلَّغها ، فربَّ حاملٍ فقهٍ ، غيرُ فقيهٍ ، وربَّ حاملٍ فقهٍ إلى من هو أفقهُ منه ، ثلاثٌ لا يُغلُّ عليهنَّ قلبُ مؤمنٍ : إخلاصُ العملِ لله ، والنَّصيحةُ لؤلاةِ المسلمين ، ولزومُ جماعتِهِمْ ، فإنَّ دَعوتَهُمْ ، تُحيطُ مِنْ ورائِهِمْ" .

صحيح ابن ماجه

٤٣٨-ومن التوحيد صلاة الجمعة والجماعة مع المسلمين، والحج مع المسلمين، وصلاة العيد مع المسلمين، والجهاد مع المسلمين، وتحسين ما يراه المسلمون حسناً من عادات وتقاليد، وتقبيح ما يراه المسلمون قبيحاً من عادات وتقاليد، وعدم تكوين فرقة دينية من دون المسلمين، وعدم ابتداع عقائد أو عبادات أو أحزاب من دون المسلمين، وعدم اعتقاد الأفضلية فوق المسلمين، وعدم الاستعلاء على المسلمين، وعدم اعتزال المسلمين .

٤٣٩-ومن التوحيد أن لا نكفر المسلم العاصي بذنبٍ ما لم يستحله .

ونعرف الفرق بين:

*التكرار: وهو الوقوع في الذنب ثم التوبة منه ثم العودة إليه وهكذا .

*الإصرار: وهو الوقوع في الذنب مع النية للعودة إليه مستقبلاً دون التوبة منه، مع الإقرار القلبي واللساني بأنه ذنب .

وهذان لا يكفران .

*أما الاستحلال: فهو اعتقاد حل ما حرمه الله، كمن يعتقد أن الزنا لو كان بالتراضي فهو حلال لا حرج فيه، فهذا كافر وإن لم يفعل الذنب .

٤٤٠-ومن التوحيد أن نؤمن أن إبليس كافر، بل هو إمام الكافرين، وأن الله تعالى لم يظلمه، بل هو من ظلم نفسه .

والفرق بين معصية آدم عليه السلام وبين معصية إبليس، أن معصية آدم عليه السلام كانت خطأ ونسياناً، أما معصية إبليس فقد كانت اعتراضاً على أمر الله تعالى .

وإن آدم حين راجعه الله تعالى، اعتذر إلى الله وندم وتاب .

أما إبليس فإنه حين راجعه الله، أبى واستكبر على الله وكفر بحق الله في الأمر والنهي .

٤٤١-ومن التوحيد الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، والشيطان الرجيم هو إبليس، الذي يؤس من رحمة الله تعالى .

وإبليس له أتباع من الجن والإنس .

٤٤٢-ومن التوحيد أن نؤمن أن الله عز وجل لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجاب النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه .

٤٤٣-ومن التوحيد أن نؤمن أن الإيمان "بذرة" يملكها الله تعالى، ولا يضعها سبحانه إلا في الأرض الخصبة التي تتقبل "البذرة" وتنميتها، والأرض الخصبة يعلمها الله تعالى وهي قلوب المؤمنين .

وحاشا لله أن يضع بذرة الإيمان في أرض سبخة ترفض البذرة وتقتلها، والأرض السبخة هي قلوب الكفار والمنافقين .

"ولله المثل الأعلى"

"ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير" .

٤٤٤-والاستحلال نوعان:

١-الاستحلال الاعتقادي (القلبي)تعريفه: أن يعتقد الإنسان بقلبه أن ما حرمه الله في دينه (مجمع على تحريمه) هو حلالٌ مباح .

الحكم: كفر أكبر مخرج من الملة، لأنه يُعد تكذيباً صريحاً لله ورسوله وإنكاراً لما عُلم من الدين بالضرورة.

مثاله: أن يعتقد شخص بقلبه أن الزنا أو شرب الخمر مباح ولا حرج فيه.

٢- الاستحلال العملي (الفعلي) تعريفه: أن يرتكب الإنسان معصيةً أو محرماً وهو يعلم بقلبه أنه محرم، ولكنه يقع فيه بسبب الشهوة، أو الغفلة، أو ضعف الإيمان، مع إقراره واعترافه بأنه عاصٍ ومقصر.

الحكم: كفر أصغر (معصية كبرى)، فاعله لا يخرج من الملة بل يبقى في دائرة الإسلام ناقص الإيمان، ويستحق العقوبة.

مثاله: أن يشرب شخص الخمر أو يتعامل بالربا وهو يعلم ويوقن أنه ذنب وحرام، ولكنه يضعف أمام نفسه أو شهوته.

٤٤٥- وأهل الامتحان يوم القيامة:

هم أصناف من الناس الذين لم تقم عليهم الحجة في الدنيا، فامتنحهم الله (سبحانه وتعالى) عدلاً منه وفضلاً يوم القيامة، ليلو طاعتهم.

وقد ثبت في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ (في مسند الإمام أحمد وغيره) أنهم أربعة أصناف:

الأصم: الذي لا يسمع شيئاً أبداً ولم تصله الدعوة.

والأحمق (أو المعتوه) : الذي لا يعقل ولا يميز الأمور .

والهَرَم: الشيخ الكبير الذي بلغ من الكبر خرفاً وذهب عقله قبل أن تصله الدعوة .

وأهل الفترة: الذين ماتوا في فترة لم يأتهم فيها نبي ولا رسول (مثل الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام)، ومن في حكمهم من من لم تبلغهم دعوة الإسلام بلوغاً صحيحاً .

كيفية الامتحان: يأمرهم الله يوم القيامة أن يدخلوا النار، فمن أطاع ودخلها جعلها الله عليه برداً وسلاماً (طاعة لأمر الله)، ومن عصى وامتنع أُدخل النار .

٤٤٦-ومن التوحيد الإيمان بالملائكة، وهم مخلوقات نورانية خلقها الله من النور، لا يأكلون ولا يشربون ولا يتغوطون ولا يتزاوجون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

يتواجدون في أماكن الذكر والعبادة وتلاوة القرآن الكريم، يرافقون المؤمنين، ويساعدون أولياء الله الصالحين، ويقاتلون مع المجاهدين .

منهم جبريل الأمين الموكل بنقل الوحي من رب العزة في السماوات العلى إلى الأنبياء والمرسلين عليهم السلام على الأرض .

وميكائيل: الموكل بالقطر (الأمطار) .

وإسرافيل: الذي ينفخ في الصور .

ومنهم حملة العرش، ومنهم منكر ونكير اللذان يسألان العبد في القبر عن ربه ودينه ونبيه، ومنهم الملكان اللذان يدونان أعمال العبد، ومنهم الملائكة الحفظة المعقبات التي يأمرها الله أن تحفظ العبد وتحميه من الآفات والشياطين والمصائب والحوادث بإذن الله تعالى .

ومنهم الملائكة التي تطوف بالبيت المعمور، وهو كعبة أهل السماء .

ومنهم الملائكة السياحون الذين يطوفون في الأرض بحثاً عن مجالس الذكر .

ومنهم خازن الجنة .

ومنهم مالك خازن النار .

٤٤٧-ومن التوحيد الإيمان بوجود الجنّ، وأنهم مخلوقات خلقها الله من النار، وأن منهم المسلمون ومنهم الكافرون، ومنهم الصالحون ومنهم دون ذلك، وأن لهم حياتهم الخاصة بهم، وأن منهم إبليس كان من الجن الصالحين ففسق عن أمر ربه .

وأنهم يرون الإنس ولا يراهم الإنس .

وأنهم لا يملكون من أمر الله شيء، وليس لهم من الأمر شيء .

وأن الكافرين منهم هم أتباع إبليس وجيوش السحرة والدجالين .

وأنه يحرم الذبح لهم أو النذر لهم أو الخوف منهم، لأن هذا من الشرك .

ويحرم استعمال الجن عن طريق السحر، لأن من السحر ما هو كفر، ومن السحرة من هو كافر .

وأن الجن قد يتلبس بالعاصي أو الفاسق أو الكافر، ويسخره للأعمال الشيطانية، ولا مخرج للعبد حينئذٍ إلا توحيد الله والرجوع إليه والبعد عن الفسق والفجور والعصيان .

٤٤٨-ومن التوحيد الإيمان بالأنبياء والمرسلين، وهم بشر من بني آدم اصطفاهم الله بالرسالات واختصهم بالوحي وعصمهم من الشرك والمعاصي وأمرهم بدعوة الناس إلى توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة .

وأولهم آدم عليه السلام، وخاتمهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وأولو العزم منهم خمسة، محمد وإبراهيم وموسى وعيسى ونوح .

والخمسـة أفضل ممن عداهم .

وترتيب الخمسة في الفضل أولهم وأفضلهم محمد ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم نوح، عليهم جميعا الصلاة والسلام .

لا نفرق بين أحد منهم لأن دينهم واحد، ونحن مأمورون بحبهم جميعا واحترامهم جميعا .

وعدد المذكورين في القرآن الكريم خمسة وعشرون نبيا .

وكل رسول نبي، وليس كل نبي رسول، لأن كليهما نزل عليه الوحي وأمر بالتبليغ، إلا أن النبي يأتي لإحياء شريعة رسول سبقه، بينما الرسول يأتي بشرع جديد من عند الله تعالى .

وعدد الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألفا، وهو نفس عدد الصحابة رضي الله عنهم .

ومنهم من اختصه الله بشيء إكرامًا له، مثل الكلام لموسى، والخلة لإبراهيم، والمُلك لسليمان، والانفراد بأن يكون كلمة الله مثل عيسى، وقد جمع الله لنبيه محمد الخلة والكلام واختصه بالرؤية، عليهم جميعًا الصلاة والسلام .

٤٤٩-ومن التوحيد الإيمان بالكتب، ومنها صحف إبراهيم، والتوراة، والزبور، والإنجيل، والقرآن الكريم .

وفي زماننا لا يجوز التعبد إلا بالقرآن الكريم، لأن ما عداه من الكتب قد لحقه التحريف والتزييف والتزوير، أما القرآن الكريم فقد تكفل الله تعالى بحفظه، ومن لوازم حفظه حفظ سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

٤٥٠- ومن التوحيد أن نؤمن أن كل البشر إخوة، وكلهم أبناء آدم وحواء، وأن أول البشر هو آدم، خلقه الله بيده وأسجد له ملائكته.

وأن الله تعالى خلق آدم من طين.

ثم خلق الله حواء من آدم، ثم سن الله الزواج بين الذكر والأنثى كسببٍ للذرية.

إلا عيسى عليه السلام خلقه الله من أمّ دون أب.

وأن كل جنس من المخلوقات مستقل بذاته لا يتحول إلى جنس آخر، وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم.

٤٥١- عقيدة الأئمة الأربعة في سؤال أين الله؟

١- الإمام أبو حنيفة النعمان (رحمه الله):

”مَنْ قَالَ: لَا أَعْرِفُ رَبِّي فِي السَّمَاءِ أَمْ فِي الْأَرْضِ؛ فَقَدْ كَفَرَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿أَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ﴾.”

المصدر: الفقه الأكبر (ص ٣٠٢).

٢- الإمام مالك بن أنس (رحمه الله):

”الله في السماء، وعِلْمُهُ في كل مكان، لا يخلو منه شيء.”

المصدر: العلو للذهبي (ص ١٠٧) / جامع بيان العلم وفضله .

٣-الإمام محمد بن إدريس الشافعي (رحمه الله) :

القول في السنة التي أنا عليها، ورأيت أصحابنا عليها. الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله. وأن الله على عرشه في سمائه، يقرب من خلقه كيف شاء، وينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء

المصدر: اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ١٦٥) / إثبات صفة العلو لابن قدامة .

٤-الإمام أحمد بن حنبل (رحمه الله) :

قيل له: الله فوق العرش السابعة بائن من خلقه، وعلمه بكل مكان؟ قال: "نعم، هو على العرش، ولا يخلو شيء من علمه."

المصدر: الرد على الزنادقة والجهمية (ص ٥٠) .

٤٥٢-ومن التوحيد أن نعرف لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حقوقهم، وأن نترضى عليهم جميعاً، وأن نحسن الظن بهم جميعاً، وأن لا نخوض في ما جرى بينهم من فتن، وأن نعتقد بأنهم كلهم عدول وأمناء على السنة والشرعية .
ومنهم معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما .

معاوية - رضي الله عنه - خال المؤمنين، وكاتبُ وحي رسول ربِّ العالمين، وكاتب رسائل النبي صلى الله عليه وسلم لرؤساء القبائل العربيّة .

دعا له النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم فقال: ((اللهم اجعله هاديًا مهديًا))؛ رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

وأخرج أحمد في مسنده عن العِرباض بن سارية رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم يقول: ((اللهم علِّم معاويةَ الكتاب والحساب، وقِه العذاب)).

عن أمِّ حرامٍ: أنَّها سمعت رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم يقول: ((أَوَّلُ جيشٍ من أمَّتِي يغزون هذا البحرَ قد أوجبوا))، فقالت أمُّ حرامٍ: يا رسولَ الله، أنا منهم؟ فقال: ((أنتِ منهم))، ثمَّ قال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم: ((أَوَّلُ جيشٍ من أمَّتِي يغزون مدينةَ قيصرَ مغفورٌ لهم))، فقالت أمُّ حرامٍ: يا رسولَ الله، أنا منهم؟ قال: ((لا))؛ رواه البخاري، قال الحافظ ابن حجر: "قال المهلب: في هذا الحديث منقبةٌ لمعاوية؛ لأنَّه أوَّل مَنْ غزا البحر، ومنقبةٌ لولده يزيد؛ لأنَّه أوَّل مَنْ غزا مدينةَ قيصر" ا.هـ.

سُئِلَ عبدالله بن المبارك: أيهما أفضل: معاويةُ بن أبي سفيان، أم عمرُ بن عبدالعزيز؟ فقال: والله إنَّ الغُبارَ الذي دَخَلَ في أنف معاويةَ مع رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم أفضلُ مِنْ عُمَرَ بألف مرَّة؛ صَلَّى معاوية رضي الله عنه خَلْفَ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم فقال: سمع الله لمن حمده، فقال معاوية: ربَّنَا ولك الحمد، فما بعد هذا؟! .

عن أبي أسامة، قيل له: أيُّهما أفضل: معاوية أو عمر بن عبدالعزيز؟ فقال:
"أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يُقاس بهم أحد"، قال الإمام النووي:
"وأما معاوية فهو من العدول الفضلاء، والصحابة الثَّجباء"؛ شرح النووي على
صحيح مسلم.

قال أبو زرعة الرازي : إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم : فاعلم أنه زنديق .

وقال الإمام أحمد : إذا رأيت الرجل يذكر أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم بسوء : فاتهمه على الإسلام .

٤٥٣-ومن التوحيد أن نعرف لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حقوقهم،
وأن نترضى عليهم جميعاً، وأن نحسن الظن بهم جميعاً، وأن لا نخوض في ما جرى
بينهم من فتن، وأن نعتقد بأنهم كلهم عدول وأمناء على السنة والشريعة .

ومن هؤلاء الصحابة وعلى رأسهم، خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم،
الصدِّيق أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه .

الصاحب الوفيّ لخاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام .

أول من آمن من الرجال .

أسلم على يديه ستة من العشرة المبشرين بالجنة .

”ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا” .

الأتقى، الذي يؤتي ماله يتزكى، وما لأحدٍ عنده من نعمة تجزى، إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى، ولسوف يرضى .

حامي حمى الإسلام يوم الردة، أفضل البشر بعد الأنبياء عليهم السلام .
يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر، رضي الله عنه .

ذَكَرَ القاضي عبد الجبار الهمداني المعتزلي جملةً
من مناقب أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقال:

- ١- بذل ماله ونفسه للنبي ﷺ .
- ٢- وكان ثاني النبي ﷺ في الغار .
- ٣- وصاحب النبي ﷺ في الهجرة .
- ٤- وأنيس النبي ﷺ في العرش يوم بدر .
- ٥- ووزير النبي ﷺ، والمستشار في أموره .
- ٦- وعينه النبي ﷺ أميرًا في موسم الحج .
- ٧- وقدمه النبي ﷺ على جميع الصحابة في الصلاة أيام مرضه .
- ٨- وبشره النبي ﷺ بالجنة .
- ٩- والمخصوص بتسميته الصديق .

١٠- والمشبه من الملائكة بميكائيل، ومن الأنبياء بإبراهيم .

١١- ثم هو وعمر بن الخطاب رضي الله عنه بُشِّرَا أنهما سيذا كهول أهل الجنة، ولهما قال ﷺ: «هما مني بمنزلة يميني من شمالي» .

راجع المغني في أبواب التوحيد (٢٠/٣٢٣) .

٤٥٤-ومن التوحيد أن نعرف لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله حقوقهم، وأن نترضى عليهم جميعاً، وأن نحسن الظن بهم جميعاً، وأن لا نخوض في ما جرى بينهم من فتن، وأن نعتقد بأنهم كلهم عدول وأمناء على السنة والشرعية .

ومنهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

الفاروق الذي فرق الله به بين الحق والباطل .

وكان إذا رآه الشيطان يسلك فجاً (طريقاً)، سلك الشيطان فجاً آخر .

من أعز الله به الإسلام .

المُلهم المُحدِّث .

من كان يأتي الوحي مصدقاً لكلامه وآرائه .

وصف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فترة خلافته وحكمه، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: "لم أرَ عبقرياً يفري فريّه".

٤٥٥- ومن التوحيد أن نعرف لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله حقوقهم، وأن نترضى عليهم جميعاً، وأن نحسن الظن بهم جميعاً، وأن لا نخوض في ما جرى بينهم من فتن، وأن نعتقد بأنهم كلهم عدول وأمناء على السنة والشرعية.

ومنهم عثمان بن عفان رضي الله عنه.

ذو النورين رضي الله عنه

من تزوج ابنتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واحدة بعد الأخرى
تزوج رقية رضي الله عنها، فلما ماتت، تزوج أختها أم كلثوم رضي الله عنها.
الرجل الوحيد الذي تزوج ابنتي نبي.

الحيي الكريم.

الشهيد المظلوم.

٤٥٦- ومن التوحيد أن نعرف لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حقوقهم، وأن نترضى عليهم جميعاً، وأن نحسن الظن بهم جميعاً، وأن لا نخوض في ما جرى بينهم من فتن، وأن نعتقد بأنهم كلهم عدول وأمناء على السنة والشرعية.

ومنهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

أبو الحسنين رضي الله عنه وعن الحسنين
أبو تراب، الفدائي الحبيب
زوج فاطمة سيدة نساء أهل الجنة عليها رضوان الله وسلامه

أسد الله، فاتح خيبر
أنا الذي سمتني أمي حيدرة *** كليث غاباتٍ كرية المنطرة

٤٥٧- ومن التوحيد أن نعرف لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حقوقهم،
وأن نترضى عليهم جميعًا، وأن نحسن الظن بهم جميعًا، وأن لا نخوض في ما جرى
بينهم من فتن، وأن نعتقد بأنهم كلهم عدول وأمناء على السنة والشرعية.

ومنهم عائشة رضي الله عنها .

أما وأم المؤمنين .

الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما .

أجمل وأرق وأعلم نساء العالمين .

حبيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وزوجته في الدنيا وفي الجنة .

المبرأة من فوق سبع سماوات .

٤٥٨-ومن التوحيد عدم الركون للظالمين، وعدم الانتماء إليهم، بل تظهر البراءة منهم ومن منهجهم ومن أفعالهم ومن حزبهم ومن طريقتهم .

قال تعالى : " وَلَا تَزْكُتُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ "، سورة هود: ١١٣

٤٥٩-ومن التوحيد أن تكفر من كفره الله ورسوله، فكل من ليس مسلماً فهو كافرٌ لأنه قد كفره الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

قال تعالى : "هو الذي خلقكم فمنكم كافرٌ ومنكم مؤمنٌ" التغابن ٢

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : "إن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة" رواه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

٤٦٠-ومن التوحيد أن نسمي الأشياء بأسمائها التي وردت في الكتاب والسنة، وأن نحذر من حيل الشيطان ومن حيل الدجال إذ يزين للناس الكفر والفسوق والعصيان عن طريق تسميتها بغير اسمها .

٤٦١-ومن التوحيد أن نكرم وأن نحب وأن نجلّ المؤمنين من آل البيت الكرام، قال تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم : "قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربى" الشورى ٢٣ .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : "أنا تاركٌ فيكم ثقلين: أولهما: كتابُ الله، فيه الهدى والنور؛ فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به، فحثَّ على كتاب الله ورغَّب فيه، ثم قال: وأهلُ بيَّتي، أذكِّركم الله في أهلِ بيَّتي، أذكِّركم الله في أهلِ بيَّتي، أذكِّركم الله في أهلِ بيَّتي"، رواه مسلم.

ولكن دون غلوّ، ولا نرفعهم فوق منزلتهم البشرية، سواء الحي منهم بيننا أم من توفاه الله، فأَي واحد منهم -مثل غيرهم- لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعًا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا.

٤٦٢-ومن التوحيد حب الإسلام، وتعلم الإسلام، ونصرة الإسلام، والدعوة إلى الإسلام، ومطالعة الكتاب وسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

قال تعالى : "أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ" آل عمران ٨٣

٤٦٣-ومن التوحيد الإيمان بالغيب، وهو الإيمان والتسليم لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم دون شكٍّ أو ريبة.

لأن الشك والريبة كفر.

قال تعالى: "إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ"، سبأ ٢١

٤٦٤-ومن التوحيد التبرؤ من العلوم الضارة، وهي علوم الفلسفة والجدليات وعلم الكلام، فهذه علوم تُضعف الإيمان أو تُشوّهه، وقد تزيل الإيمان من القلب تمامًا، عيادًا بالله وليادًا بجنابه الكريم.

٤٦٥-ومن التوحيد أخذ العقيدة من الكتاب والسنة، لا من العقل ولا من الذوق ولا من التجربة ولا من العادات أو التقاليد.

٤٦٦-ومن التوحيد عدم جعل العقل ندًا لله ولا لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم، فالعقل مخلوق من مخلوقات الله تعالى، والعقل خاضع لسنن الله الشرعية والكونية. ووظيفة العقل الفهم عن الله، وليس مناظرة الله أو محادثته سبحانه.

٤٦٧-ومن التوحيد أن نلتزم بمنهج السلف الصالح رضي الله عنهم في فهم الكتاب والسنة، ومن منهجهم احترام النصوص وفهمها كما جاءت وعدم تقديم العقل على النقل وعدم تحريف الألفاظ أو المعاني والعودة في معانيها إلى لغة العرب وقت نزول الوحي الشريف.

٤٦٨- ومن التوحيد أن نؤمن أن الله تعالى حرم الكافرين من سمع التوفيق، وحرّمهم من بصر التوفيق (البصيرة)، وحرّمهم من عقل التوفيق .

وأعطاهم سبحانه سمع الآلة، وبصر الآلة، وعقل الآلة .

فهم يسمعون ويبصرون ويفكرون ويخترعون أعجب الاختراعات، ولكنهم لا يسمعون (سمع الهداية والتوفيق)، ولا يبصرون (بصر الهداية والتوفيق والبصيرة)، ولا يعقلون (لا يهتدون إلى الإيمان بالله واليوم الآخر) .

٤٦٩- ومن التوحيد أن يكون الولاء والبراء على الإسلام، وليس على الانتماء العرقي أو اللغوي أو الوطني أو القومي أو القبلي أو غير ذلك .

٤٧٠- ومن التوحيد أن لا يتخذ العبدُ إلهه هواً وشهوته، فيكون عمله كله لإتحصيل هذه الشهوة وطلبها؛ فهو تاركٌ ما خلق لأجله، وهو عبادة الله تعالى، متمسكٌ بتحصيل شهوته بغير رضا الله تعالى، فهو مضيعٌ لآخرته بدنياه .

بل يعيش العبد لله عزَّ وجلَّ، طالباً رضاه، وما أعدّه سبحانه للصالحين من عباده .

فلا يكون غايته تحصيل رضا زوجة، أو إرضاء مديرٍ أو رئيس، أو تحصيل مال أو نفوذ، أو تحقيق جاهٍ أو منصب، أو جنْيُ رياسة وعلوّ وظهر، أو فخرٌ بلباسٍ أو قصورٍ أو زينة، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : "تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ،

وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعَسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شَيْكَ فَلَا
انْتَقَشَ، طَوْبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانٍ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَشَعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبِرَّةٌ قَدَمَاهُ، إِنْ
كَانَ فِي الْجِرَاسَةِ كَانَ فِي الْجِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنْ اسْتَأْذَنَ
لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ.، رواه البخاريُّ من حديث أبي هريرة رضي الله
عنه .

٤٧١-ومن التوحيد إخلاص الدين لله، فلا يكون الدين وسيلة لتحصيل مال أو تحقيق
رئاسة أو حصول وجاهة أو بناء سلطان، بل المال والرئاسة والوجاهة والسلطان كلها
وسائل وأسباب لإعلاء كلمة الله ولتعبيد الخلق لله وحده سبحانه وتعالى .

٤٧٢-ومن التوحيد أن يعيش المسلم للإسلام، وأن يعيش للإسلام، وأن يعيش بالإسلام،
وأن يجعل الإسلام قضيته ومحور حياته .

قال تعالى : "فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ"، الأنعام ٨٩

٤٧٣-ومن التوحيد أن لا نسأوي بين المسلمين والكافرين، فضلاً عن أن نفضل
الكافرين على المسلمين .

قال تعالى:

”أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (35) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (36) القلم

٤٧٤-ومن التوحيد أن نعدل في حكمنا على المخالف، وميزان العدل هو ميزان الشرع.

فأولى الناس بالحق هم من كان على منهج السلف الصالح رضي الله عنهم، في الاعتقاد والعمل والسلوك والمعاملات والاجتماع والسياسة والاقتصاد والشريعة.

ثم الأقرب بعدهم هم من كان عندهم بدع خفيفة غير مكفرة، وهؤلاء لا يكفرون لا نوعاً ولا عيناً.

ثم يأتي بعدهم من كان عندهم بدع مكفرة، فهؤلاء -وإن كفروا نوعاً- لا يكفرون أعياناً، إلا بعد إقامة الحجة واستيفاء الشروط وانتفاء الموانع. وبالتالي يكون هؤلاء أقرب إلى الحق وأهله من أهل الكتاب.

أما الباطنية، فهم كفار نوعاً وعيناً، وإن زعموا الانتساب إلى الإسلام، وأحسن أحوال عوامهم أن يكونوا مثل أهل الفترة.

ثم يأتي أهل الكتاب، وهم اليهود والنصارى، وكلهم كفار بلا شك، ومن شك في كفرهم فهو مثلهم.

وأهل الكتاب أحسن حالا من المشركين الذين ليس لهم كتاب، الذين يعبدون آلهة أخرى مع الله سبحانه .

إلا أن المشركين يعترفون بوجود الله وتوحيد الربوبية، ويشركون في الألوهية والأسماء والصفات، وبذلك يكون المشركون أحسن حالا من اللادينيين الذين ينكرون وجود الخالق سبحانه وتعالى .

وأسوأ أنواع الكفار على الإطلاق هم المرتدون، الذين ذاقوا طعم الإيمان ثم كفروا، عيادًا بالله وليادًا بجنابه الكريم .

٤٧٥-ومن التوحيد أن نحسن اتباع سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الاعتقاد والقول والعمل، وفي كل ما يخص العقيدة والشريعة .

وأن نتجنب البدعة؛ فكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار .

والبدع نوعان:

(١) غير مكفرة، وهي أي بدعة لا تخرج من الملة، مثل الأذكار المبتدعة والصلوات المبتدعة .

(٢) بدع مكفرة، وهي المخرجة من الملة، مثل اعتقاد خلق القرآن، أو مثل الطواف بالقبور أو الصلاة أو النذر للمقبور .

٤٧٦-ومن التوحيد الحذر من الردة بدعوى الحرية، فمن يستحل "حرية" الردة مرتد، ومن يستحل "حرية" الزنا أو الشذوذ مرتد.

فلا حرية للعبد في معصية الله، ومن يدعي أن للشخص الحق و"الحرية" في معصية الله فهو مستحل، والمستحل مرتد وإن لم يقع في المعصية.

وكل النصوص التي تتحدث عن حرية الإنسان في أن يؤمن أو أن يكفر، هي على سبيل الزجر والتهديد، بدليل أنها تُختم بالوعيد لمن يختار الكفر.

قال تعالى: "وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (29) " الكهف

٤٧٧-ومن التوحيد اعتقاد لزوم إقامة الحدود، ومن يدعي أن إقامة الحدود هو "تقييد" للحرية فهو مستحل للحكم بغير ما أنزل الله، والمستحل للحكم بغير ما أنزل الله مرتد وإن لم يحقق مراده.

قال تعالى:

وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۚ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (49) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (50) " المائدة

٤٧٨- الليبرالية شرك في الربوبية، لأنها تنزع من الله الحق في تحريم بعض الأشياء على عباده، مثل تحريمه سبحانه للشرك والفواحش والشذوذ.

وتنزع من الله الحق في تشريع عقوبة للمرتد أو الزاني أو الشاذ، بل تجعل الردة والإلحاد والزنا والشذوذ "حرية" شخصية لا يحق لأحد أن يمنعها أو يعاقب من وقع فيها.

فالليبرالية كفر لأنها استحلال، والمستحل مرتد وإن لم يفعل المعصية.

٤٧٩- ومن التوحيد أن نؤمن أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بلغ ما أمره الله بتبليغه، ولم يكتف من ذلك شيئاً، وأن لم يمت حتى أكمل الله تعالى به الدين وأتم به النعمة.

قال تعالى : "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا"
المائدة ٣

وأنه ترك الأمر شورى بين المسلمين لأن الله تعالى أمره بهذا .

قال تعالى : "وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ" الشورى ٣٨

"وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ" آل عمران ١٥٩

وأن من زعم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد قصر في حق الأمة بعدم "وضع دستور" لها، أو أنه صلى الله عليه وآله وسلم فشل في تحقيق العدل، أو أنه صلى الله عليه وآله وسلم تسبب في فتنة عظيمة للأمة بعدم نصه على الخليفة بعده، من زعم شيئاً من ذلك فهو كافر كفرة أكبر مخرجاً من الملة، بسبب تنقصه لرسول الله، وبسبب تعامله على الله ورسوله .

٤٨٠-ومن زعم أن الإسلام هو مجرد مشروع سياسي جاء لإقامة دولة، فهو كافر بالله وبرسوله .

فالإسلام دين الله، دين كامل ومنهج شامل لكل شئون الحياة، جاء لتعبيد الخلق لله، ولإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة .

وأن الإسلام جعل أمر المسلمين شورى بينهم،

"وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ" الشورى ٣٨

وأن سياسة الأمة يكون بشرع الله، وأن الحاكم يتم اختياره برضا المسلمين، ولا تصير له شرعية إلا بمبايعة المسلمين له، وأن توريث الأمة ومقدراتها للأبناء والأحفاد ليس من دين الله في شيء، وأن أي نظام سياسي أو اقتصادي مخالف للإسلام فهو باطل شرعاً ويجب مخالفته والكفر به .

٤٨١-ومن التوحيد أن يلزم المسلم جماعة المسلمين، وأن المسلمين إذا اختاروا إمامًا أو أميرًا أو حاكمًا وباعوه ورضوا به، فإن عليه أن يسوسهم بكتاب الله، وأن يحكم بينهم بما أنزل الله، فإن فعل ذلك فله السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره ما لم يأمر بمعصية.

٤٨٢-ومن التوحيد أن نؤمن أن الأفضل والأولى والأصل أن يكون المسلمون جماعةً واحدة لها قائد واحد ولهم جميعا كيان موحد ونظام سياسي واحد يقوم بأمر الله.

فإذا غلب الكفار على المسلمين، جاز للمسلمين أن يكون لهم أكثر من كيان أو نظام سياسي في نفس الوقت، ويكون، من حق كل كيان أن يسلك المنهج الذي يراه يحقق شرع الله في المسلمين الواقعين تحت ولايته.

لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سمح للمسلمين الذين منعوا من الهجرة إليه بعد صلح الحديبية، سمح لهم أن يقيموا "كيانًا" خاصا بهم على ساحل البحر بقيادة أبي جندل وأبي بصير، وكان لذلك الكيان قراراته السياسية و"السيادية" الخاصة به، دون الرجوع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذي كان يحكم دولة المدينة.

٤٨٣- ومن التوحيد اعتقاد جواز المسح على الخفين (أو الجوربين) بشروطها المعروفة؛ وهي أن تُلبس على طهارة، وأن تكون طاهرة في ذاتها، وأن تكون ساترةً لمحل الغسل، وأن لا تزيد على مدة يوم وليلة للمقيم أو ثلاثة أيام ولياليهنّ للمسافر .

٤٨٤- ومن التوحيد معرفة أنه لا يجوز التقليد فيما يُشترط لصحة الإسلام والإيمان؛ بل لا بد من فهم معنى لا إله إلا الله محمد رسول الله بالدليل، ولا بد من فهم ومعرفة أدلة المباني الأربعة، ولا بد من فهم ومعرفة أدلة الإيمان بأركان الإيمان الستة .

ويجوز التقليد في أحكام الفقه العملية التفصيلية وإن لم يعرف الدليل .

٤٨٥- ومن التوحيد أن نصلي الجمعة والجماعة خلف كل بر وفاجر؛ طالما كان من أهل السنة .

وأن لا نفتش عن حال مستور الحال .

٤٨٦- ومن التوحيد أن نؤمن أن الله تعالى بائن من خلقه، لا شيء فيه من خلقه، ولا شيء في خلقه منه، ذاته مستقلة عن مخلوقاته، لا تختلط بهم ولا يختلطون بها . وهو في السماء، فوق السماء، فوق العرش، والعرش سقف المخلوقات .

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء" رواه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

فالله تعالى في السماء -أي في العلو- فوق كل شيء، فإذا دعوت الله فإنك تشير إلى العلو، ولهذا ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه خطب الناس في حجة الوداع وقال: "ألا هل بلغت؟"، قالوا: نعم، فرفع إصبعه إلى السماء وجعل ينكتها إلى الناس يقول: "اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد ثلاثاً" رواه البخاري ومسلم عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

وهذا يدل على أن الله تعالى فوق كل شيء، وهو أمر واضح معلوم بالفطرة، و العقل، و السمع، و الإجماع.

٤٨٧- ومن التوحيد الحذر من الانقياد لمن يشغلون الناس عن أمور دينهم وشئون أمتهم وهموم أهلهم، والانتباه إلى حيلهم الشيطانية، ومن حيلهم الشيطانية تزيين الباطل وطمس الفطرة والتطبيع مع الفسق والفجور.

٤٨٨- ومن التوحيد عدم تسليم القلب أو إشغاله بما يضعف العقيدة أو يجعل الولاء والبراء على شخص أو شيء غير دين الإسلام.

ومن ذلك جعلهم "كرة القدم" بديلاً عن الدين، أو إشغال القلب بحب "الفن" والفنانين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً بدلاً من حب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحب أصحابه الكرام رضي الله عنهم .

أو شغل المسلمين عن الجهاد وتحرير المقدسات عن طريق إلهائهم بالمتع والملذات والملهيات والمخدرات (المادية والمعنوية) .

٤٨٩-ومن التوحيد الحذر من التسميات التي يطلقها أعداء الإسلام على المعاني الشرعية، مثل وصف الإسلام بالإرهاب، أو وصف المجاهدين الساعين لتحرير الأرض المقدسة والمسجد الأقصى بالأشرار أو المخربين أو الإرهابيين .

قال تعالى حاكياً عن أهل النار وهم يسألون عن كانوا يصفونهم في الدنيا بـ "الأشرار" : "وقالوا ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار" ص ٦٢

٤٩٠-ومن التوحيد أن يكون فرح القلب بانتصار الإسلام وظهوره على الدين كله، وبانتصار المسلمين المجاهدين على الكفار والصهاينة والمحتلين، وبتحرير الأراضي المحتلة التي علاها اسم الله يوماً (مثل الهند والصين وروسيا والأندلس وفلسطين)، وبفتح البلاد الكافرة وظهور الإسلام عليها .

والحذر من تحويل همة المسلمين إلى الفرح بمباراة كرة قدم أو حصول فيلم على "جائزة" أوسكار أو تحول "فنان" إلى ممثل عالمي، فكل هذا من إضعاف الإيمان وتشويه عقيدة المسلمين .

٤٩١-ومن التوحيد حماية المسلمين (وخاصة الأطفال والمراهقين والشباب) من مناهج التعليم المستوردة من الكفار، فتلك المناهج قائمة على التطبيع مع الإلحاد والإباحية .

٤٩٢-ومن التوحيد تربية الأطفال والشباب المسلم على بغض الكفار ومحاربة المناهج والحركات الصليبية والصهيونية، والحذر من شرور الكفار وغدرهم وخيانتهم وخبثهم.

٤٩٣-ومن التوحيد أن يتم تسخير "الدولة" بكل إمكانياتها وقدراتها لخدمة الإسلام، وليس العكس.

وليحذر المسلم أن تتحول "الدولة" من وسيلة إلى غاية.

فوظيفة "الدولة" القيام بشئون الإسلام، وتحكيم شريعته، وتحقيق مقاصده، وصيانة أتباعه، وحماية بيضته.

٤٩٤-ومن التوحيد أن يُسَخَّرَ العبد المسلم كل نجاحاته وإمكانياته ومصادر قوته لخدمة عقيدته، وأن تكون عقيدته هي مبدأ حركته ومركزية حياته ومنتهى غايته.

٤٩٥-ومن التوحيد أن لا "يصبح" العبد خادماً لأغراض اليهود، وأن يحذر المسلم من خطط اليهود الساعية للسيطرة على جميع الرؤساء والأمراء والعلماء في العالم الإسلامي .

٤٩٦-ومن التوحيد تقديم الشريعة على الأهواء، وتقديم القيم على المصالح، وتقديم العقيدة على المنافع، وأن يكون الإسلام منهج حياة المسلم، وأن لا تتحول حياة المسلم إلى حياة "برجماتية" مادية خالية من معاني الإيمان والإحسان .

٤٩٧-ومن التوحيد التصدر للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بضوابطه الشرعية، وأن لا يترتب على إنكار المنكر منكر أشد منه .

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۚ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۚ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (110) آل عمران

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان) رواه مسلم .

ولحديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم : " سيِّدُ الشُّهَدَاءِ حمزةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، ورجلٌ قام إلى إمامٍ جائِرٍ فأمره ونهاه فقتله " . رواه الحاكم وصححه، والخطيب وصححه الألباني، ورواه ابن حبان والديلمي .

٤٩٨- ومن التوحيد تفسير القرآن بالقرآن، ثم بالسنة، ثم بأقوال وأفعال الصحابة، ثم بأقوال وأفعال التابعين، ثم باللغة، فإن لم يوجد تفسير في كل ما سبق يمكن إبداء الرأي، مع التسليم والتصريح أن الرأي يحتمل الصواب والخطأ، ومن الرأي استخدام الإعجاز العلمي للتفسير .

٤٩٩- ومن التوحيد مساندة المسلمين ولزوم جماعتهم في ردعهم للصوص والبغاة والخوارج والسفهاء .

٥٠٠- ومن التوحيد إقامة الحدود، ومنها رجم الزاني المحصن حتى الموت، وجلد الزاني غير المحصن مائة جلدة، وجلد من تعاطى المسكر ثمانين جلدة، وجلد المفترى "قاذف المحصنات" ثمانين جلدة، وقتل المرتد "بشروطه"، وقطع يد السارق "بضوابطه"، وحد الحرابة المنصوص عليه في سورة المائدة .

٥٠١- ومن التوحيد أن نؤمن أن التوبة تكفر كل الذنوب، وأن الحج يهدم ما قبله، وأن الإسلام يجب ما قبله .

وأن التوبة ماضية حتى:

١-الغرغرة: عن عبد الله بن عمر، عن النبي ﷺ قال: «إن الله يقبل توبة عبده ما لم يُغرغر». .

حسن: رواه الترمذي (٣٥٣٧)، وابن ماجه (٤٢٥٣)، وأحمد (٦١٦٠)، وصححه ابن حبان (٦٢٨)، والحاكم (٢٥٧ / ٤) .

٢-حتى تطلع الشمس من مغربها: ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها، تاب الله عليه .

وجاء في الإقناع في مسائل الإجماع: وأجمع أهل السنة أن التوبة التي فرض على عباده، وندبهم إليها، مبسطة مقبولة ما لم يحجب العبد عنها بطلوع الشمس من مغربها . اهـ .

٣-إذا نزل العذاب بالأمة التي تحارب نبيها، وكان ذلك في الأمم السابقة على نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

قال تعالى : ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَاسَنَا ۖ سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾ " غافر ٨٥

وأبرز مثال على ذلك عدم قبول توبة فرعون بعد نزول العذاب، قال تعالى : ﴿ الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ " يونس ٩١

٥٠٢- ومن التوحيد أن نصلي الجنازة على من مات على التوحيد من أهل القبلة وكان مستور الحال .

أما المعلن بالزندقة والنفاق فلا نصلي عليه زجرًا لغيره، وكذلك من كان مجاهرًا بالفسق والفجور والعصيان .

٥٠٣- ومن التوحيد أن نؤمن أن كل مولود يولد على الإسلام، وإذا لم يتم تغيير عقيدته إلى الشرك فسوف يظل على الإسلام، والمقصود بالإسلام هنا هو الإسلام العام، دين جميع الأنبياء عليهم السلام، وهو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخضوع له بالعبادة .

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ)، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: {فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا}، الروم ٣٠

٥٠٤-ومن التوحيد أن نؤمن أن من الإنس من هم شياطين، يحاربون التوحيد وينصرون الشرك، ويحاربون الإيمان وينصرون الكفر، ويسخرون كل قدراتهم وإمكاناتهم لمحاربة الله تعالى .

وإن الصدام بين المؤمنين وبين هؤلاء الشياطين قائم لا محالة .

قال تعالى: "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ"

الأنعام ١١٢

روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي سلام قال: قال حذيفة بن اليمان قلت: يا رسول الله إنا كنا بشر فجاء الله بخير فنحن فيه فهل من وراء هذا الخير شر، قال: نعم، قلت: هل وراء ذلك الشر خير، قال: نعم، قلت: فهل وراء ذلك الخير شر، قال: نعم، قلت: كيف؟ قال: يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهدائي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك، قال: تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع . وقد رواه الحاكم في المستدرک وصححه ووافقه الذهبي .

٥٠٥- ومن التوحيد التخلص والتبرؤ من النظام العالمي القائم على نصرة الإلحاد والماسونية ومحاربة الإسلام وظلم المسلمين .

فكل المنظمات "الدولية" ما هي إلا جنود للدجال، تحارب الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وتسعى في الأرض فساداً، وتنتشر الشرك والكفر والفسق والفجور والعصيان .

فقد جعلوا "الرياضة" و"الفن" و"الدولار" بديلاً عن الإسلام والإيمان والإحسان، وظلمهم ومحاربتهم للإسلام والمسلمين ظاهرةً باديةً لكل ذي عينين .

٥٠٦- من التوحيد أن نؤمن أن الله سبحانه وتعالى بعث في كل أمة نذيراً يأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له، ويبين لهم أمر الله ونهيه .

قال تعالى : " وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ " فاطر ٢٤

وقال تعالى : "وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۚ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ " سورة النحل ٣٦

٥٠٧- ومن كمال التوحيد أن يكون الله ورسوله أحب للمرء مما سواههما .

في حديث أنس في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن يقذف في النار].

جاء في الصحيحين أيضا: [لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين].

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هِشَامٍ، قَالَ: [كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا نَفْسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ، قَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ الْآنَ، وَاللَّهِ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْآنَ يَا عُمَرُ] "رواه البخاري".

٥٠٨- ومن التوحيد أن نؤمن أن المكلف من الأمم هم الثقلان، الإنس والجن.

وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بُعث للتقلين كافة.

روى البخاري، ومسلم من حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي... وذكر منها: وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعث إلى الناس عامة.

قال الحافظ ابن حجر: في الفتح: وأما قوله: وبعثت إلى الناس عامة، فوقع في رواية مسلم: وبعثت إلى كل أحمر وأسود، الإنس والجن، وعلى الأول التنصيص على الإنس من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى، لأنه مرسل إلى الجميع، وأصرح الروايات في ذلك وأشملها رواية أبي هريرة -رضي الله عنه- عند مسلم: وأرسلت إلى الخلق كافة. انتهى. فهو على هذا مبعوث إلى الجن والإنس. وهذا من خصائصه.

قال النووي في شرح صحيح مسلم بعد أن ذكر الاختلاف في معنى الأحمر والأسود: وَقِيلَ الْأَحْمَرُ الْإِنْسُ وَالْأَسْوَدُ الْجِنُّ وَالْجَمِيعُ صَحِيحٌ فَقَدْ بُعِثَ إِلَى جَمِيعِهِمْ. انتهى.

وأما كيفية وصول رسالته إلى الجن، فقد بينها القرآن، وذلك باستماع بعض الجن للنبي -صلى الله عليه وسلم- وهو يقرأ القرآن، وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث ابن مسعود أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: أتاني داعي الجن، فذهبت معه، فقرأت عليهم القرآن.

قال الله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (الأنبياء ١٠٧).

وقال تعالى: يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَٰهَدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَٰهَدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (الأنعام ١٣٠).

قال تعالى: وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ * قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ

بَعْدَ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ * يَاقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (الأحقاف ٢٩ - ٣١) .

وقال تعالى : (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (الجن ٢٠١) .

٥٠٩- ومن التوحيد أن نؤمن أن أتباع الأنبياء في الأمم السابقة كانوا مسلمين الإسلام العام .

والإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخضوع له بالعبادة .

ولا تدخل نفس الجنة إلا إذا حققت هذا "الإسلام" لله سبحانه وتعالى .

وبعد بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لم يعد يصح إسلام إلا بشهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله، مع الاستسلام والانقياد والخضوع .

٥١٠- ومن التوحيد أن لا ينسب العبد لنفسه أي فضل في نعمة أنعم الله بها عليه .
بل يرد الفضل كله لله .

وليحذر أن تصبح نفسه شريكاً لله تعالى .

وليكن لسان حاله ومقاله : "قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۚ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۚ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ " النمل ٤٠

وليحذر أن يكون ممن قال الله فيهم : "قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ" . عبس ١٧

وليحذر أن يكون مثل الذي أشرك بربه عندما أنعم عليه ربه فقال : "إنما أوتيته على علم عندي" الآية ٧٨ القصص

وليحذر أن يكون مثل الذي قال : "أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا " الكهف ٣٤

وليحذر أن يكون كمن قال الله فيهم : "وَمَا نَقْمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ" التوبة ٧٤ .

فالعبد يظل صابراً طالما كان في ابتلاء، فإذا أنعم الله عليه نسي الله وأشرك بالله ونسب الفضل لنفسه لعلمه أو لذكائه أو لفضله على الناس، وهذا من أعظم الشرك الذي يتسبب في ضياع الدنيا والآخرة .

٥١١- ومن التوحيد أن لا يقدّم العبد بين يدي الله ورسوله، لقوله تعالى: "يا أيها الذين ءامنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله، إن الله سميعٌ عليم" الحجرات ١.

ومن عدم التقديم بين يدي الله ورسوله أن لا نقدم العقل على النقل، بل نسلم لكلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، سواء فهمنا الحكمة أم لا .
بل نعتقد أن كل خير هو في اتباع الوحي الشريف، ونعتقد أن كل شرّ هو في الابتعاد عن الوحي الشريف .

٥١٢- ومن التوحيد أن نؤمن أن الله قد أيد أنبياءه ورسله بالمعجزات، وهي أمور خارقة للعادة تحدث على أيدي الأنبياء والرسل عليهم السلام، وتكون من جنس ما تفوق فيه أقوامهم، وتكون مقترنة بدعوى النبوة، وتكون مقترنة بالتحدي .

فالذين بعث فيهم موسى (المصريين القدماء) كانوا بارعين في السحر واستخدام وتسخير القوى الخفية، فأيد الله عبده ورسوله موسى عليه السلام بالعصا وغيرها من المعجزات، فظنوها سحرًا في أول الأمر، ولكنهم عجزوا عن تحديها بالأدوات التي يملكونها، فما كان منهم إلا الإيمان والتسليم .

والذين بعث فيهم عيسى عليه السلام كانوا بارعين في الطب، فأيد الله عبده ورسوله عيسى عليه السلام بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله تعالى .

ومن بعث فيهم سيد الخلق صلى الله عليه وآله وسلم كانوا بارعين في اللغة العربية، شعرها ونثرها، فأيد الله تعالى عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالقرآن الكريم، فأعجز العرب والعجم، بل أعجز الإنس والجن على أن يأتوا بسورة من مثله .

وينبغي هنا التفريق بين خوارق العادات بعضها وبعض .

فخوارق العادات التي تقع للبشر نوعان:

*نوع يقع على أيدي أولياء الرحمن: وهي معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء، والكرامات لا تقع إلا لرجلٍ ملتزمٍ بالكتاب والسنة .

*نوع يقع على أيدي أولياء الشيطان: وهي الأحوال الشيطانية التي تقع للسحرة والمشعوذين والدجالين والمنحرفين والمعاندين والمنافقين والمحاربين للكتاب والسنة .

فالمرجع والميزان دائماً هو الكتاب والسنة .

٥١٣- ومن التوحيد قصر استعمال بعض الألفاظ على الله سبحانه وتعالى، ومنها لفظ العبادة (أعلى درجة في الحب)، وأيضاً لفظ المُراد (المقصود والمطلوب= توحيد القصد والطلب) .

فالمؤمن لا يجوز أن يقول لأي أحد إنه "يعبده" إلا الله تعالى، ولا أحد يجوز أن يُطلق عليه "معبود الجماهير" إلا الله تعالى .

كما لا يجوز للمؤمن أن "يغازل" امرأة بجعلها "المراد" بالنسبة له، أو بجعلها "معبودته" من دون الله تعالى، فإن هذا -إن لم يقع في الشرك الأكبر- لن يسلم من الشرك اللفظي أو الشرك الأصغر، عياداً بالله ولياداً بجنابه الكريم .

٥١٤- ومن التوحيد عدم إخضاع الإسلام (ولا المسلمين) لأي فكرة أو أيديولوجية أو توجه أو حزب أو جماعة .

بل الإسلام يعلو ولا يُعلَى عليه .

والإسلام يحكم ولا يُحكم عليه .

والإسلام يُنتصر له ولا يُنتصر به .

والإسلام يُخدم ولا يُستخدم .

والإسلام يُخضع السياسة والساسة، ولا يخضع للسياسة ولا للساسة .

٥١٥- ومن التوحيد أن تكون الدولة والنظام والسياسة والساسة في خدمة الإسلام ونشره وإظهاره وتحقيق مقاصده، وليس العكس .

٥١٦- ومن التوحيد الإيمان بمعجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومنها معجزة الإسراء والمعراج .

وقد ذكر الله تعالى الإسراء في سورة الإسراء، قال تعالى : "سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ" الإسراء ١ .

وقد أشار سبحانه إلى المعراج في سورة النجم، قال تعالى : "وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (1) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (2) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (4) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (5) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ (6) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ (7) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ (8) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ (9) فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ (10) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ (11) أَفَتُنْمَارُوهَ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ (12) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (13) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ (14) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ (15) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ (16) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ (17) لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ (18)" النجم .

وقد تواترت الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي تحكي تفاصيل رحلتي الإسراء والمعارج، بما لا يدع مجالاً للشك لأي مسلم .

فحادثة المعراج ثبتت بالأحاديث المتواترة الموثقة في الصحيحين والسنن والمسانيد والمعاجم ودواوين السنة عن جملة من الصحابة يزيد عددهم عن العشرين، قال الشنقيطي رحمه الله في أضواء البيان: فقد تواترت الأحاديث الصحيحة عنه أنه أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وأنه عرج به من المسجد الأقصى حتى جاوز السماوات السبع . انتهى .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الجواب الصحيح (6/165): وكذلك صعوده ليلة المعراج إلى ما فوق السماوات وهذا مما تواترت به الأحاديث...

وقال ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية: فمنها قصة المعراج وهي متواترة . انتهى .

ومن تلك الأحاديث المتواترة حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه -وهو حديث طويل- وفيه: فانطلقت مع جبريل حتى أتينا السماء الدنيا... إلخ. وذكر أنه رأى في السماء الدنيا آدم عليه السلام وفي الثانية عيسى ويحيى عليهما السلام وهكذا.... والحديث رواه البخاري ومسلم. وكذلك حديث أبي ذر عند البخاري في كتاب الأنبياء وفيه: ... فعرج بي إلى السماء.... إلخ. وحديث أنس أيضاً وفيه: ثم عرج بي إلى السماء الدنيا.. وهو عند البخاري ومسلم.

٥١٧- ومن التوحيد الإيمان بعلو الله تعالى، وهو ثلاثة أنواع:

(١)- علو الشأن والقدر .

(٢)- علو القهر والعزّ والجبر .

(٣)- علو الذات .

ومن أدلة العلوّ: دلالة القرآن على علو الله تعالى

فأما الكتاب فقد تنوعت دلالاته على علو الله، فتارة بذكر العلو، وتارة بذكر الفوقية، وتارة بذكر نزول الأشياء من عنده، وتارة بذكر صعودها إليه، وتارة بكونه في السموات .

فالعلو مثل قوله: (وهو العلي العظيم) البقرة/255، (سبح اسم ربك الأعلى) الأعلى/1 .

والفوقية: (وهو القاهر فوق عباده) الأنعام/18، (يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون) النحل/50.

ونزول الأشياء منه، مثل قوله: (يدبر الأمر من السماء إلى الأرض) السجدة/5، (إنا نحن نزلنا الذكر) الحجر/9 وما أشبه ذلك.

وصعود الأشياء إليه، مثل قوله: (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) فاطر/10 ومثل قوله: (تخرج الملائكة والروح إليه) المعارج/4.

كونه في السماء، مثل قوله: (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض) الملك 16/.

دلالة السنة النبوية على علو الله تعالى

وأما السنة فقد تواترت عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله وفعله وإقراره:

فمما ورد في قوله صلى الله عليه وسلم في ذكر العلو والفوقية قوله: (سبحان ربي الأعلى) كما كان يقول في سجوده وقوله في الحديث: (والله فوق العرش) .

(2) وأما الفعل، فمثل رفع أصبعه إلى السماء، وهو يخطب الناس في أكبر جمع، وذلك في يوم عرفة، عام حجة الوداع فقال عليه الصلاة والسلام (ألا هل بلغت؟)

قالوا: نعم (ألا هل بلغت؟) قالوا: نعم (ألا هل بلغت؟) قالوا: نعم . وكان يقول: (اللهم! اشهد)، يشير إلى السماء بأصبعه، ثم يُشير إلى الناس . ومن ذلك رفع يديه إلى السماء في الدعاء كما ورد في عشرات الأحاديث . وهذا إثبات للعلو بالفعل .

(3) وأما التقرير، كما جاء في حديث الجارية التي قال لها النبي صلى الله عليه وسلم: أين الله؟ قالت: في السماء . فقال: (من أنا؟) قالت: رسول الله . فقال لصاحبها: (أعتقها، فإنها مؤمنة) .

فهذه جارية غير متعلمة كما هو الغالب على الجواري، وهي أمة غير حرة، لا تملك نفسها، تعلم أن ربها في السماء، وضلّال بني آدم ينكرون أن الله في السماء، ويقولون: إنه لا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال بل يقولون: إنه في كل مكان!!

دلالة الإجماع على علو الله تعالى

وأما دلالة الإجماع، فقد أجمع السلف على أن الله تعالى بذاته في السماء، كما نقل أقوالهم أهل العلم كالذهبي رحمه الله في كتابه: "العلو للعليّ الغفار" .

دلالة العقل على علو الله تعالى

وأما دلالة العقل فنقول إن العلو صفة كمال باتفاق العقلاء، وإذا كان صفة كمال، وجب أن يكون ثابتاً لله لأن كل صفة كمال مطلقة، فهي ثابتة لله .

دلالة الفطرة على علو الله تعالى

وأما دلالة الفطرة على علو الله تعالى، فأمر لا يمكن المنازعة فيها ولا المكابرة، فكل إنسان مفطور على أن الله في السماء، ولهذا عندما يفجؤك الشيء الذي لا تستطيع دفعه، وتتوجه إلى الله تعالى بدفعه، فإن قلبك ينصرف إلى السماء وليس إلى أيّ جهة أخرى، بل العجيب أنّ الذين ينكرون علو الله على خلقه لا يرفعون أيديهم في الدعاء إلا إلى السماء .

وحتى فرعون وهو عدو الله لما أراد أن يجادل موسى في ربه قال لوزير هاملان: (يا هاملان ابن لي صرحاً لعلّي ابلغ الأسباب أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى .. الآية) . وهو في حقيقة أمره وفي نفسه يعلم بوجود الله تعالى حقاً كما قال عزّ وجلّ: (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً) .

فهذه عدّة من الأدلة على أن الله في السماء من الكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة بل ومن كلام الكفار نسأل الله الهداية إلى الحق .

٥١٨- ومن التوحيد أن نؤمن أن الله تعالى لم يتعبدنا بتعذيب أنفسنا، بل العكس، فقد أمرنا الشارع بالبر بأنفسنا وتهذيبها وتزكيتها .

ولم يتعبدنا الله بإضاعة مصالحنا، بل العكس، فمقاصد الشريعة تهدف إلى الحفاظ على المصالح المعتبرة شرعاً، وأول المصالح الحفاظ على ملة التوحيد ونشرها بين الناس ودعوة الناس إليها .

”مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ ۖ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا” النساء ١٤٧

٥١٩- ومن التوحيد أن نؤمن أن العبادات لا بد أن تكون مشروعة وموافقة للسنة، وأن أي عبادة غير مشروعة أو مخالفة للسنة فهي باطلة ومردودة ومبتدعة وفي النار .

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ” كلُّ أمرٍ ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ ” رواه البخاريّ ومسلم .

وفي رواية ” مَنْ أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ ” .

٥٢٠- ومن التوحيد أن نؤمن أن الله تعالى خلقنا ليأمرنا وينهانا، وأن أول ما خلق الله آدم وحواء أمرهم بالسكنى في الجنة ونهاهم عن الأكل من الشجرة .

”وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ” البقرة ٣٥

٥٢١- ومن التوحيد الإيمان بأن بقاء البشرية مرهونٌ ببقاء الكعبة المشرفة .

ونؤمن بأن القيامة لن تقوم حتى يتم هدم الكعبة، فإذا هدمت الكعبة قامت القيامة .

قال تعالى: "جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْغُبَاةَ النَّبْتَ الْكَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" المائدة ٩٧

ففي الحديث المتفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: قيل هذا الحديث يخالف قوله تعالى: أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ولأن الله حبس عن مكة الفيل ولم يمكن أصحابه من تخريب الكعبة ولم تكن إذ ذاك قبلة، فكيف يسلط عليها الحبشة بعد أن صارت قبلة للمسلمين؟ وأجيب بأن ذلك محمول على أنه يقع في آخر الزمان قرب قيام الساعة حيث لا يبقى في الأرض أحد يقول: الله الله، كما ثبت في صحيح مسلم: لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله . ولهذا وقع في رواية سعيد بن سمعان: لا يعمر بعده أبداً..... اهـ

٥٢٢- ومن التوحيد أن نؤمن أن الخلافة الراشدة على منهاج النبوة تعود في آخر الزمان، تعم الأرض وتملأها عدلاً وإيماناً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً، وأحاديث المهدي متواترة .

٥٢٣- ومن التوحيد الإيمان بأشراط الساعة، وهي علاماتها التي تدل على قرب وقوعها، ومنها علامات صغرى وعلامات كبرى .

٥٢٤- ومن التوحيد أن نؤمن بأن المؤمن يجب عليه أن يبلغ رسالة الله كما نزلت، دون تحريفٍ أو خوفٍ من مخلوق .

قال تعالى : " (الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا) . الأحزاب ٣٩

وأنه ليس في ديننا ما نستحي منه،

قال تعالى : "المص (1) كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (2) " الأعراف .

٥٢٥- ومن التوحيد أن نؤمن بأحداث آخر الزمان التي أخبرنا بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومنها ظهور الإسلام وعودة الخلافة وظهور المهديّ ونزول المسيح وقتله للدجال، ثم قبض أرواح المؤمنين، ثم تقوم الساعة على شرار الخلق حين لا يُقال في الأرض الله الله .

قال المباركفوري - رحمه الله في شرح الترمذي: اعلم أن الروايات قد اختلفت في ترتيب الآيات العشر، ولذا اختلف أهل العلم في ترتيبها فقد قيل إن أول الآيات الدخان، ثم خروج الدجال، ثم نزول عيسى عليه السلام، ثم خروج يأجوج ومأجوج، ثم خروج الدابة، ثم طلوع الشمس من مغربها، فإن الكفار يسلمون في زمن عيسى عليه السلام حتى تكون الدعوة واحدة، ولو كانت الشمس طلعت من مغربها قبل خروج الدجال ونزوله لم يكن الإيمان مقبولا من الكفار، فالواو لمطلق الجمع فلا يرد أن نزوله قبل طلوعها، ولا ما ورد أن طلوع الشمس أول الآيات، وقال في فتح الودود: قيل أول الآيات الخسوفات، ثم خروج الدجال، ثم نزول عيسى عليه السلام، ثم خروج يأجوج ومأجوج، ثم الريح التي تقبض عندها أرواح أهل الإيمان، فعند ذلك تخرج الشمس من مغربها، ثم تخرج دابة الأرض، ثم يأتي الدخان، قال صاحب فتح الودود: والأقرب في مثله التوقف والتفويض إلى عالمه انتهى قلت ذكر القرطبي في تذكرته مثل هذا الترتيب إلا أنه جعل الدجال مكان الدخان . انتهى .

وقال القرطبي رحمه الله في التذكرة: أول الآيات ظهور الدجال، ثم نزول عيسى عليه السلام، ثم خروج يأجوج ومأجوج، فإذا قتلهم الله بالنعف في أعناقهم على ما يأتي، و قبض الله تعالى نبيه عيسى عليه السلام، وخلت الأرض منا، وتناولت الأيام على الناس، و ذهب معظم دين الإسلام أخذ الناس في الرجوع إلى عاداتهم، وأحدثوا الأحداث من الكفر والفسوق، كما أحدثوه بعد كل قائم نصبه الله تعالى بينه و بينهم حجة عليهم ثم قبضه، فيخرج الله تعالى لهم دابة من الأرض فتميز المؤمن من الكافر ليرتدع بذلك الكفار عن كفرهم والفساق عن فسقهم، ويستبصروا وينزعوا عما هم فيه من الفسوق و العصيان، ثم تغيب الدابة عنهم و يمهلون، فإذا أصروا على طغيانهم طلعت الشمس من مغربها، ولم يقبل بعد ذلك لكافر ولا فاسق توبة، وأزيل الخطاب و التكليف عنهم، ثم كان قيام الساعة على أثر ذلك قريباً لأن الله تعالى يقول: و ما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون فإذا قطع عنهم التعب لم يقرهم بعد ذلك في الأرض زماناً طويلاً . هكذا ذكره بعض العلماء . انتهى .

٥٢٦- ومن التوحيد أن نؤمن أن العصمة هي للمنهج السلفي، وليست لشخص سلفي أو حزب سلفي أو حتى لعالم سلفي.

٥٢٧- ومن التوحيد أن نؤمن أنه لا وصاية لأحد على الإسلام، لا وصاية لعالم أو حاكم أو ولي أو غير ذلك على دين الله .
فالإسلام يعلو ولا يُعلَى عليه، ويحكم ولا يُحكم عليه.

٥٢٨-التوحيد هو الغاية التي خلقنا الله تعالى من أجلها، ومن رزقه الله نعمة تحقيق التوحيد فهو من الذين سَعِدُوا، ومن حرمه الله التوحيد -والعياذ بالله- فهو من الذين شَقُوا .

٥٢٩- أطفال المسلمين الذين يموتون قبل الحنث في الجنة،

جاء في شرح مسلم للنووي: أجمع من يعتد به من علماء المسلمين على أن من مات من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنة؛ لأنه ليس مكلفاً .
وقال العراقي: استدل بتعليه عليه الصلاة والسلام دخول الآباء الجنة برحمة الأولاد، وشفاعتهم في آبائهم على أن أولاد المسلمين في الجنة، وهو قول جمهور العلماء .

٥٣١- ومن التوحيد عدم تغيير منار الأرض .

في الحديث قد أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي الطفيل عامر بن واثلة، قال: كنت عند علي بن أبي طالب، فأتاه رجل، فقال: ما كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يسر إليك؟ قال: فغضب، وقال: ما كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يسر إلي شيئاً يكتمه الناس، غير أنه قد حدثني بكلمات أربع . قال: فقال: ما هن يا أمير المؤمنين؟ قال: قال: «لعن الله من لعن والده، ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثاً، ولعن الله من غير منار الأرض» . وفي لفظ له: لعن الله من سرق منار الأرض .

ومنار الأرض علاماتها .

ومن منار الأرض هويتها والعلامات الدالة على كونها أرض إسلامية لمجتمع مسلم .

ومن نواقض التوحيد تغيير علامات الأرض الإسلامية، ببناء الكنائس والصلبان والأديرة، وجعلها الغالبة على الهوية البصرية للأماكن والمدن والميادين الموجودة في بلاد المسلمين .

٥٣٢- الدين ثوابت ومتغيرات، الولاء والبراء يكون على الثوابت لا على المتغيرات .

ومن أمثلة الثوابت أركان الإسلام وأركان الإيمان .

ومن أمثلة المتغيرات المواقف السياسية التي يتخذها العاملون للإسلام .

الأمر والمواقف السياسية هي أمور اجتهادية، ولا ينبغي أن يكون الولاء والبراء على المتغيرات، بل على الثوابت .

فمن اختار اعتزال الناس فهذا اجتهاده .

ومن اختار تكوين جماعة تعمل للإسلام فهذا اجتهاده .

ومن اختار تكون حزب يعمل للإسلام فهذا اجتهاده .

ومن اختار مهادنة السلطة فهذا اجتهاده .

ومن اختار مصادمة السلطة فهذا اجتهاده .

ولا يوجد وحى ينزل علينا الآن ليقول لنا إن فلان على حق والباقي على باطل .

إذن، العاقل الفقيه المخلص هو من يتخذ موقفا يراه صوابا بعد الاجتهاد، ولكنه يضع احتمال أن يكون على الخطأ وغيره هو الصواب .

أما أن تصير المواقف السياسية أداة لزيادة الفارقة بين الإسلاميين، فهذا يؤخر كثيرا عودة الحكم بالشريعة، ويؤخر كثيرا صحة الأمة الإسلامية، ويزيد كثيرا التمكين للكفار والمشركين والمنافقين .

٥٣٣- ومن التوحيد أن نؤمن أن الإسلام دين العزة والكرامة، ولا عزة ولا كرامة إلا بالجهاد .

إمّا سيوفُ العزِّ ويحكّ ، أو فعش***بالذلّ مثل النعل بالأقدام
هل قد ظننتَ الدين عزّاً بغيرها***وهي التي في ذروة الإسلام؟!

وفي الحديث "بُعِثْتُ بالسيفِ بينَ يَدَيِ السَّاعَةِ حتّى يُعْبَدَ اللهُ وحده لا شريكَ له وجُعِلَ رزقي تحتَ ظلِّ رمحي وجُعِلَ الذُّلُّ والصَّغارُ على مَنْ خالف أمرِي ومَنْ تشبَّهَ بقومٍ فهو منهم" .

٥٣٤- ومن التوحيد الحذر من "تسرب" الشرك اللفظي -أو الاعتقادي- إلى لغة المسلم، مثل قول بعضهم: إن الدنيا أعرضت عني وآذنتني، أو قول أحدهم: إن الطبيعة منحت البلد الفلاني جوا معتدلا، أو قول الثالث: إنني أهب أولادي للعالم .

فكل هذا من الشرك، لأن الدنيا مخلوقة، والطبيعة مخلوقة، والعالم مخلوق، ولا يجوز نسبة أفعال الربوبية لغير الخالق سبحانه، كما لا يجوز هبة النفس أو العيال أو المال لغاية غير رضى الله سبحانه.

٥٣٥- ومن التوحيد عدم الترحم على الكفار بعد موتهم.

قال تعالى: "وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَآثُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ (84)" التوبة

٥٣٦- ومن التوحيد ترك أخفى أنواع الشرك، وهو الرياء، وهو شرك خفي في النية حيث يراعي العامل بعمله رضا الناس وإعجابهم وثنائهم، والصواب هو أن يراعي رضا الله وإعجابه وثنائه سبحانه وحده.

لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إِنَّ أَخَوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكَ الْأَصْغَرَ: الرِّيَاءَ، يَقُولُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جَزَى النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاوُونَ فِي الدُّنْيَا، فَاَنْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً".

الراوي : محمود بن لبيد الأنصاري | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح الترغيب

الصفحة أو الرقم: 32 | خلاصة حكم المحدث : صحيح

التخريج : أخرجه أحمد (23630)، وإسماعيل بن جعفر في ((حديث علي بن حجر)) (384)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (6831) واللفظ لهم .

٥٣٧- ومن التوحيد عدم وصف الكافر بالشهيد، حتى وإن قُتل مظلومًا، حتى وإن قتل دفاعًا عن المظلومين، حتى وإن قتل دفاعًا عن المسلمين، حتى وإن قتل دفاعًا عن الإسلام، حتى وإن قتل دفاعًا عن المسجد الحرام .

لأن شرط الشهيد هو أن يكون المقتول مسلمًا، وأن تكون نيته خالصة لله تعالى .

عن أبي موسى - رضي الله عنه - قال : جاء رجل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل للذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه ، فمن في سبيل الله ؟ قال : " من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله " . [انظر : 123 - مسلم : 1904 - فتح : 6 \ 27] .

ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم : " لَا يُكَلِّمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَجَرَحُهُ يَتَعَبُ دَمًا اللَّوْنُ لَوْنُ دِمِّهِ وَالرَّيْحُ رِيحُ الْمَسْكِ " .

خلاصة حكم المحدث : صحيح

الراوي : أبو هريرة | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح النسائي |
الصفحة أو الرقم : 3147

| التخریج : أخرجه النسائي (3147) واللفظ له، وأخرجه البخاري (2803)،
ومسلم (1876) باختلاف يسير

٥٣٨- ومن التوحيد عدم الاستغاثة بوليّ أو نبيّ، حتى وإن كان المستغاث به ممن
شهد الله له أو شهد له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالجنة .

ومن الشرك الذي يقع فيه العوام الاستغاثة بالسيدة زينب النبوية عليها السلام، أو
التخويف بها .

كقول أحدهم : "يا ستنا زينب راعيني يا ستنا زينب" فهذا شرك أكبر .

لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : "إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله" .
وفي الحديث: "إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله" . رواه الترمذي .

وقول الله تعالى: وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا
مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ [يونس: 106] ،
[107] .

وقوله: إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ
وَعَبُدُوهُ [العنكبوت: 17] .

وقوله: وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ [الأحقاف: 5].

وقوله: أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ [التمل: 62].

وروى الطبراني بإسناده "أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله.

وكقول أحدهم: "ستنا زينب في ظهرك إن كنت كاذباً" يقصدون التخويف بانتقام "إلهي تقوم به السيدة زينب ممن يكذب"، وهذا أيضا من الشرك الأكبر.

قال تعالى: "وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (106)" يوسف.

٥٣٩- ومن التوحيد عدم إنزال النبي صلى الله عليه وآله وسلم منزلة الإله سبحانه وتعالى.

ومن الشرك الذي يقع فيه العوام قول أحدهم: "اسم النبي حارسك وصاينك".

فالحارس والصاين هو الله وحده سبحانه وتعالى، أما النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً .

قال تعالى : "قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْنَزْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ۚ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (188) " الأعراف .

وقد أرشدنا صلى الله عليه وآله وسلم أن نحقق العبودية لله وحده صباح مساءً بالاحتماء باسم الله سبحانه وحده .

قال عبد الله ورسوله خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم : "ما من عبدٍ يقولُ في صباح كلِّ يومٍ ومساءً كلِّ ليلةٍ بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ إِلَّا لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ" .

خلاصة حكم المحدث : صحيح

الراوي : - | المحدث : ابن القيم | المصدر : زاد المعاد | الصفحة أو الرقم : 338/2

٥٤٠- ومن التوحيد ترك سب معبودات المشركين -إن كانت من أهل السب- حذرًا من أن يرد المشركون بسب الله سبحانه وتعالى .

قال تعالى : "وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (108) " الأنعام .

وهذا يسمى في علم الأصول: سدُّ الذرائع .

٥٤١- قال صالح بن أحمد بن حنبل: قلت لأبي: إن قوماً يقولون: إنهم يحبون يزيد!

قال: يا بني، وهل يُحِبُّ يزيدَ أحدٌ يؤمن بالله واليوم الآخر؟!

فقلت: يا أبت، فلماذا لا تلعنه؟

قال: يا بني، ومتى رأيتَ أباك يلعنُ أحداً؟

(مجموع الفتاوى ٤١٢/٣)

*وأما من باشر قتل الحسين-رضي الله عنه- أو شارك فيه أو رضي بذلك فنترك الكلام فيه لابن تيمية، عندما سأله كبيرُ المغول: ما تقولون في يزيد؟

قال: لا نَسُبُّه ولا نُحِبُّه؛ فإنه لم يكن رجلاً صالحاً فنحبه، ونحن لا نسبُّ أحداً من المسلمين بعينه .

فقال: أفلا تلعنونه؟ أما كان ظالماً ؟ أما قتلُ الحسين؟

فقلت له: نحن إذا ذكر الظالمون كالحجاج بن يوسف وأمثاله: نقول كما قال الله في القرآن: "ألا لعنة الله على الظالمين" ولا نحب أن نلعن أحداً بعينه؛ وقد لعنه قوم من العلماء؛ وهذا مذهب يسوع فيه الاجتهاد؛ لكن ذلك القول أحب إلينا وأحسن.

وأما من قتل "الحسين" أو أعان على ذلك أو رضي به فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين؛ لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً.

*قال: فما تحبون أهل البيت؟

قلت: محبتهم عندنا فرض واجبٌ يُؤجر عليه؛ فإنه قد ثبت عندنا في صحيح مسلم عن زيد بن أرقم قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بغدير يُدعى خُماً بين مكة والمدينة فقال: "أيها الناس إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، فذكر كتاب الله وحض عليه ثم قال: وعترتي أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي".

قلت لمقدم المغول: ونحن نقول في صلاتنا كل يوم: "اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد"

*قال: فمن يُبغض أهل البيت؟

قلت: من أبغضهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً.

*قال: قد قالوا له إن أهل دمشق نواصب!

قلت بصوت عال: يكذب الذي قال هذا، ومن قال هذا: فعليه لعنة الله!

والله ما في أهل دمشق نواصب، وما علمت فيهم ناصبياً، ولو تَنَقَّصَ أَحَدٌ عَلَيَّ - رضي الله عنه - بدمشق لقام المسلمون عليه!

لكن كان قديماً، لما كان بنو أمية ولاية البلاد، بعض بني أمية ينصب العداوة لعلي ويسبهه.

وأما اليوم فما بقي من أولئك أحد.

(مجموع الفتاوى ٤/٤٨٨)

٥٤٢- ومن كان مرتدّاً فلا يعود إلى الإسلام إلا بمعالجة ما كان سبباً في رده.

فمن أنكر معلوماً من الدين بالضرورة، فلا يعود إلى الإسلام بمجرد النطق بالشهادتين، بل لا بد أن يقرّ بما كان منكراً له.

٥٤٣- العلمانية شرك، لأنها تنكر الغيب، ومن الغيب الذي تنكره العلمانية وجود ووقوع الآخرة .

فالعلمانية لا تؤمن بالآجلة، ولا تؤمن إلا بالعاجلة، ولا تعترف بمبدأ الثواب والعقاب الأخروي، وهذا كله من الكفر الأكبر .

وعقيدة العلمانية هي "هنا والآن"، لذلك تعادي العلمانية دين الله تعالى عن سبق إصرار وعن عقيدة إلحادية مجرمة كافرة .

٥٤٤- العدل الإلهي متحقق لا محالة، عاجلاً أو آجلاً، ومن لم يستوف حقه في الدنيا فسوف يستوفيه في الآخرة، وكل مثقال ذرة في الدنيا سوف يتم إعادتها أمام الله تعالى يوم القيامة حتى يُقضى بين العباد بالعدل، ويأخذ كل مخلوق جزاءه .

٥٤٥- أول واجب على العبيد هو التصديق بالله ورسوله، وأفضل الإيمان هو الإيمان بالغيب والتسليم لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ويجب على المسلم التثبت والتبين من ثبوت القول عن الله أو رسوله- صلى الله عليه وآله وسلم، فإذا ثبت القول لله تعالى أو لرسوله وجب على المؤمن التصديق والتسليم والانقياد .

٥٤٦- من يشك أو يشكك في عقائد الإسلام وثوابته كافرٌ كُفراً أكبر مخرجاً من الملة، ومن يدعو الناس إلى الشك في عقائدهم كافر ضال مضل يجب كف أذاه عن المسلمين .

والفلسفة القائمة على الشك هي فلسفة كفرية ملحدة من عمل الشيطان .

٥٤٧- اليهود -لعنهم الله- يعتقدون أنّ الله تعالى "شخصٌ" ضعيف وفقير وبخيل، تعالى الله عما يشركون .

يعتقدون أنه سبحانه ضعيف: فهم يزعمون أن يعقوب (إسرائيل) قد تمكن من صرعه وهزيمته .

يعتقدون أن الله فقير، "لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقيرٌ ونحن أغنياء" .
يعتقدون أن الله بخيل، " وقالت اليهود يدُ الله مغلولة" .

لذلك هم مشركون في باب الأسماء والصفات .

٥٤٨- ومن الشرك قول أحدهم إذا رأى شخصاً جميلاً: يا أرض احفظي ما عليك .

لأن الأرض مخلوقة تحتاج لخالقها كي يحفظها، ولا تستطيع الأرض ولا السماء ولا غيرهما أن تحفظ شيئاً أو شخصاً .

فالله تعالى هو الحافظ، وهو الحفيظ .

قال تعالى :

قَالَ اللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ " يوسف ٦٤

إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ (٥٧ هود)

وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ (٢١ سبأ)

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيزٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (٦ الشورى)

٥٤٩- ومن الشرك نسبة القدر إلى السماء، مثل قول أحدهم : " عدالة السماء تنزل على المكان الفلاني أو الشخص الفلاني"،

أو قول أحدهم : " وكأن السماء كانت تدخر فلاناً".

فالسَّماءُ مخلوقة، لا تنفع ولا تضر ولا تدخر ولا تنزل العدالة ولا تمنعها، وإنما كل شيء بأمر الله سبحانه وتعالى .

وإنما الخطاب يكون لمن في السماء سبحانه، وليس للسماء المخلوقة .

قال سبحانه:

أَأَمِنْتُمْ مَّن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (16) أَمْ أَمِنْتُمْ مَّن فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (17) الملك .

٥٥٠- ومن التوحيد أن نقدر الله تعالى حق قدره، وأن نوقره ونعظمه سبحانه، وهذا لا يكون إلا بمعرفة أسمائه وصفاته والإيمان بها .

قال تعالى:

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (67) الزمر

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۚ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۚ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۚ وَعِلْمُكُمْ مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ۚ قُلِ اللَّهُ ۚ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (91) الأنعام

مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (74) الحج

٥٥١- والمسلمة التي تتزوج من كافر مرتدة، لأنها استحلت ما حرمه الله .

فلا يجوز للمرأة المسلمة أن تتزوج من كافر -نصرانيًا كان، أو يهوديًا، أو غير ذلك-؛ لقوله تعالى: وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا {البقرة: 221}، وقوله تعالى: وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا {النساء: 141} .

وحرمة زواج المسلمة من الكافر، لا خلاف فيه بين الأمة سلفاً وخلفاً، قال ابن قدامة في الشرح الكبير: (مسألة): (ولا يحل لمسلمة نكاح كافر بحال)؛ لقول الله تعالى: (ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا)، ولقوله سبحانه: (لا هن حل لهم) ولا نعلم خلافاً في ذلك. اهـ.

وقال تعالى: (فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن) [الممتحنة:10] .

وحرم الله نكاح أهل الشرك بقوله: (ولا تُنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم) وقد أجمع المسلمون على تحريم زواج المسلمة ممن ليس على دينها .

وكذلك المسلم لا يحل له أن يتزوج من كافرة، قال تعالى: وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ . {البقرة: 221} .

باستثناء العفيفات من أهل الكتاب .

وقيد سبحانه جواز نكاح الكتابية بأن تكون محصنة (أي عفيفة)، قال تعالى: الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ {المائدة: 5} . فإن كانت غير محصنة (غير عفيفة) فلا يحل نكاحها .

٥٥٢- بعد "الحملة الفرنسية" على مصر، وبعد تعيين محمد علي باشا واليا على مصر نيابةً عن الغرب الكافر، سيطر التيار "التغريبي" على الأزهر الشريف، وتم تغييب جميع أحاديث أحداث آخر الزمان عن مناهج الأزهر، وتم "إخفاء" التفسيرات السلفية للنصوص الدينية عمداً وعن سبق إصرار.

فالعرب يفهم ديننا أكثر من كثير من المسلمين، ويعلم أن قوة هذه الأمة وعزتها في معرفة سنة نبيها صلى الله عليه وآله وسلم، وبخاصة السنة التي تبشر بعودة الإسلام لسيادة العالم في آخر الزمان.

ومصر هي مركز ثقل الإسلام، وهي بنص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أهلها: "ويكونون لكم عُدَّةً وأَعْوَانًا في سبيلِ الله" رواه الطبراني وصححه الألباني.

وبـ"تغييب" مصر، تغييب الأمة، وبعودة مصر تعود الأمة، ولن تعود مصر إلا بعودة الأزهر الشريف، ولن يعود الأزهر إلا بقيام علمائه بإظهار السنة "المخفية"، وبث علم السلف الصالح -رضوان الله عليهم- في الناس.

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ (187) آل عمران.

٥٥٣- ومن التوحيد معرفة المسائل الثلاثة التي يسأل عنها العبد في قبره، ففي الحديث:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر قَبَضَ رُوحَ الْمُؤْمِنِ فقال: يَا تُيْهَ آتِ، يعني في قَبْرِهِ، فيقول: مَنْ رَبُّكَ؟ وما دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ فيقول: رَبِّي الله، وديني الإسلام، وَنَبِيِّ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: فَيَنْتَهَرُهُ فيقول: ما رَبُّكَ؟ وما دِينُكَ؟ وهي آخِرُ فِتْنَةٍ تُعْرَضُ عَلَى الْمُؤْمِنِ، فَذَلِكَ حَيْثُ يَقُولُ اللهُ: {يُنَبِّئُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} [إبراهيم: 27]، فيقول: رَبِّي الله، وديني الإسلام، وَنَبِيِّ مُحَمَّدٌ، فيقال له: صَدَقْتَ.

خلاصة حكم المحدث : صحيح

الراوي : البراء بن عازب | المحدث : ابن القيم المصدر : أعلام الموقعين |
الصفحة أو الرقم : 164/1

التخريج : أخرجه البخاري (1369)، ومسلم (2871)، والترمذي (3120)،
والنسائي (2057)، وابن ماجه (4269)، وأحمد (18575) مختصراً، وأبو داود
(4753) مطولاً.

٥٥٤- ومن التوحيد تحقيق الأصول الأربعة التي وردت في سورة العصر،

قال تعالى: {وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ} [العصر: ١ - ٢] فبين تعالى أن جنس الإنسان في خسارة، ثم استثنى منه أوصافاً، فمن كانت فيه هذه الأوصاف فهو ناج من الخسارة، ومن لم تكن فيه فهو في خسارة.

قال تعالى: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا} [العصر: ٣] يعني: أن الإيمان لا يكون إلا بالعلم؛ لأن الإيمان هو اليقين، ولا يكون اليقين إلا بالعلم، فالعلم هو الذي يوصل إلى اليقين، لأن الجاهل يوصل إلى الشك والريب ولا يوصل إلى اليقين.

فقوله: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا} [العصر: ٣] الإيمان يؤخذ منه المسألة الأولى: وهي مسألة العلم.

فالإيمان يكون بالتوحيد يعني: معرفة العبد لربه، ويكون بالنبوة، يعني: معرفة العبد لنبيه صلى الله عليه وسلم، ويكون الإيمان بالدين، يعني: معرفة العبد للإسلام بالأدلة.

وهذه المعرفة يجب أن تكون معرفة يقينية لا ريب فيها ولا شك، والمعرفة اليقينية بالتوحيد وبالعقيدة الصحيحة لا تكون إلا إذا اتبع الإنسان المنهج الصحيح في المعرفة، ويكون ذلك بالتدبر في آيات الله عز وجل الشرعية والعقلية أيضاً، كما سيأتي معنا.

فكثير من الناس تكون معرفتهم بالله أو توحيدهم أخذوه عن طريق التقليد، بمعنى أنه نشأ في بيئة مسلمة وأبواه مسلمان فأخذ الإسلام عنهما بشكل وراثي، ولهذا بمجرد أن تزعزع عقيدته يشك ويحصل عنده الريب.

وحياتنا الآن شاهد على ذلك، فكثير من الشباب عندما يشكك وعندما توضع له مجموعة من الأسئلة التي هي تشكيك له لا يجد لديه قوة على مواجهتها وعلى الرد عليها؛ لأن العقيدة التي في نفسه إنما جاءت عن طريق التقليد كما سبق أن أشرنا .

قوله: {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [العصر:٣] وهذا دليل على العمل بالعلم .

قوله: {وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ} [العصر:٣] وهذا دليل على الدعوة إليه .

فالتواصي تفاعل بين داعية ومدعو .

قوله: {وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} [العصر:٣] وهذا هو الصبر على الأذى فيه، ويدخل في هذا الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأمور الأساسية في قيام الدين .

[قال الشافعي رحمه الله: لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتمهم] .

ومقصود الشافعي رحمه الله: أن هذه السورة فيها بيان لأهم الأمور التي توصل الإنسان إلى النجاة والفلاح، وهي: العلم، والعمل، والدعوة، والصبر .

فهذه الأمور هي الموصلة إلى النجاة، وهي الموصلة إلى النجاة عند الله عز وجل وفي الدنيا .

والتواصي بالصبر يدل على أهمية الصبر .

والصبر ثلاثة أنواع: صبر على الطاعة .

وصبر عن المعصية .

وصبر على أقدار الله المؤلمة .

ولهذا جاء الأمر بالصبر في أكثر من تسعين آية في كتاب الله .

[قال البخاري رحمه الله: باب العلم قبل القول والعمل، والدليل قوله تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ} [محمد: ١٩] فبدأ بالعلم قبل القول والعمل] .

هذا الكلام للبخاري رحمه الله موجود في الصحيح في كتاب العلم، فالقول لا يكون صحيحاً إلا بالعلم، والعمل لا يكون صحيحاً إلا بالعلم، ولهذا قدم العلم عليهما، فقال الله عز وجل: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ} [محمد: ١٩] فبدأ بالعلم، {وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ} [محمد: ١٩] يعني: جعل الاستغفار بعد العلم، وهذا يدل على أهمية العلم وأنه المعيار الذي يدل الإنسان على الحق ويوصله إليه بإذن الله تعالى .

هذه أربعة مسائل مهمة في حياة الإنسان، ينبغي عليه أن يجتهد في تطبيقها في نفسه .

٥٥٥- ومن إحسان الظن بالله تعالى إحسان العمل، واتباع السنة .

قال النسفي: "وفرقوا بين الرجاء والاعتقاد فقالوا: الرجاء يكون لمن مهد أسباب المرجو، والاعتقاد لمن أخل بها".

وقال قتادة الظن نوعان: ظن منج وظن مرد، فالظن المنجي هو ظن المؤمنين، والظن المردى هو ظن الكافرين والمعرضين .

وقال ابن القيم في مدارج السالكين: الرجاء ثلاثة أنواع: نوعان محمودان ونوع غرور مذموم .

فالأول: رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله فهو راج لثوابه .

والثاني: رجل أذنب ذنوبا ثم تاب منها، فهو راج لمغفرة الله تعالى وعفوه وإحسانه وجوده وحلمه وكرمه .

والثالث: رجل متماد في التفريط والخطايا يرجو رحمة الله بلا عمل فهذا هو الغرور والتمني والرجاء الكاذب .

ولهذا قد قال ابن القيم أيضا في المدارج: "أجمع العارفون على أن الرجاء لا يصح إلا مع العمل".

وسر المسألة أن الرجاء وحسن الظن إنما يكون مع العمل والإتيان بالأسباب التي اقتضتها حكمة الله في شرعه وقدره وثوابه وكرامته، فيأتي العبد بها ثم يحسن ظنه بربه ويرجوه ألا يكله إليها، وأن يجعلها موصلة إلى ما ينفعه، ويصرف ما يعارضها ويبطل أثرها.

ولذلك لما قيل للحسن: إن قوما أساءوا العمل وقالوا نحسن الظن بالله. قال: كذبوا، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل.

والذي يزعم أنه يحسن الظن رغم سوء عمله، لا فرق بينه وبين اليهود الذين قالوا:

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (24) آل عمران

وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۖ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (80) البقرة

٥٥٦- ومن التوحيد الصدق مع الله، والصدق مع عباده.

أما من يظن نفسه "ذكيًا" فيخدع الناس، أو يخادع الله تعالى، فهذا منافق كافر في الباطن وإن أظهر الإسلام وتكلم بلسان الصالحين.

قال تعالى : "يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (9) " البقرة

وقال تعالى : "يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۗ أَلْخَصَاءُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ۗ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (6) " المجادلة .

٥٥٧- والمؤمن يوقن أن الله تعالى يعلم السرّ وأخفى، فلا يظهر خلاف ما يبطن، ولا يكثر الحلف بالله كذباً إرضاءً للناس أو جلباً لمصلحة "متوهمة" أو دفعاً لضرر .

وَلَا تُطِيعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ (10) هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (11) مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَنِ يَمُرَّ
(12) عَتَلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ (13) أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (14) إِذَا تُنْذِرَ عَلَيْهِ آيَاتُنَا
قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (15) القلم

٥٥٨- ومن التوحيد الالتزام بالألفاظ الشرعية عند الحديث عن الله تعالى .

فلا نقول عنه سبحانه: هو حرّ، لأن كلمة حر لم ترد في الكتاب أو السنة وصفاً لله تعالى .

ولكن نقول : "فَعَالَ لما يريد" البروج ١٦

ونقول: "يفعل ما يشاء" آل عمران ٤٠

ولا نقول: ربنا عايز كده .

ولكن نقول: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ يس ٨٢

ولا نقول: ربنا "زعلان" .

ولكن نقول: نعوذ بالله من غضب الله .

ونقول: نعوذ برضاك من سخطك .

ولا نقول: ربنا مزعلني .

ولكن نقول:

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (156) .

٥٥٩- ومن التوحيد تعظيم شعائر الله تعالى، ومن شعائر الله الأذان والصلاة والقرآن الكريم وأوامر الله الشرعية والمساجد والملائكة والأنبياء عليهم السلام .

ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ (32) الحج

ومن التوحيد اجتناب حرمان الله تعالى، وتجنب ما نهى الله تعالى عنه، وعدم استحلاله أو استغاثته بأي حجة .

(29) ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ۖ

ومن حجج الشيطان استباحة النظر للنساء الكاسيات العاريات، بحجة أن الشخص الذي يفعل ذلك "لا يتأثر" بهن .

وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ
(121) الأنعام

٥٦٠- ومن التوحيد ترك التصوير، والمقصود به صناعة المجسمات التي تحاكي مخلوقات الله ذوات الأرواح .

فيحرم محاكاة أو صناعة أو نحت أي مجسم لكائن حي فيه روح، كالتماثيل أو الروبوتات البشرية أو "العرائس" التي تشبه ذوات الأرواح .

عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت: إن أشدَّ الناس عذابًا يوم القيامة الذين يُضاهون الله في خلقه .

خلاصة حكم المحدث : صحيح

الراوي : القاسم بن محمد بن أبي بكر | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح النسائي | الصفحة أو الرقم : 5378

| التخریج : أخرجه البخاري (5954)، ومسلم (2107)، والنسائي (5363) واللفظ له، وأحمد (24081)

قال الله عزَّ وجلَّ: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فليَخْلُقُوا ذَرَّةً أو ليَخْلُقُوا حَبَّةً أو شَعِيرَةً .

خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

الراوي : أبو هريرة | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم : 7559

| التخریج : أخرجه البخاري (7559)، ومسلم (2111)

من صور صورة في الدنيا، كُلف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح ، وليس بنافخه .

خلاصة حكم المحدث : صحيح

الراوي : عبدالله بن عباس | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح النسائي |
الصفحة أو الرقم : 5373

| التخریج : أخرجه البخاري (2225)، ومسلم (2110)، وأبو داود (5024)،
والترمذي (1751)، والنسائي (5358) واللفظ له، وأحمد (3383)

٥٦١- ومن التوحيد عدم تعظيم من أهانهم الله، كالفراعين والمشركين والطغاة
والطواغيت والظالمين .

وَمَنْ يُهِنْ اللَّهَ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾ (الحج)

فقد أهان الله تعالى اللات والعزى ومناة والنمرود وفرعون وهامان وقارون .

وقد أنجى الله "جثة" فرعون لتكون آية للناس إلى يوم الدين، فيحذروا من الوقوع في الجرائم التي وقع فيها .

فلا يحل للمسلمين تعظيم "جثة" فرعون أو جثث وموميאות غيره من الفراعنة المشركين الظالمين المدعين للألوهية الذين استعبدوا الخلق وأهانوهم وساموهم سوء العذاب .

فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ (81) القصص

(قَالِ يَوْمَ نُنجِيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً) (سورة يونس، آية 92) يونس

تم الباب الأول بفضل الله، ونشرع في الباب الثاني
بحول الله تعالى في الحديث عن منهج أهل السنة
والجماعة في مسائل الإيمان والكفر والتكفير.

الباب الثاني

منهج أهل السنة والجماعة في مسائل الإيمان والكفر والتكفير

ويشمل فصولاً:

- فلسفة دعوهم فكلابهم متقلعون أميلاًة قيققد: لولاً لصفلاً •
- عاوناًو رفكلاً فيرعت: يئائلاً لصفلاً • (ارغصلاًو ربكلاً)
- نسلاً لها دعوهم يئعلاً ريفكتلاً طباوض: ثلثائلاً لصفلاً • والجماعة
- عذاوم: عبارلاً لصفلاً • التكفير (ال يوائتلاً ،هاركلاً ،أطخلاً ،لهجلاً)

ريڤكتلا بابي فةفرحنما قرفلا :سماخلا لصفلا • (اٲٲجرملاو جراوخذ)

اٲٲٲاورشو قرشعلا ملاسلإا ضقاوٲ :سداسلا لصفلا •

ٲٲٲٲجما هراثآو قد ريغب ريڤكتلا قروطخ :عباسلا لصفلا •

...نيلسرما فرشأى لء ماسلاو قلاصلاو ،نيملاعلا بر لله دمحا

أءاعسلا رادم اهيلعو ،ءديقلا مءى فى حرلا بطق يه رفكلاو ناميلا لئاسم نإف :ءعبام
رصعلا فى تحبصأ يئلا 'ريفكتلا' ءيضق لوانئى ثحبلا اذه نإ .قرخلاو ايندلا فى ءاقشلاو
مهف فى حلاصلا فلسلا جهنم نء نيريثكلا داعئبا ءجيتئ ،تاءارصلاو نئفلا ءدام ئيئحلا
عقاولا لء اهليزئتو صوصئلا

،ءافجلاو ولغلا نم ريئحتلاو يهققلا ليصأئلا نيء معمءة ءيلومش ءيؤر ميءقءة لئ ثحبلا اذه فءهيد
...ءعامجلاو ءنسلا لءلا ءيئءاقعلا بئكلا تاهمأ لء اءمئعم

الفصل الأول: حقيقة الإيمان وعلاقته بالكفر:

تعد علاقة الإيمان بالكفر عند أهل السنة والجماعة علاقة "تقابل وتضاد"، فكما زاد
أحدهما نقص الآخر، وإذا وجد أصل الإيمان انتفى الكفر الأكبر .

أولاً: حقيقة الإيمان (الأركان الثلاثة)

يقوم منهج أهل السنة على أن الإيمان حقيقة مركبة لا تتجزأ، وهو "قول باللسان،
واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان".

الاعتقاد: هو الأصل والمحرك، ويشمل تصديق القلب بوجود الله ووحدانيته، وصدق
رسله، والانقياد الباطن لأوامره .

القول: وهو الإقرار بالشهادتين، والاعتراف بما جاء من عند الله نطقاً .

العمل: وهو جزء من مسمى الإيمان وليس مجرد ثمرة له، ويشمل أعمال القلوب (كالمحبة والخشية) وأعمال الجوارح (كالصلاة والزكاة) .

ثانياً: تلازم الظاهر والباطن

هذه هي النقطة الجوهرية في فهم الإيمان والكفر؛ فأهل السنة يؤمنون بالتلازم بين "باطن العبد" (قلبه) و"ظاهره" (عمله) .

دلالة الظاهر على الباطن: لا يمكن أن يكون القلب ممتلئاً بالإيمان والمحبة لله، ثم لا يظهر ذلك على الجوارح بالعمل. فالعمل هو "برهان" الإيمان، والعمل من الإيمان .
أثر الباطن في الظاهر: إذا فسد القلب بالكفر أو النفاق، فسد العمل أو انقطع أثره الإيمانى .

ثالثاً: طبيعة العلاقة بين الإيمان والكفر

العلاقة بينهما تقوم على عدة أسس شرعية:

علاقة الضدية: الإيمان والكفر ضدان لا يجتمعان في أصل واحد؛ فمن كفر كفراً أكبر زال عنه اسم الإيمان بالكلية، ومن آمن إيماناً صحيحاً انتفى عنه الكفر الأكبر .
التبعية (مراتب الإيمان والكفر): يرى أهل السنة أن الإيمان ذو شعب ومراتب، وكذلك الكفر .

فقد يجتمع في المسلم "إيمان" و"كفر أصغر" (كفر دون كفر). فيكون الشخص مسلماً بما معه من أصل الإيمان، فاسقاً بما معه من الكفر الأصغر أو الذنوب، وهذا هو الفارق الجوهرى بينهم وبين الخوارج.

الزيادة والنقصان: الإيمان يزيد بالطاعة حتى يقوى، وينقص بالمعصية حتى يضعف، فإذا زالت شعب الإيمان الواجبة نقص الإيمان، وإذا زال أصل الإيمان (التصديق والانقياد) حل محله الكفر الأكبر.

رابعاً: الرد على الانحرافات في هذه العلاقة

الرد على المرجئة: الذين فصلوا العمل عن الإيمان وزعموا أن الكفر لا يكون إلا بالتكذيب بالقلب فقط. ويرد عليهم أهل السنة بأن الكفر قد يكون بالقول (مثل سب الله تعالى) أو الفعل (كالسجود للصنم) حتى لو ادعى الشخص أن قلبه مطمئن بالإيمان.

الرد على الخوارج: الذين جعلوا كل معصية كفراً. ويرد عليهم أهل السنة بأن الإيمان له "أصل" و"كمال". فالمعصية تنقص "كمال الإيمان" ولكنها لا تهدم "أصل الإيمان" إلا إذا استحلها العبد أو كانت كفراً بواحاً.

خلاصة القول: الإيمان والكفر عند أهل السنة والجماعة ليسا مجرد "معلومات" في العقل، بل هي حالة وجودية تجمع بين التصديق القلبى والعمل الظاهري، وأي خلل في أحدهما يؤثر بالضرورة على الآخر صعوداً نحو كمال الإيمان أو هبوطاً نحو هاوية الكفر.

يرى ديزي، ناكراً لأب لمعو، نانجلاب داقتعواو، ناسللابلوقا: ناميلاً نأة عامجلواو نئسلالها
نإف، بتارم ناميلاً نأ امكف؛ رفكلا مهفل حاتفملا وه فيرعتلا اذهو. 'نأيصعلاب صقنيو ةعاطلاب
...بتارم اضيأ رفكلا

،لمعل از مبلق ناميلاً لاز نمف، نئسلالها دنع مزلاتة نقلاعي ه ناميلاً او لمعلاني يد نقلاعلاني
..تجرملا ميل تبهذا ملاً افلاخ اذهو، مبلقي فامل اوزي لء لكذل دةيلكلاب لمعل لاز نمو

المبحث الثاني: الكفر الأكبر (المخرج من الملة) - حقيقته، صورته، وآثاره

يُعد الكفر الأكبر هو الغاية في الضلال، وهو المناقض لأصل الإيمان من كل وجه.
وهو الذي يقطع الصلة بين العبد وبين ربه، ويخرجه من دائرة الإسلام إلى دائرة
الكفر، مما يترتب عليه أحكام خطيرة في الدنيا والآخرة.

١- تعريف الكفر الأكبر

هو عدم الإيمان بالله ورسله، سواء كان معه تكذيب أو لم يكن، بل هو كل قول أو
فعل أو اعتقاد حكم الشارع بأنه مخرج من الإسلام. وهو يزيل وصف "الإيمان"
عن العبد تماماً، فلا يجتمع معه إيمان أبداً في أصله.

٢- أنواع وصور الكفر الأكبر:

قسم علماء أهل السنة الكفر الأكبر إلى خمسة أنواع رئيسية بناءً على مبعث الكفر
في النفس:

أولاً: كفر التكذيب: وهو اعتقاد كذب الرسل، أو تكذيب ما أخبروا به من الغيب (كالجحود بآية من القرآن أو ركن من أركان الدين). قال تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ} .

ثانياً: كفر الإباء والاستكبار: وهو أن يكون الشخص مصدقاً بقلبه، مقراً بلسانه، ولكنه يرفض الانقياد والخضوع للأمر استكباراً وعناداً. وهذا هو كفر "إبليس"، وكفر "اليهود" الذين عرفوا النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم ولكنهم استكبروا. قال تعالى: {إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} .

ثالثاً: كفر الشك (كفر الظن): وهو التردد في اتباع الحق، أو الشك في أصول الدين كالبعث أو الجنة أو صدق الرسول. فالإيمان لا يقبل إلا اليقين الجازم. قال تعالى في قصة صاحب الجنتين: {وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا} .

رابعاً: كفر الإعراض: وهو أن يعرض المرء عن دين الله بقلبه وسمعه وجوارحه، فلا يتعلمه ولا يعمل به، ولا يصدقه ولا يكذبه، بل يعيش في غفلة تامة عن مراد الله منه. قال تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُذِرُوا مُعْرِضُونَ} .

خامساً: كفر النفاق (النفاق الاعتقادي): وهو أن يظهر الإيمان ويبطن الكفر. وصاحبه في الدنيا يعامل معاملة المسلمين (حقناً للدماء)، ولكنه عند الله في النار. قال تعالى: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ} .

٣-مقتضيات الكفر الأكبر:

بين أهل السنة أن الكفر الأكبر كما يقع بالقلب، قد يقع باللسان أو بالجوارح، ومن ذلك:

الكفر الاعتقادي: مثل اعتقاد وجود شريك مع الله، أو اعتقاد نقص في ذات الله أو صفاته.

الكفر القولي: مثل سب الله أو رسوله، أو الاستهزاء بالدين. قال تعالى: {قُلْ أِبِلَّهِ وَأَيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ}.

الكفر العملي: مثل السجود للصنم، أو إلقاء المصحف في القاذورات (استهانة)، أو مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين.

٤- الأحكام المترتبة على الكفر الأكبر

هذا النوع من الكفر تترتب عليه أقسى العقوبات الأخروية والأحكام الدنيوية:

الخلود في النار: لا يخرج صاحبه منها أبداً، ولا تنفعه شفاعة الشافعين.

حبوط العمل: يبطل كل ما قدمه من خير في حياته؛ لأن شرط قبول العمل هو التوحيد. قال تعالى: {لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ}.

المفاصلة الدنيوية: تنقطع ولايته عن المسلمين، فلا يُنكح، ولا يُورث، وإذا مات لا يُغسل ولا يُصلى عليه ولا يُدفن في مقابر المسلمين.

الردة: إذا كان مسلماً ثم وقع في الكفر الأكبر، يُطالب بالتوبة، فإن أبى طبق عليه حكم المرتد، وهو القتل، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: "من بدل دينه فاقتلوه"،

أُخرجَه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما، ولا يُقام الحد إلا عن طريق القضاء الشرعي، وبواسطة الإمام الشرعي أو من ينوب عنه .

٥- الفرق بينه وبين الكفر الأصغر:

الكفر الأكبر يزيل "أصل" الإيمان، بينما الأصغر ينقص "كمال" الإيمان . الأكبر يوجب الخلود في النار، بينما الأصغر يوجب استحقاق العقوبة دون الخلود ..

الفصل الثاني: الكفر وأنواعه

الكفر الأكبر: يعرشها مكحلا تماقلا لادي فلأماو مدلا للاح مبخاصو ،تلملا نم جرخملا وه
تطلسلا نم ميلء الشرعية:تحت جردنيو .رانلا يفلولخلا بجوي وهو ،

دهشت تايلأاو قرطفلا نلأ ليلق وهو ،مء عاج اميف لوسرلا بذك داقتعأ وهو :بيذكتلا رفك -
مءقصب

رخلأا مويلأاو الله رمأ يفل كشيلب ،بذكي لاوقصديلاف ،ددرتلا وهو :كشلا رفك -

رابكتسلأاو عابلا رفك - (كفر الاعتراض) نء ربكتسا مءكل ،الله بذكي مل ،سبيل للاحك :
دوجسلا

مء لاإ مئيد حصي لا ام ملعتيلاف ،تيلكلاب نيدلا كرت وهو :ضارعلأ رفك - .

الكفر الأصغر:

إذا كان الكفر الأكبر هو الهادم لأصل الإيمان، فإن الكفر الأصغر هو رذيلة الذنوب وكبائر المعاصي التي أطلق عليها الشارع وصف "الكفر" لكنها لا تخرج صاحبها من دائرة الإسلام. ويسميه العلماء "الكفر العملي" في مقابل "الكفر الاعتقادي".

١-تعريف الكفر الأصغر

هو كل معصية ثبت في الكتاب والسنة تسميتها كفرًا، ولكنها لا تصل إلى حد الكفر الأكبر المخرج من الملة. وهو ينافي "كمال الإيمان الواجب" ولا ينافي "أصل الإيمان". فصاحبه لا يزال يسمى مؤمنًا، ولكنه مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته.

٢-القاعدة في التفريق بينه وبين الكفر الأكبر

وضع علماء أهل السنة ضوابط لمعرفة متى يكون لفظ "الكفر" الوارد في النصوص "أصغر":

اقتران اللفظ بقريضة: مثل قوله ﷺ: "سباب المسلم فسوق وقتاله كفر"؛ فقد سمي القتال كفرًا، بينما نجد القرآن الكريم يسمي المقتتلين "إخوة" ومؤمنين في قوله تعالى: {وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا} ثم قال: {إنما المؤمنون إخوة}.

التنكير والتعريف: غالباً ما يأتي الكفر الأكبر بالتعريف (الكفر)، بينما يأتي الأصغر منكراً (كفر)، وإن كانت هذه القاعدة ليست مطردة دائماً بل يُرجع فيها لقرائن السياق.

٣-صور ونماذج من الكفر الأصغر

وردت في السنة النبوية أمثلة كثيرة حذر منها النبي ﷺ ووصفها بالكفر لشناعتها، منها:

كفر النعمة: وهو جحود فضل الله ونسبة النعم للمخلوقين أو للذات، قال تعالى: {يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا} .

قتال المسلمين: لقوله ﷺ: "لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض". والوصف هنا لتغليظ الذنب ووصف فعلهم بفعل الكفار .

الانتساب لغير الأب: لقوله ﷺ: "ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر".

الحلف بغير الله: لقوله ﷺ: "من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك" (والمقصود هنا الشرك والكفر الأصغر ما لم يعتقد في المحلوف به عظمة كعظمة الله) .

الطعن في الأنساب والنياحة: لقوله ﷺ: "اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب والنياحة على الميت".

٤- الأحكام المترتبة على الكفر الأصغر

يتميز الكفر الأصغر عن الأكبر في أحكام الدنيا والآخرة:

في الدنيا: يبقى لصاحبه حقوق المسلم كاملة (تؤكل ذبيحته، يزوج من المسلمات، يورث، ويصلى عليه إذا مات) .

في الآخرة: لا يخلد صاحبه في النار أبداً. بل هو تحت "مشيئة الله"؛ إن شاء الله عفا عنه بفضلته ورحمته، وإن شاء عذبه بقدر ذنبه ثم مآله إلى الجنة.

حبوط العمل: الكفر الأصغر لا يحبط جميع الأعمال السابقة (مثل الكفر الأكبر)، بل قد يحبط العمل الذي قارنه فقط أو ينقص أجر صاحبه.

٥- خطورة الكفر الأصغر

رغم أن الكفر الأصغر لا يخرج من الملة، إلا أن تسميته "كفراً" تدل على خطورته العظيمة، وذلك من وجوه:

أنه أعظم من كبائر الذنوب التي لم تسم كفراً.

أنه "بريد الكفر الأكبر"؛ فكثرة التجروء على شعب الكفر الأصغر قد تضعف الإيمان في القلب حتى يسهل الوقوع في الكفر المخرج من الملة.

أنه يدل على تشبهه بغير المسلمين في أفعالهم.

إن منهج أهل السنة والجماعة في التفريق بين نوعي الكفر هو المنهج الذي حفظ دماء المسلمين؛ فلم يكفروا الناس بكل ذنب (كما فعل الخوارج)، ولم يهونوا من شأن المعاصي والجرائم (كما فعلت المرجئة)، بل أعطوا كل ذنب حجمه الذي وضعه الشرع.

الفصل الثالث: ضوابط التكفير العيني عند أهل السنة والجماعة:

يعد التفريق بين "الحكم العام" وبين "تنزيل الحكم على الشخص" هو الركيزة الأساسية التي تميز منهج أهل السنة عن منهج الخوارج، فليس كل من وقع في الكفر صار كافراً، إذ قد يفعل العبد فعلاً كفرياً جهلاً أو إكراهاً، ومن هنا وضع العلماء ضوابط صارمة لا يجوز تجاوزها.

أولاً: القاعدة الأصولية (تكفير المطلق وتكفير المعين):

تكفير المطلق (تكفير النوع): هو الحكم على القول أو الفعل بأنه كفر على سبيل العموم، كأن نقول: "من قال إن القرآن مخلوق فهو كافر" أو "من سجد لصنم فقد كفر"، وهذا حكم بالوصف العام لمطابقة الفعل للنواقض الشرعية.

تكفير المعين (الشخص بعينه): هو الحكم على (زيد أو عمرو) بالكفر. وهذا لا يجوز إلا بعد التحقق من استكمال الشروط وانتفاء الموانع في حقه الشخصي، وإقامة الحجة الرسالية عليه.

ثانياً: شروط التكفير العيني:

لكي يُخرج المسلم من دائرة الإسلام ويُحكم بكفره عيناً، لا بد من توافر الشروط التالية:

البلوغ والعقل: فلا تكفير لصبي ولا لمجنون؛ لرفع القلم عنهما شرعاً.

العلم: أن يكون الشخص عالماً بأن هذا الفعل أو القول محرم وكفر، فلا يكفر الجاهل الذي لم تبلغه الحجة.

القصد والاختيار: أن يكون قد أتى بالفعل أو القول قاصداً له مختاراً، غير مكره ولا مخطئ.

بلوغ الحجة: أي أن يكون النص الشرعي قد وصل إليه وفهمه فهماً يزيل عنه الشبهة، وليس مجرد السماع العابر.

ثالثاً: موانع التكفير العيني (العوارض الشرعية)

الموانع هي الحالات التي يرتكب فيها الشخص "ناقضاً" ولكن يمتنع الحكم عليه بالكفر لوجود عذر شرعي، وهي أربعة رئيسية:

الجهل: والمقصود به هو الجهل الناتج عن عدم بلوغ الحجة الرسالية، وهو من أقوى الموانع، خاصة في المسائل الخفية أو لمن عاش في بيئة بعيدة عن العلم أو كان حديث عهد بالإسلام. قال تعالى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا}.

الإكراه: وهو أن يُجبر الشخص على قول الكفر أو فعله بتهديد حقيقي بالقتل أو التلف، مع طمأنينة قلبه بالإيمان. قال تعالى: {إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ}.

الخطأ: وهو أن يقع منه الكفر دون قصد، كسبق اللسان من شدة فرح أو غضب أو حزن. ومثاله الرجل الذي أخطأ من شدة الفرح فقال: "اللهم أنت عبيدي وأنا ربك".

التأويل السائب: وهو أن يفهم الشخص دليلاً شرعياً فهماً خاطئاً يجعله يظن أن فعله ليس كفراً، وهو يقصد اتباع الحق، كحال بعض الفرق التي أولت الصفات أو بعض الصحابة الذين أولوا شرب الخمر في بداية الأمر، ومثال ذلك قصة قدامة بن مظعون رضي الله عنه، حيث قدم الجارود على عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وشهد

أن "قدامة بن مضعون" شرب الخمر وسكر، طلب الخليفة شاهداً آخر، فشهد أبو هريرة أنه رآه سكراناً، استدعى عمر قدامة ليقم عليه الحد، فاحتج قدامة بالآية الكريمة: {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا} [المائدة: 93]، معتقداً أن شرب الخمر مباح لمن عمل الصالحات، أوضح له عمر أن تأويله للآية خاطئ؛ لأن التقوى تعني اجتناب ما حرم الله. واتفق كبار الصحابة في عهده على عدم تكفير قدامة لكونه متأولاً (مخطئاً في الفهم ولم تقم عليه الحجة بالتحريم القاطع في بادئ الأمر)، أصرَّ عمر على إقامة الحد صوتاً لحكم الله، وجلده، ولأن عمر كان أميراً للمؤمنين وخال قدامة، أدى هذا إلى قطيعة ومغاضبة بينهما، استمرت حتى حجاً معاً، حيث رأى عمر في منامه ما بشره باستغفار قدامة وإخوته له، فتم الصلح بينهما.

رابعاً: اليقين لا يزول بالشك

من القواعد العظيمة عند أهل السنة أن من ثبت إسلامه بيقين (بالنطق بالشهادتين والانتساب للملة)، لم يجز إخراجه منه إلا بيقين مثله. فلا يكفر المسلم بالظن، ولا بالاحتمالات، ولا بلازم قوله (ما لم يلتزم هو باللازم).

خامساً: جهة الاختصاص في التكفير

يؤكد علماء أهل السنة أن الحكم بتكفير المعين واستحلال دمه وماله هو من "حق الله ورسوله"، وتطبيقه في الدنيا موكل إلى "الراسخين في العلم" و**"القضاء الشرعي" فقط. ولا يجوز لآحاد المسلمين أو صغار الطلبة المسارعة في إطلاق هذه الأحكام، لما يترتب عليها من فتن وتمزيق للمجتمع واستباحة للدماء المحرمة.

خلاصة:

التكفير العيني هو "شهادة على الشخص بالنار" أو "إخراجه من رحمة الله"، وهو أمر مرجعه إلى التحقق التام من انتفاء الأعذار. فالسلامة تكمن في الكف عن أعراض المسلمين والاشتغال بتصحيح العقيدة والعمل.

الفصل الرابع: موانع التكفير:

الموانع هي الحالات التي يرتكب فيها الشخص "ناقضاً" ولكن يمتنع الحكم عليه بالكفر لوجود عذر شرعي، وهي أربعة رئيسية:

*الجهل: والمقصود به هو الجهل الناتج عن عدم بلوغ الحجة الرسالية، وهو من أقوى الموانع، خاصة في المسائل الخفية أو لمن عاش في بيئة بعيدة عن العلم أو كان حديث عهد بالإسلام. قال تعالى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا}.

ومن أدلة العذر بالجهل، قوله تعالى: "وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ ۖ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ" الأعراف ١٣٨

فأصحاب موسى عليه السلام قالوا قولاً كفرياً، ولكن موسى عليه السلام لم يُكفّرهم، بل عذرهم بسبب جهلهم، وشرع عليه السلام في تعليمهم التوحيد والبراءة من الكفر والشرك .

ومن أدلة العذر بالجهل قول الله عز وجل: "إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ " المائدة ١١٢

هنا وقع أصحاب عيسى عليه السلام في ما وقع فيه أصحاب موسى عليه السلام، وقالوا قولاً كفرياً، ومع ذلك لم يحكم عيسى عليه السلام بكفرهم، بل حثهم على تقوى الله تعالى والعودة لإيمانهم وتوحيدهم .

ومن أدلة العذر بالجهل أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَمَّا خَرَجَ إِلَى حَنِينَ، مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمَشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، يُعْلَقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ} [الأعراف: 138]، والذي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَرْكَبَنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ .

رواه الترمذي عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه، ورواه أحمد والحميدي والطيالسي .

هنا أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورضي الله عنهم، وقعوا في ما وقع فيه أصحاب موسى وأصحاب عيسى عليهما السلام، وقالوا قولاً كفرياً، ومع ذلك عذرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسبب جهلهم وحادثة عهدهم بالإسلام، وأخذ يعلمهم ويربيهم .

ومن أدلة العذر بالجهل، حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : "يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ التَّوْبِ حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ، وَلَا صَلَاةٌ، وَلَا نَسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَيْسَرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ، يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَحَنُّ نَقُولُهَا فَقَالَ لَهُ صَلُّهُ (تَابِعِي مِنْ تَلَامِذَةِ حَذِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): مَا تُغْنِي عَنْهُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَهُمْ لَا يَدْرُونَ مَا صَلَاةٌ، وَلَا صِيَامٌ، وَلَا نَسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ حَذِيفَةُ، ثُمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلَاثًا، كُلَّ ذَلِكَ يَعْرِضُ عَنْهُ حَذِيفَةُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّالِثَةِ، فَقَالَ: يَا صَلُّهُ، تُنَجِّبُهُمْ مِنَ النَّارِ ثَلَاثًا"

رواه ابن ماجه والحاكم والبيهقي .

وقد وقع مثل هذا في بلاد وسط آسيا التي خضعت للحكم السوفيتي الشيوعي، مسلمون في بلاد تسلط عليها الكفار المحاربون للإسلام، يجهلون حتى اسم نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم، ولكنهم يعلمون أنهم مسلمون، ويؤمنون بكلمة التوحيد، ويؤمنون بنبيهم العربي الأمي صلى الله عليه وآله وسلم، لا يعلمون شيئاً عن أركان الإسلام

فضلاً عن تفاصيله، ومع ذلك عذرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسبب جهلهم وبسبب تضليل أئمة الكفر لهم وبسبب محاربة الكفار لهم، وحكم لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنهم من أهل الجنة .

*الإكراه: وهو أن يُجبر الشخص على قول الكفر أو فعله بتهديد حقيقي بالقتل أو التلف، مع طمأنينة قلبه بالإيمان . قال تعالى: {إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ} .

*الخطأ: وهو أن يقع منه الكفر دون قصد، كسبق اللسان من شدة فرح أو غضب أو حزن . ومثاله الرجل الذي أخطأ من شدة الفرح فقال: "اللهم أنت عبيدي وأنا ربك" .

ويسرد النبي - صلى الله عليه وسلم - المثل الذي تدور أحداثه في صحراء مقفرة ، شديدة القَيْظ ، لا ماء فيها ولا كَلأ ، وفي هذا المشهد يظهر رجلٌ تبدو على قسماته ملامح الإجهاد والتعب ، في سفرٍ طويل لا مؤنس له فيه سوى ما يسمعه من صدى خطواته ، وما يبصره من ظلّ ناقته ، والتي جعل عليها طعامه وشراب .

ولم تزل الشمس عن كبد السماء حتى كان الإرهاق قد بلغ به أيما مبلغ ، فطاف ببصره يبحث عن شجرة تظّله ، حتى وجد واحدة على قارعة الطريق ، فاتّجه نحوها وأناخ ناقته ثم استلقى تحتها ، وأغفى قليلاً ليستعيد نشاطه ويستردّ قواه ، إلى حين تنكسر حدّة الشمس وتخفّ حرارة الجوّ ، ولأنّ الرّجل لم يُحكم وثاق ناقته ،

انسَلَّت عنه ومضت في سبيلها ، فلَمَّا استيقظ من نومه لم يجدها ، ففرع فرعاً شديداً ، وانطلق يجري بين الشعاب وفوق التلال دون جدوى .

ولما استيأس الرَّجل وأيقن بالهلاك ، عاد إلى موضعه تحت الشجرة جائعاً عطشاً ، مرهق الجسد قانط النفس ، فنام في مكانه ينتظر الموت ، ولكن يا للعجب ، لقد أيقظه صوت ناقته ، فوجدها فوق رأسه ، ففارقه اليأس ، وحلّ بدلاً منه فرحٌ شديدٌ كاد يفقده صوابه ، إنّه فرح من عادت له الحياة بعد أن أيقن بالموت والهلاك ، حتى أنّه أخطأ من شدّة الفرح فأبدل الألفاظ : (اللهم أنت عبدي وأنا ربك) .

ثم يخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - من حوله أن فرح الله بتوبة عباده وإقبالهم عليهم أشدّ وأعظم من هذه الفرحة التي طغت على مشاعر الرَّجل : (فالله أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده) .

ولم يحكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم على هذا الرجل بالكفر، لأن الرجل قال هذا القول "الكفري" عن طريق الخطأ، وليس قاصداً المعنى المفهوم من الكلمة الكفرية .

*التأويل السائغ: وهو أن يفهم الشخص دليلاً شرعياً فهماً خاطئاً يجعله يظن أن فعله ليس كفراً، وهو يقصد اتباع الحق، كحال بعض الفرق التي أولت الصفات أو بعض الصحابة الذين أولوا شرب الخمر في بداية الأمر، ومثال ذلك قصة قدامة بن مظعون رضي الله عنه، حيث قدم الجارود على عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وشهد

أن "قدامة بن مظعون" شرب الخمر وسكر، طلب الخليفة شاهداً آخر، فشهد أبو هريرة أنه رآه سكراناً، استدعى عمر قدامة ليقم عليه الحد، فاحتج قدامة بالآية الكريمة: {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا} [المائدة: 93]، معتقداً أن شرب الخمر مباح لمن عمل الصالحات، أوضح له عمر أن تأويله للآية خاطئ؛ لأن التقوى تعني اجتناب ما حرم الله. واتفق كبار الصحابة في عهده على عدم تكفير قدامة لكونه متأولاً (مخطئاً في الفهم ولم تقم عليه الحجة بالتحريم القاطع في بادئ الأمر)، صرّ عمر على إقامة الحد صوتاً لحكم الله، وجلده، ولأن عمر كان أميراً للمؤمنين وخال قدامة، أدى هذا إلى قطيعة ومغاضبة بينهما، استمرت حتى حجاً معاً، حيث رأى عمر في منامه ما بشره باستغفار قدامة وإخوته له، فتم الصلح بينهما.

*ومن موانع التكفير: الصغر، والنوم، والجنون، لأن هؤلاء مرفوع عنهم القلم.

*ومن موانع التكفير: النسيان، لأن الله تعالى تجاوز لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه.

الفصل الخامس: الفرق المنحرفة في التكفير:

لم تضل الفرق الإسلامية في باب من أبواب العقيدة كما ضلت في باب "الأسماء والأحكام" (أي: ما يسمى به العبد في الدنيا من إيمان أو كفر، وما يترتب عليه من أحكام في الآخرة). وقد انقسمت هذه الفرق إلى طرفي نقيض: طرف غلا في إثبات الوعيد (الخوارج والمعتزلة)، وطرف غلا في إثبات الوعد (المرجئة)، بينما توسط أهل السنة والجماعة بينهما.

أولاً: الوعيدية (الغلاة في التكفير):

وهم الذين غلبوا نصوص الوعيد، وجعلوا المعاصي والكبائر مسقطاً للإيمان بالكلية، وانقسموا إلى طائفتين:

١- الخوارج:

منهجهم: ذهبوا إلى أن الإيمان حقيقة واحدة لا تتجزأ، فإذا ذهب بعضه (بارتكاب كبيرة) ذهب كله.

حكم مرتكب الكبيرة: هو كافر في الدنيا (يستباح دمه وماله)، وخالد مخلد في نار جهنم في الآخرة.

أثر انحرافهم: أدى هذا الفكر إلى استباحة دماء المسلمين والخروج على الأئمة وشق عصا الجماعة.

٢- المعتزلة:

منهجهم: وافقوا الخوارج في مآل الآخرة وخالفوهم في مسمى الدنيا.

حكم مرتكب الكبيرة: قالوا هو في "منزلة بين المنزلتين"؛ فلا يسمى مؤمناً ولا يسمى كافراً في الدنيا، أما في الآخرة فهو خالد مخلد في النار إذا لم يتب .

ثانياً: المرجئة (الغلاة في الإرجاء):

وهم الذين غلبوا نصوص الوعد، وأخرجوا العمل عن مسمى الإيمان، وزعموا أن الذنوب لا تضر مع وجود الإيمان، ففتحوا باب الفسق .

وانقسموا إلى درجات:

١-غلاة المرجئة (الجهمية):

منهجهم: زعموا أن الإيمان هو مجرد "المعرفة" بالقلب فقط .

الانحراف: مقتضى قولهم أن إبليس وفرعون مؤمنون لأنهم عرفوا الله بقلوبهم .

٢-مرجئة الفقهاء:

منهجهم: قالوا الإيمان هو "تصديق القلب ونطق اللسان" فقط، والأعمال ليست ركناً فيه بل هي ثمرة وكمال .

الانحراف: رغم أنهم لم يستبيحوا الكبائر، إلا أن قولهم فتح الباب لتميع قضايا الولاء والبراء وضعف الوازع الديني عن العمل .

٣-مرجئة الكرامية:

منهجهم: زعموا أن الإيمان هو "نطق اللسان" فقط ولو كان القلب خالياً (أي أن المنافق مؤمن عندهم) .

ثالثاً: منهج أهل السنة والجماعة (الوسط العدل) :

توسط أهل السنة بين هؤلاء وهؤلاء، فقرروا القواعد التالية التي ترد على الجميع:

*الإيمان يزيد وينقص: رداً على الخوارج والمرجئة الذين جعلوا الإيمان كتلة واحدة لا تتجزأ .

*مرتكب الكبيرة (مؤمن ناقص الإيمان): هو مسلم بما معه من أصل الإيمان، فاسق بما معه من الكبيرة. وفي الآخرة هو تحت مشيئة الله؛ إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، ولا يخلد في النار أبداً ما دام مات على التوحيد .

*تلازم الظاهر والباطن: رداً على المرجئة؛ فلا يكون إيمان في القلب إلا وله أثر ضروري على الجوارح .

*التفريق بين الكفر الأكبر والأصغر: رداً على الخوارج؛ فليست كل معصية كفراً، بل المعاصي يريد الكفر ولكنها لا تخرج من الملة بذاتها ما لم تكن ناقضاً صريحاً .

الفصل السادس: نواقض الإسلام العشرة:

بعد دراسة حقيقة الإيمان وأنواع الكفر، يأتي مبحث "النواقض" ليمثل الجانب التطبيقي؛ والنواقض هي الاعتقادات أو الأقوال أو الأفعال التي إذا ارتكبتها المسلم انفسخ عقد إيمانه، وخرج من دائرة الإسلام إلى الكفر الأكبر. وقد شبه العلماء الإيمان بـ "الوضوء" الذي ينتقض بأفعال معينة، فكذلك الإيمان ينتقض بهذه النواقض .

أولاً: مفهوم نواقض الإيمان

النواقض جمع "ناقض"، وهو المفسد للشيء الرافض لأصله. وفي الاصطلاح الشرعي: هي ما يخرج به العبد من الإسلام إذا أتى بواحد منها، سواء فعل ذلك جاداً أو لاعباً أو خائفاً، إلا ما كان تحت الإكراه المعتبر شرعاً.

ثانياً: أقسام النواقض من حيث المصدر

تنقسم النواقض إلى ثلاثة مسارات كبرى:

نواقض قلبية (اعتقادية): كالشرك في الألوهية، أو جحود ما غُلم من الدين بالضرورة، أو اعتقاد أن هدي غير النبي ﷺ أكمل من هديه.

نواقض قولية: مثل سب الله أو رسوله، أو الاستهزاء بالدين، أو ادعاء النبوة، أو دعاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

نواقض فعلية (عملية): كالسجود للصنم، أو إلقاء المصحف في القاذورات استخفافاً، أو مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين.

ثالثاً: شرح نواقض الإسلام العشرة (الأكثر شيوعاً وخطراً)

أجمل العلماء (لاسيما الإمام محمد بن عبد الوهاب وغيره) أخطر هذه النواقض في عشرة بنود، وهي:

١-الشرك في عبادة الله: وهو صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله (كالدعاء، الذبح، النذر لغير الله) . قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} .

٢-اتخاذ الوسائط: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم كفر إجماعاً .

٣-عدم تكفير المشركين: من لم يكفر المشركين (الذين كفرهم الله ورسوله صراحة)، أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم كفر؛ لأنه بذلك يكذب القرآن .

٤-اعتقاد كمال هدي غير النبي ﷺ: من اعتقد أن هدي غير النبي أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه (كالتشريعات الوضعية التي تستبيح المحرمات) فقد نقض إيمانه .

٥-بغض ما جاء به الرسول ﷺ: من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول، ولو عمل به، كفر . قال تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطُوا أَعْمَالَهُمْ} .

٦-الاستهزاء بالدين: من استهزأ بشيء من دين الرسول، أو ثوابه، أو عقابه كفر . والدليل قوله تعالى: {قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} .

٧-السحر: ومنه الصرف والعطف (للتفريق أو التحبيب بوسائل شركية)، فمن فعله أو رضي به كفر . قال تعالى: {وَمَا يُعْلِمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ} .

٨-مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين: وهي التولي التام للمشركين لنصرة دينهم على الإسلام. قال تعالى: {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} .

٩-اعتقاد جواز الخروج عن الشريعة: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ (كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى) فهو كافر؛ لأن شريعة محمد عامة وخاتمة.

١٠-الإعراض عن دين الله: لا يتعلمه ولا يعمل به بالكلية. والمراد الإعراض عن أصل الدين الذي يصح به إسلامه. قال تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ۚ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ} .

رابعاً: ضوابط هامة في التعامل مع النواقض

يؤكد أهل السنة والجماعة على أن إطلاق حكم "الناقض" على الفعل لا يعني بالضرورة كفر "الفاعل" مباشرة؛ بل لا بد من:

تحقق الشروط: كالعلم والقصد والاختيار .

انتفاء الموانع: كالجهل المعتبر، أو الخطأ غير المقصود، أو الإكراه، أو التأويل السائغ .

خلاصة:

إن معرفة نواقض الإيمان ليست وسيلة لتكفير الناس، بل هي وسيلة للمسلم ليحذر على دينه، ويحمي توحيده من الزوال، وليعرف عظمة هذا الميثاق الذي بينه وبين الله تعالى .

الفصل السابع: خطورة التكفير بغير حق وآثاره المجتمعية:

الحكم بكفر المعين من المسلمين أو بردته عن الإسلام هو حكم قضائي، لا يصدر إلا عن محكمة شرعية تقضي بالشرعية، وتعمل في ظل نظام سياسي شرعي يحكم بالشرعية.

أما قيام محاكم علمانية تعمل في ظل نظام سياسي علماني بالحكم بردة شخص، فهو غير سديد، وغير صحيح، لأن المحاكم العلمانية والأنظمة العلمانية لا تمنع أساساً أن يكون رئيسها غير مسلم، فكيف يُعقل أن يحكم قاضٍ غير مسلم على شخص مسلم بردته عن الإسلام؟

هذا فضلاً عن أن يصدر الحكم عن شخص من عوام المسلمين لا صفة له ولا هيئة ولا صلاحية، لا يتمتع بعلم أو فهم أو عقل أو خبرة، يتسرع بالحكم بالردة أو التكفير على شخص مسلم قد يكون خيراً منه عند الله تعالى.

وهذا "المتهور" المتسرع بالتكفير في غالب الأحوال لا يكون على دراية بشروط التكفير أو موانع التكفير أو ضوابط تكفير المعين بحسب أصول أهل السنة والجماعة.

ثم يترتب على تكفير المعين من المسلمين استحلال عرضه ودمه، وسفك الدماء المعصومة بغير مسوغ شرعي، وبث الفتنة والفرقة بين المسلمين، وإضعاف المجتمع المسلم، وتمكين الكافرين من مفاصل السياسة والاقتصاد الخاص بالمسلمين، مع ما

ينتج عن ذلك من "زيادة الطين بلة" بأن تنتقل أحوال المسلمين من سيء إلى أسوأ، ويتم التضيق على الدعوة والدعاة، ويتعرض كل مسلم ملتزم بشرع الله إلى الحرج والأذى وربما الحبس أو القتل، لأن ذاك التكفيري كان يظهر بنفس السمات "الشرعي" الذي يظهر به المسلم التقي النقي العالم الورع.

إن الله لن يسألك عن عدم تكفيرك لرجل مسلم إذا لم تكفره، ولكنه سبحانه سوف يسألك يوم القيامة عن سبب تكفيرك له إذا كفرته، فأعد الجواب لله قبل أن تتجراً على تكفير مسلم.

و"رمي المسلم بالكفر كقتله" رواه البخاري ومسلم.

و"من قال لأخيه يا كافر، فقد باء بها أحدهما" رواه البخاري ومسلم.

الخلاصة

١- أهل السنة والجماعة هم أهل الحق، وهم وسطٌ بين الفرق كما أن الأمة الإسلامية وسطٌ بين الأمم.

٢- الإيمان عند أهل السنة والجماعة قولٌ وعمل.

٣- الإيمان والكفر من أدق مسائل العقيدة، ودراسة هذا الموضوع أمرٌ ضروري جداً لكل من يتصدى للدعوة.

٤- الحق وسط بين طرفين، والتزام الحق يعني عدم الانزلاق إلى الإفراط (تكفير دون بينة) أو التفريط (التساهل مع الأقوال والأعمال الكفرية).

٥-تكفير النوع هو حكم عام على من قال قولاً كفرياً أو اعتقد عقيدة كفرية أو فعل فعلاً كفرياً من أهل القبلة، أما تنزيله على المعين فلا بد من إقامة الحجة واستيفاء الشروط وانتفاء الموانع .

٦-كل من ليس مسلماً فهو كافر .

٧-تكفير المعين مهمة القضاء الشرعي، وليس لعامة الناس أو الدعاة، لإقامة الحجة واستيفاء الشروط وانتفاء الموانع، ولإعطاء الفرصة للاستتابة، ولأنه يترتب عليه إقامة الحد والتفريق وأحكام المواريث، وهذه مسئولية الحاكم وليس أفراد الناس .

٧-عصمة دم المسلم وعرضه وماله أمر معلوم من الدين بالضرورة، ولا يُستحل شيء من ذلك إلا بدليل أوضح من الشمس في رابعة النهار .

٨-التحذير من شهوة التكفير للمسلمين، حتى لا يترتب على ذلك استحلال الدماء والأموال والأعراض .

٩-الردة واردة على أي مسلم، ولا يوجد مسلم معصوم من الردة فما دونها -خلا الأنبياء عليهم السلام، لذلك ندعو مقلب القلوب أن يثبت قلوبنا على دينه .

١٠-كلما ازداد فقه الداعية قل جنوحه إلا تكفير المخالف .

المراجع:

- ١- القرآن الكريم .
- ٢- الكتب الستة .
- ٣- تفسير القرآن العظيم لابن كثير الدمشقي .
- ٤- مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية .
- ٥- أصول السنة للإمام أحمد .

ثم بحمد الله

تعالى